

الشيعة والسيرة النبوية
بين التدوين والاضطهاد

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد

٨١٠ لسنة ٢٠٠٩م

BP
٢٣
ح٥/
٩ش

الحسني، نبيل، ١٩٦٥ ــ م.

الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد: شيخ كتاب السيرة النبوية محمد بن إسحاق انموذجاً.../ تأليف نبيل الحسني. - كربلاء: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٣٠ق. = ٢٠٠٩م.

٤٠٠ ص. ـ (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛٣٢).

المصادر في الحاشية.

١. تدوين السيرة النبوية - تاريخ ونقد. ٢. تدوين التاريخ الإسلامي - دراسة وتحقيق. ٣. أهل البيت - بيليو جرافيا - دراسة وتحقيق. ٤. الشيعة - بيليوجرافيا - دراسة وتحقيق. ٥. مؤلفين الشيعة - تأثير - تدوين السيرة النبوية. ٦. ابن إسحاق، محمد، ٨٥؟ - ١٥١؟ ق - شبهات وردود. ٧ . تدوين السنة النبوية - شبهات وردود. ألف. عنوان.

BP ٢٣ / ح ٥ ش ٩

تمت الفهرسة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر / علاء الأعسم

الشيعة والسيرة النبوية

بين التدوين والاضطهاد

دراسة في نشأة علم السيرة النبوية
وتطوره خلال القرنين الأول والثاني للهجرة

تأليف
السيد نبيل الحسني

إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية

الطبعة الأولى

١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م

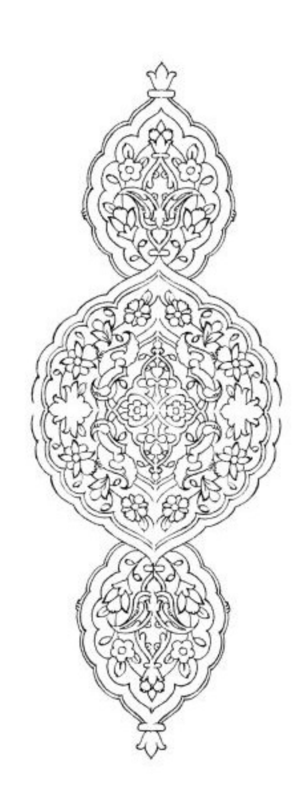


العراق: كربلاء المقدسة – العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية – هاتف: ٣٢٦٤٩٩

Web: www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain



الإهداء

إلى شيخ ابن إسحاق الأول

وملهمه الأكمل

إلى المضطهد في حبه والمجاهر في موالاته

إلى باقر علم النبيين وسليل سيد المرسلين

صلى الله عليه وآله وسلم

إلى الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام

أهدي كتابي هذا

مقدمة القسم

الحمد لله رب العالمين الذي جعل العلم سلماً للرفعة وطريقاً للكمال والصلاة والسلام على سادة الفكر وقادة العلماء وينابيع الحكمة ومُحاة الجهل، أعني محمداً وآله الأطياب.

أما بعد:

رفداً للمكتبة الإسلامية التي تضم بين طياتها مختلف العلوم، وتنتظم في رفوفها أنواع المواضيع، مدت شعبة الدراسات في قسم الشؤون الفكرية في العتبة الحسينية المقدسة يدها لتضع كتاباً جديداً إلى جانب الكتب التي رفدت بها المكتبة الإسلامية، وتفتح صفحات كتابها الجديد لتضعه بين يدي طلاب الحقيقة التاريخية، والباحثين عن أعلام كتّاب السيرة والراغبين في الاطلاع على دورهم في سرد الوقائع والأحداث التي حصلت في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خلال هذا االكتاب الموسوم «الشيعة والسيرة النبوية» لمؤلفه سماحة السيد نبيل قدوري الحسني دامت بركاته، آملين أن يكون نافذة يُرى من خلالها القلم الشيعي ودوره في تدوين السيرة النبوية بيد شيخ كتّاب السيرة «محمد بن اسحاق» ونسأله تعالى أن يجعل هذا العمل المبارك ذخراً لصاحبه في الآخرة إنه ولي التوفيق.

الشيخ علي الفتلاوي

رئيس قسم الشؤون الفكرية والثقافية

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر بما ألهم، والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن أولاها، جم عن الإحصاء عددها، ونـأى عن الجزاء أمدها،وتفاوت عن الإدراك أبدها»[1].

والصلاة على خير الأنام ومجلي الظلام، ومنير الأفهام محمد بن عبد الله وعلى آله الهداة إلى السلام ومثّبِتي الإسلام، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد؛ فان الحديث عن السيرة النبوية ــ على صاحبها وآله أزكى الصلاة والسلام ـ هو حديث عن الأمة التي ولدت بولادة الإسلام، بل هو حديث عن الحضارة الإنسانية؛ منذ ان بعث آدم عليه السلام فكان البنّاء الأول لحضارة بنيه، بني آدم.

والحديث عن سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ـ وبغض النظر عن المفهوم القرآني لولادة هذه السيرة حين بدء الخلق الأول[2]ـ، هو حديث عن فلسفة الوجود وعلة الخلق وغرض البقاء.

(١) هذا ما ابتدأت به بضعة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم خطبتها الاحتجاجية التي ألقتها في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مجمع من المهاجرين والأنصار.

(٢) سأل جابر بن عبد الله، رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أول شيء خلقه الله تعالى فقال صلى الله عليه وآله وسلم: نور نبيك يا جابر.

إلا أنّ هذه العناوين ليست مما احتوته هذه الصفحات، وإنما هي إطلالة على الحركة العلمية التي ظهرت في المدينة المنورة، واستطاعت ان تجمع هذه العناوين في أبحاثها، فبدت لأهل الفكر والدراسة والبحث من الأجيال اللاحقة محطة تزود وتفكر وتأمل، جعلت البعض متحيراً والآخر مستغرباً والبعض الآخر متسائلاً:

من أين حصل عرب الجزيرة على هذا الرقي والحضاري زحفوا هذا الزحف العلمي فقدّموا بعد مرور مائة عام على وفاة رسول المدينة صلى الله عليه وآله وسلم موسوعة علمية، جمعت بين ثناياها تاريخ الخلق وسير الأنبياء وقيام حضارات وأفول أخرى.

ترى أيكون هذا الرقي بفعل الإسلام ممثلاً بنبيّه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أم هو بفعل ما شهدته الجزيرة من توافد بعض الديانات السماوية إليها ولاسيما اليهودية والنصرانية؟.

هذا ما حاوله المستشرق الانكليزي روزنتال، أي إرجاع هذا الوعي التاريخي الذي برز في شخصية محمد بن إسحاق إلى دور التوراة والإنجيل في خلق الوعي التاريخي عند العرب.

فيقول: «إنّ فكرة التاريخ في الكتاب المقدس قد أثرت في النبي، وأن العلماء المسلمين قد استخدموا هذه النظرة التاريخية العالمية في إنتاج مؤلفات تاريخية شاملة، وأنهم أغنوا تلك المؤلفات بمواد تاريخية مأخوذة عن الكتاب المقدس والآثار التوراتية ـ الإنجيلية، وأن ثمة ـ أخيراً ــ توازياً وتشابهاً في «شكل» تقديم تلك المواد بين النصوص التاريخية التوراتية والإسلامية».

وقد استنتج روزنتال من كل أولئك أن ثمة مكاناً خاصاً تحتله تلك المواد التوراتية في علم التاريخ الإسلامي.

وأنها أعطته بعضاً من أهم عناصره معنى. وإن كانت حرمته من الفرصة في أن يحقق تطوراً كبيراً في الفكر التاريخي)[1].

إلا أن روزنتال قد غفل عن أن السر في اهتمام العرب ـ المسلمين ـ بالتوراة والإنجيل إنما كان بسبب التحذيرات التي أطلقها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في اتباع هذه الأمة السنن التاريخية للأمم السابقة، ولاسيما بني إسرائيل فكانت محفزا قويا عند المؤرخين العرب في معرفة تاريخ اليهود والنصارى، وما جرى في أحوالهم من هذه السنن الإلهية (التاريخية).

ومما ساعد على نمو هذه الحركة التاريخية والمعرفية هو (ظهور جماعة من أهل الديانة اليهودية والمسيحية تتصدى بعد إسلامها لإذاعة تلك المعارف، ــ وهم الذين ـ يسميهم ابن إسحاق بـ(أهل العلم الأول).

ويذكرون عن وهب بن منبه أنه قرأ من كتب الأنبياء كتبا يختلف عددها في الروايات بين ثلاثين وبضعة وسبعين أو اثنين وتسعين كتابا.

وهذا على الأقل يعني توفر هذه الكتب في مناطق من الجزيرة والشام والعراق، في القرن الأول الهجري ولو أنها كانت في معظمها على ما يظهر بالسريانية والعبرانية؛ وقد دخل الكثير منها في معلومات هذه الكتب على التاريخ العربي، حتى لقد عرفت آثارها في التاريخ، وفي علوم الدين باسم خاص هو: الإسرائيليات.

---

(١) التاريخ العربي والمؤرخون، شاكر مصطفى: ص١٠٨، نقلاً عن: مؤرخي الشرق الأوسط «نشر برنارد لويس وهولت» أكسفورد نيويورك ١٩٦٢، ص٤٥.

ويبدو مما وجد من أوراق البردي الإسلامي أن ترجمة هذه الأمور والنصوص إلى العربية قد تمت في أوائل القرن الثامن الميلادي أو أواخر القرن الأول الهجري)[١].

فهذه الأسباب هي التي كانت وراء دخول المعارف التاريخية التوراتية الإنجيلية إلى الثقافة الإسلامية، ولاسيما التاريخ والحديث، وهو الأمر الذي يفند المزاعم التي أطلقها المستشرق روزنتال في بحث كتبه عن (أثر التقاليد التوراتية الإنجيلية في التاريخ لدى المسلمين).

والذي يدعي فيه: (أن فكرة التاريخ في الكتاب المقدس قد أثرت في النبي، وأن العلماء المسلمين قد استخدموا هذه النظرة التاريخية العالمية في إنتاج مؤلفات تاريخية شاملة وأنهم أغنوا تلك المؤلفات بمواد تاريخية مأخوذة عن الكتاب المقدس والآثار التوراتية ـ الإنجيلية، وأن ثمة أخيرا توازيا وتشابها في (شكل) تقديم تلك المواد بين النصوص التاريخية التوراتية والإسلامية)[٢].

في حين أن الدافع الذي دفع المسلمين إلى قراءة التاريخ والآثار اليهودية الإنجيلية هو ليس ما تحتويه هذه الكتب من مادة تاريخية، وإنما ــ كما أسلفنا ــ الأحاديث النبوية التي أطلقها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في اتباع أمته سنن الأمم السالفة ولاسيما بني إسرائيل؛ فكان الخوف من الوقوع في هذه السنن ومحاولة تجنبها والنجاة منها هو المحفز الأول في قراءة هذه الآثار التوراتية الإنجيلية، وإلا هذه الآثار كانت موجودة قبل الإسلام لكنها لم تأخذ من الوعي التاريخي عند العرب أي اهتمام يذكر كما يدعي روزنتال.

---

(١) التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص ١٠٧.

(٢) التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص ١٠٧ و١٠٨.

في حين ذهب آخرون كالمستشرق جب هاملتون في وصف مغازي ابن إسحاق إلى القول بـ: «أنها كانت ثمرة تفكير أبعد أفقاً وأوسع نطاقاً من تفكير سابقيه ومعاصريه، لأنه نزع فيها لا إلى تدوين تاريخ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فحسب، بل تاريخ النبوة، بذاتها فوحدة الفكر التاريخي ظاهرة فيها»[1].

وهنا: وإن كان جب هاملتون قد نظر إلى مغازي ابن إسحاق بموضوعية ومهنية، إلا أنه لم يستطع أن يخفي استغرابه في نبوغ ابن إسحاق، وتميزه بالوعي التاريخي، والعمل الموسوعي، وهو ابن الجزيرة التي لم تشهد من المقومات الثقافية التي تؤسِّس لنشأة نتاج فكري كهذا.

هذا النتاج الفكري والموسوعي المميز دفع البعض من الكتاب المسلمين إلى أن ينسب الفضل في ظهوره إلى شيخ محمد بن إسحاق المطلبي، أي: إلى ابن شهاب الزهري، الذي نشأ في أحضان البلاط الأموي، وانتشى من موارده المالية والاجتماعية ـ كما سيمر بيانه ـ بعلة كونه «صاحب الدور الأول في نشأة مدرسة التاريخ في المدينة، فهو الذي وضعها على أسس راسخة»[2].

بمعنى: إرجاع هذا النتاج العلمي والموسوعي ـ مع ما يحف به من مشاعر وجدانية، لكونه حفظ سيرة نبي المسلمين صلى الله عليه وآله وسلم، والسلف الذي ارتبط ذكرهم بذكره ـ إرجاع الفضل فيه إلى البلاط الأموي!.

في حين كان الواقع الذي أظهره البحث مخالفاً تماماً لما ذهب إليه المستشرقون أو الكتّاب الإسلاميون.

---

(١) التاريخ والمؤرخون، شاكر مصطفى: مج١، ج٢، ص٦١، ٦٢.

(٢) الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب: ص٦٧.

بل قد فرض علينا منهج البحث في إعداد هذه الدراسة إلى الرجوع في بحث نشأة علم السيرة النبوية، وتلازم مسارها، وحركتها مع حركة التاريخ.

وان الفضل الأول لولادة هذا النتاج العلمي ــ الذي حاول المستشرقون والمتطرفون إرجاع مكوناته وبيئته إلى التوراة والإنجيل والبلاط الأموي ـ يعود للقرآن الكريم، والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، ومدرسة أهل البيت عليهم السلام.

فهذا الرجل ـ محمد بن إسحاق ــ الذي نشأ في بيت عرف بالموالاة لآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وألتحق بمدرستهم في المدينة والكوفة، كان جاداً ومثابراً في حفظ سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذا؛ قادتنا الدراسة إلى البحث في حركة السيرة النبوية عند المسلمين، وعوامل تكون الوعي التاريخي لديهم، ومراحل تدوينها، وما واجهه التدوين من عقبات تمثلت بحرق بعض الخلفاء للصحائف التي دونت فيها سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته،! وقيام البعض الآخر بمحو هذه الصحائف، ومنع التحديث بها وروايتها، وفي المقابل شهدت مدرسة أهل البيت حركة واسعة وسريعة في التصنيف وتدوين العلوم، ولاسيما علم السيرة النبوية.

كما قادتنا الدراسة إلى: البحث في مراحل تطور علم السيرة النبوية، ونشوء المدارس الإسلامية التاريخية في المدينة والكوفة، والتوقف عند أساطين هذه المدارس الذين أسهموا في تطور علم السيرة في القرنين الأول والثاني للهجرة.

لنستقر أخيراً عند محمد بن إسحاق، ودوره في تطور علم السيرة النبوية، والبحث في منهجه في التصنيف، ودراسة العوامل التي مكنته من أن يكون شيخ كتاب السيرة النبوية!؟. وان يكون الذين جاءوا بعده عيالاً عليه.

وفي ذلك يقول سهيل زركار: (مهما تكن أهمية أعمال مثل الزهري وموسى بن عقبة، فإن عمل مثل ابن إسحاق يبقى الأساسي فيما يتصل بالسيرة وإلى حدّ ما بالتاريخ ـ وتكمُنْ أهميته كمؤرخ في استيعابه لتجارب شيوخه، وفي تطويرها وإعادة تنظيمها من خلال فهمه الجديد للتاريخ، ومن خلال نظرته الشاملة النابعة من ثقافته الواسعة وإدراكه للمغزى السياسي (للصورة التاريخية)، ومن هنا صار ابن إسحاق شيخ كتاب السيرة)[١].

وقد كشفت الدراسة عن:

الأسباب التي أدت إلى اضطهاده ومحاربته فكريا واجتماعيا وعقائدياً، بل إلى نفيه من المدينة وهو شاب في الخامسة والثلاثين من عمره!.

كما كشفت الدراسة عن مواصلة الحرب على ابن إسحاق بعد وفاته، والى يومنا الحاضر، لتنتهي الدراسة بالوقوف عند سؤال مفاده: أمحمد بن إسحاق هو المحارب أم السيرة النبوية؟!.

السيد نبيل قدوري حسن الحسني

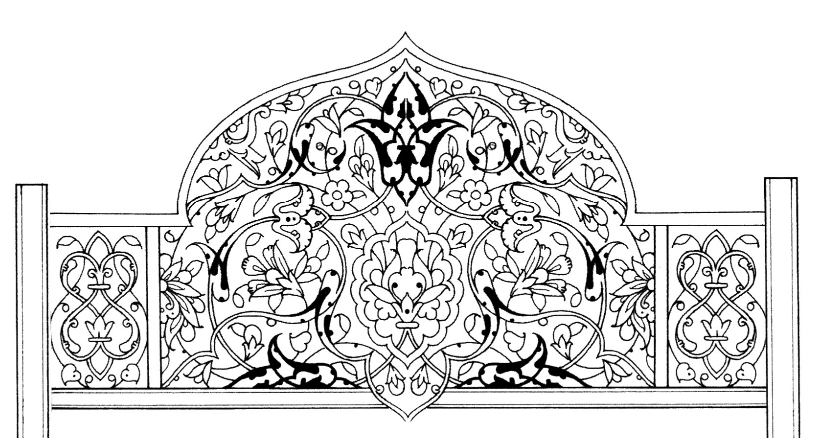
في يوم عيد الغدير الأغر

١٨ / ذي الحجة / ١٤٢٩هـ

١٩ / ١٢ / ٢٠٠٨م

---

(١) سيرة ابن إسحاق، تحقيق سهيل زكار: ص ٩ من المقدمة.



الفصل الأول:
نشأة علم السيرة النبوية

لكي نقف على ظهور علم التاريخ عند العرب واهتمامهم به؛ فلابد من معرفة نشأته وعوامل تطوره، وكيف قام العرب المسلمون بعد ذلك من الاهتمام بالسيرة النبوية وتدوينها؟.

ثم لابد لنا من معرفة الوعي التاريخي للمسلمين؛ وما هو دور القرآن والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في تحفيز هذا الوعي؛ ثم لابد أن نقف عند أولئك الأوائل الذين كانوا مؤرخين ومدونين للسيرة؛ ونسلط الضوء على المؤثرات التي أحاطت بهم من أجواء سياسية وعقائدية واجتماعية وشخصية.

فمما لا شك فيه أن هذه الأجواء تركت آثارها على المؤرخ؛ إذ ليس من المنطقي أن يكون الإنسان الذي أخذ على عاتقه تدوين الحدث ــ أن يكون ــ بمعزل عنه، لاسيما وأن الإنسان العربي يتأثر بالأحداث التي يعاصرها إذا اقتضت الطبيعة القبلية على التأثر القبلي، كما هو واضح في أشعارهم، فيفخرون بأمجاد آبائهم وقومهم وهو ما يعرف بالإحساب. ومما لا يخفى أن هذه الأجواء ما زالت إلى حد ليس بالقليل في كثير من البلاد العربية موجودة، بل ونافذة في تكوين الشخصية العربية.

وقد يرى البعض هذا الأمر من منظور سلبي بوصفه حساً جاهلياً وتمسكاً بما لا يغني ولا يسمن من جوع مع سرعة التطور المدني والحضاري؛ في حين يراه

البعض الآخر ايجابيا، فهو يحافظ على القيم العربية التي تعد رصيدا ضخما، ومكونا أساسياً من مكونات الشخصية العربية.

والذي يهمنا في البحث هو الوعي التاريخي، فهل كان المؤرخ العربي، ـــ والإسلامي تحديدا ـ يعي الحدث حينما دوّنه لنا؟ أم هل كان بمعزل عن الأسباب والدوافع لهذا الحدث أو ذاك؟ ثم ما هو حجم تأثره بأجواء هذا الحدث؟.

ومن هنا: فنحن نجد أنفسنا حينما نقرأ التاريخ العربي الإسلامي نطبق نظرية كولينجود التي (اشتهرت مدة طويلة في العالم الانجلو ساكسوني، تقول: إن التاريخ كله من صنع المؤرخ)[١].

والسبب في ذلك يعود إلى أن الرواية التاريخية لم تخضع للنقد، أي لم يجرِ عليها من الضوابط ما وضع للحديث، وهو ما يعرف بـ(الجرح والتعديل).

ولذا:

«إذا عدنا إلى قواعد النقد (الجرح والتعديل) عند أصحاب الحديث، وقواعد الإمكان والاستحالة عند ابن خلدون، وإذا حللنا ـــ لغويا ومعرفيا ـــ المفاهيم الأصلية المستعملة عند المسلمين، من حديث وأثر وخبر وشهادة وعدالة، نصل إلى تصور متكامل للتاريخ كصناعة تخصص، ونصبح بذلك خبراء متخصصين في ميدان معرفي متميز»[٢].

هذا إذا كان الأمر يتعلق بصناعة التاريخ، وببروز رجال متخصصين في ميدان النص التاريخي وما يحيط به.

---

(١) مفهوم التاريخ، عبد الله العروي: ص ١٨.

(٢) مفهوم التاريخ: ص ٢٠.

لكن التاريخ الإسلامي لا يرتبط فقط بنقل الحدث من الماضي إلى الحاضر، وتسجيل سيرة المسلمين الأوائل؛ وإنما يعد الحدث الإسلامي مرتبطا بعقيدة المسلم، وصلاح دنياه وآخرته.

ولذلك: نجد أن أصحاب الحديث التزموا بضوابط وشروط معينة للراوي وأهملوا الحدث، والزمان، والمكان، الذي أحاط بهذا الراوي أو ذاك.

بل قد اعتمد كثير منهم على مذهب هذا الراوي أو ذاك، فانظر إلى مصطلحاتهم؛ (فيه ميل، زائغ مجاهر، غالياً في التشيع، شيعي جلد، ولكنه صدوق فلنا صدقه... الخ)[1] وهذه الأخيرة هي الطامة الكبرى التي لحقت بكل من يروي حديثا في بني هاشم ولاسيما شيخ كتاب السيرة محمد بن إسحاق ـ كما سيمر علينا بالتفصيل ـ.

ومن هنا: نجد أن هذا الحس ما زال مسيطرا على الكتّاب والباحثين إلى الآن، فكم من دراسة في علم التاريخ لم يكلف الباحث نفسه في الإشارة إلى مؤرخي المسلمين الشيعة على كثرتهم، حتى ولو من باب الإشارة فقط.

وهذا كاشف عن أن الدارس أو الباحث حينما يتحدث عن الوعي التاريخي ينحى في حديثه، ويكتب منحى النشأة والحركة للتاريخ، وليس من منطلق تطور البنية العقلية التي تعي التاريخ كأمة وحضارة ومستقبل.

فمن المؤرخين الشيعة نذكر:

١ ــ عقيل بن أبي طالب (رضوان الله تعالى عليه) الذي يعد كمؤرخ للبيوتات العربية وأنسابها، ولذا عد البعض من (أوائل النسابة المسلمين)[2].

---

(١) أنظر: «سير أعلام النبلاء ـ الذهبي، ترجمة (أبان بن تغلب): ج١، ص٥٩.

(٢) تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين: مج ٢، ج ١، ص ٣٠.

٢ ـ سليم بن قيس الهلالي، صاحب أول مؤلف في تاريخ الإسلام[١]، وقد عرف هذا الكتاب واشتهر بين الأوساط العلمية للمسلمين الشيعة، وعند بعض علماء العامة باسم (كتاب سليم بن قيس).

٣ ـ جابر بن يزيد الجعفي.

٤ ـ أبو مخنف (يحيى بن لوط).

٥ ـ عمر بن سعد بن أبي الصيد.

٦ ـ نصر بن مزاحم المنقري[٢].

٧ ـ عباد بن يعقوب الرواجني (وهو أحد رواة البخاري).

٨ ـ عمرو بن شمر الجعفي.

٩ ـ ابن هلال الثقفي.

١٠ ـ الكاتب الأسكافي[٣].

وعليه: إذا أردنا أن نعي التاريخ الإسلامي فلابد لنا من دراسة الحدث والمحدث والزمان والمكان والأسباب والأهداف والدوافع والعناصر المشاركة، والآثار المترتبة.

وإلاّ سيكتب علينا كأمة إسلامية أن نبقى ندور في الأحداث المأساوية التي أوجدها أهواء الحكام، ونزعات الساسة، ومتزلفيهم الذين كتبوا لهم ما شاؤوا، ودوّنوا الأحداث حسبما رغبوا[٤].

---

(١) كتاب سليم بن قيس: ص ١٢ من المقدمة، بتحقيق محمد باقر الأنصاري.

(٢) نشأة علم التاريخ لعبد العزيز الدوري: ص ٣٣.

(٣) المصدر السابق

(٤) سيمر بيان ترجمة هؤلاء الأعلام في مبحث تدوين السيرة النبوية في القرن الأول للهجرة.

المبحث الأول: نشأة التاريخ عند العرب قبل الإسلام

المسألة الأولى: ما هو المقصود بلفظة «التاريخ»؟

وردت لفظة (التاريخ) في كتب اللغة بمعنى: الوقت.

قال ابن دريد: ورَّخت الكتاب وأرختـه، ومـتى أرِّخ كتابـك، ووُرِّخ أي مـتى كتب[١].

وقال ابن منظور: التـاريخ والتـوريخ: تعريـف الوقـت، أرَّخ الكتـاب ليـوم كذا: وقّته[٢].

وقال الجواليقي: إنّ اللفظة ليست عربية محضة وإنّ المسلمين أخـذوها مـن أهل الكتاب[٣].

وقيل: إنها عربية.

وقيــل: (هــي أكديــة وبابليــة ووردت بــصيغة (أرخ) (Arah) (أرخـا) (Arha) أرخـو (Arhu) ورخـو (Warhu) وتعـني (القمـر) (الهـلال) (الـشهر) (أول الشهر)[٤].

---

(١) جمهرة اللغة لابن دريد: ج ٢، ص ٢٦٦.

(٢) لسان العرب لابن منظور: مادة أرخ.

(٣) المعرب: باب التاء، ص ١٣٧.

(٤) دراسة مصادر السيرة النبوية لسامي البدري: ص ٢١.

المسألة الثانية: معنى «التاريخ» و«الخبر»

كلمة «خبر» التي استعملها العرب في صدر الإسلام لمعنى التاريخ لها في اللغات السامية قصة طويلة، منها معنى:

«الربط والتقييد؛ وفيها من خلال كلمة خبر، معنى: البحث والفحص، ومعنى الأخبار أيضا.

وقد تأخرت كلمة تأريخ حتى ظهرت وفشت على الأقلام الإسلامية؛ ولئن اضطربت تفاسير اللغويين لأصل هذه الكلمة، وشكوا في عروبتها حتى أعطوها أصلا فارسيا: (ماه روز) قالوا إنها حرفت عنه، والأرجح أن جذورها (ورخ) هو جذر سامي ولكنه مأخوذ من لغة اليمن الجنوبية، وليس عن كلمة «يرج» أو «ياريح» العبرية، أو السريانية، كما وردت في الموسوعة الإسلامية، ومعناها الأول هناك هو القمر أو الشهر.

وإذا كانت كلمة تاريخ، تحمل في العربية منذ زمن بعيد خمسة من المعاني على الأقل هي:

١ . سير الزمن والأحداث أي التطور التاريخي، تقابل كلمة (The History of...) وتعني ما يفهم من كلمة التاريخ الإسلامي أو تاريخ إيطاليا.

٢ . تاريخ الرجال أو ما يقابل (The Biography).

٣ . عملية التدوين التاريخي، أو التأريخ ووصف التطور وتحليله، وهي التي تقابل كلمة (Historiography).

٤ . علم التاريخ والمعرفة به، وكتب التاريخ وما فيها، وهو ما يقابل كلمة (The History) المفردة[١].

٥ . تحديد زمن الواقعة أو الحادث باليوم والشهر والسنة (The date).

إذا كان ذلك، فقد مرت هذه الكلمة بأطوار عدة، قبل أن تستقي فيها تلك المعاني، وتحملها في الإسلام»[٢].

ولذا: «فقد وضعوا ــ أي المختصون ــ للتاريخ تعاريف مختلفة ومتعددة، ونظروا له من زوايا مختلفة أيضا، فهناك التصورات العامة للتاريخ، وهناك التصورات الدينية (كالزرادشتية، واليهودية، والإسلام، والمسيحية)، وهنا المعالجات المثالية للتاريخ والتي نشأت في القرن التاسع عشر وما بعده.. إلى غير ذلك».

لكننا نستخلص من جميع المعالجات والدراسات التي تناولت (التاريخ) بأننا نستطيع أن نضع للتاريخ ثلاثة تعاريف، وكل واحد منها يمثل جزءا أو علما من علوم التاريخ، وبين هذه العلوم تقوم علاقات وثيقة.

ألف: التاريخ

هو العلم بالأحداث، والوقائع، والأوضاع، وأحوال البشر الكائنة في زمن الماضي، هذه الوقائع والأحداث والأوضاع التي هي في الواقع أحداث يومية صارت جزءا من التاريخ لمرور الزمن عليها.

---

(١) قال الدوري: يمكن أن نضيف معنى سادسا استمر فترة حسنة خلال التاريخ الإسلامي، وكانت كلمة تاريخ تستعمل فيها بمعنى تراث القوم، وتمثيل الشمائل الأساسية فيهم وكانوا يقولون: فلان تاريخ قومه.

(٢) التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص ٤٩ ــ ٥١.

التاريخ بهذا المفهوم، هو العلم بالأحداث، والأوضاع الماضية، وأحوال الماضي، والكتابة والتأليف في مثل هذا النوع من التاريخ مشهور بين جميع الشعوب والأمم[١].

باء: التاريخ العلمي

وهو العلم بالقواعد والقوانين والسنن المهيمنة على الحياة الماضية، وهذا يأتي من دراسة الأحداث والوقائع الماضية وتحليلها وتشكل مسائل (التاريخ النقلي) المواد الأولية لهذا العلم.

هذا الجانب من التاريخ العلمي، وإن كانت مواده الأولية ترتبط بالماضي، لكنه يستهدف اكتشاف القواعد والقوانين التي يمكن تعميمها على الحاضر والمستقبل. وهذا الهدف يجعل التاريخ مقيدا جدا، ويجعل منه مصدرا من مصادر المعرفة الإنسانية[٢].

جيم: فلسفة التاريخ

إن التاريخ العلمي يرتبط بنوع آخر من التعاريف التي وضعت في مجال تفسير الحركة التاريخية، وكثيرا ما يحدث تداخل بين الاثنين.

ذلك هو ما يطلق عليه (فلسفة التاريخ).

إن «الفيلسوف» لا «المؤرخ» هو الذي «يجعل فلسفة التاريخ» موضوع تحدياته، ومع ذلك، فالفيلسوف يلتزم ويعتمد على ما يقوله، وما يقدمه «المؤرخ» عن التاريخ كشيء ملموس، كما يلتزم به كرواية أو حدث اجتماعي[٣].

---

(١) النظرية القرآنية لتفسير حركة التاريخ لحسن سلمان: ص ٢١.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٠.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٥.

المسألة الثالثة: موضوع التاريخ «التاريخ هو الماضي الحاضر»[(١)]

وقالوا أيضا: «إن التاريخ هو الماضي الحاضر، أي: أن مجموع عوارض الماضي حاضره بأخبارها (آثارها)، وفحص تلك الأَخبار عملية تنجز دائما في الحاضر والتاريخ حاضر بمعنيين: ١ ـ بشواهده. ٢ ـ وفي ذهن المؤرخ.

كثيرا ما تقرأ: لابد من مقارنة الماضي بالحاضر، والحاضر بالماضي، ولا تتعجب، نستخلص منها: أن معرفة الماضي دائما نسبية، إذ تستجيب لمتطلبات الوضع القائم، وأنها دائما عملية إذ تجيب عن أسئلة حالية.

لكن المقولة التي نحن بصددها تذهب أبعد من هذا، معناها، أن الماضي التاريخي هو عالم ذهني، يستنبط في كل لحظة من الآثار القائمة.

أو بعبارة أخرى: موضوع التاريخ هو الماضي الذي هو حاضر، المقصود هنا ليس تمام الماضي، وإنما الماضي التاريخي، أو ما سميناه بالتاريخ المحفوظ؛ فهل يمكن أن يكون غير حاضر في الذهن، في الكلام، في الأشياء... الخ؟.

ينتج عن هذا التحليل: أن الكلام على أحوال الماضي هو نوع من المشاهدة، إذ لم يبق من الماضي إلا الأخبار الدالة عليه والمعاصرة لنا؛ إن التاريخ هو مجال الاستنباط، إذ المؤرخ يحمل في ذهنه كل الأخبار عن الماضي المحفوظ فيستطيع أن يقارن بينها ويستخلص منها قوانين وعبرا، خلاصة بديهية قال بها جلّ المؤرخين القدامى الذين جعلوا من التاريخ مدرسة أخلاق وسياسة»[(٢)].

إذن: موضوع التاريخ هو استخلاص القوانين والعبر من الأحداث وآثار الماضي، وهو بهذا يكون ـ أي التاريخ ـ مدرسة الأخلاق والسياسة.

---

(١) مفهوم التاريخ لعبد الله العروي: ص ٣٨.

(٢) مفهوم التاريخ لعبد الله العروي: ص ٣٨ و٣٩.

المسألة الرابعة: علم التاريخ عند العرب

في خضم هذه التعريفات حول التاريخ، من حيث الاصطلاح والمعنى العام، والخاص، والمفهوم، والحركة التاريخية، كيف هو علم التاريخ عند العرب؟.

«يكوّن علم التاريخ عند العرب جزءاً من التطور الثقافي العام، وصلته بعلم الحديث وبالأدب بصورة خاصة وثيقة، وتستحق اهتماما خاصا، ثم إن ظهور الإسلام، وتكوين الإمبراطورية، والتصادم بين الآراء والتيارات الحضارية، وتطور الأمة وخبراتها، هذه كلّها حيوية لفهم التطورات الأولى للكتابة التاريخية.

ومع أن علم التاريخ عند العرب ظهر في صدر الإسلام، إلا أن الاستمرار الثقافي يوجب الالتفات إلى تراث ما قبل الإسلام»[(١)].

«وقد بدأت كلمة التاريخ مسيرتها أولا بمعنى التقويم والتوقيت في صدر الإسلام الأول، وبعد أن استعملت الكلمة فترة من الوقت بهذا المعنى، كسبت معنى آخر هو تسجيل الأحداث على أساس الزمن.

وكان يقوم مقامها في معنى هذه العملية التاريخية: كلمة خبر، وأخبار، وأخباري، ثم بدأت كلمة تاريخ تحل بالتدريج محل كلمة خبر، وأخذت تطلق على عملية التدوين التاريخي، وعلى حفظ الأخبار بشكل متسلسل متصل الزمن والموضوع، للدلالة على هذا النوع الجديد من التطور في الخبر والعملية الإخبارية.

وكان ذلك على ما يبدو منذ أواسط القرن الثاني الهجري، فما أطل القرن الثالث حتى صارت كلمة التاريخ تطلق على العلم بأحداث التاريخ وأخباره،

---

(١) نشأة علم التاريخ عند العرب لعبد العزيز الدوري: ص ١٣.

وبأخبار الرجال، وعلى الكتب التي تحوي ذلك، وحلت نهائيا محل كلمة الخبر والإخباري اللتين انحطت قيمتهما العلمية قبل أن تختفيا من الاستعمال في القرن الرابع»[١].

«ولعله من الهامّ أن نلاحظ أن أقدم المؤلفات التي حملت اسم التاريخ كانت كتب أحداث لا تراجم بخلاف الرأي الذي ذكره روزنتال في هذا الصدد.

فقد كتب عوانة بن الحكم الأخباري الكوفي (توفي سنة ١٤٧هـ) ٧٦٥ أو ٧٥٨ كتابا عنوانه: كتاب التاريخ، يتناول أحداث التاريخ الإسلامي في القرن الأول الهجري، وهو أول كتاب نعرفه يحمل اسم هذا العلم في الإسلام.

ثم كتب هشام بن محمد بن السائب الكلبي (توفي سنة ٢٠٤هـ) ٨١٩ أيضا كتاب التاريخ وكتابا بعنوان أخبار الخلفاء، وكتب في الوقت نفسه الهيثم بن عدي (توفي سنة ٢٠٦هـ) ٨٢١ كتاب التاريخ على السنين، وكتاب تاريخ الأشراف الكبير، واستقرت من بعد ذلك التسمية، وانتشرت واحتلت عناوين العشرات من الكتب في القرن الثالث للهجرة، ويبدو أن كتب التراجم حملت بدورها عنوان التاريخ في تلك الفترة مع أن بعضها كان يدعى من قبل بالطبقات.

وبالرغم من أن هذه التسمية الأخيرة استمرت وانتشرت إلا أن تسمية محمد بن اسماعيل البخاري (توفي سنة ٢٥٦هـ) لكتابه عن رجال الحديث باسم (التاريخ) تمثل مزجا نهائيا ما بين علم التراجم والأحداث في علم واحد»[٢].

---

(١) التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص ٥١.

(٢) المصدر السابق: ص ٥٢.

المسألة الخامسة: كيف تطور علم التاريخ عند العرب

إلا أن هذا التطور في علم التاريخ عند العرب قبل الإسلام لم يأتِ من فراغ أو هو محض صدفة، وإنما كان له جذوره التي نمت منها أغصانه، وتهدلت عليه أوراقه.

هذه الجذور تمثلت من موقع مكة الديني؛ فهي محل بيت الله الحرام الذي أقامه إبراهيم الخليل (عليه السلام)، مما جعله يضفي بقدسيته على الديانتين اليهودية والمسيحية على الرغم من تمسّكهم ببيت المقدس وأنه قبلتهم.

فضلا عن اهتمام القبائل العربية بالبيت الحرام، وإن كانت على وثنيتها، ناهيك عن الدور المتميز الذي لعبته التجارة في التواصل فيما بين الحضارتين التي نشأت في الجنوب والشمال.

قال الدكتور عبد العزيز الدوري: «في جنوب الجزيرة، تشير الكتابات والنقوش إلى ظهور أربع ممالك خلال المدة ما بين عامي ١٢٠٠ق.م. و٥٢٧م. وقد سارت هذه الممالك في تطورها في اتجاهات متماثلة، فهي تبدأ بثيوقراطية يحكمها أمير كاهن أو (مكرّب)، يمارس السلطتين الدينية والزمنية، ثم تتدرّج إلى ملكية دنيوية تسود فيها بعض الأسر من المحاربين والملاكين.

وقد خلّفت هذه الممالك ـ حسب معلوماتنا الآن ـ كتابات تتراوح تواريخها بين القرن الثامن قبل الميلاد والقرن السابع الميلادي، وتسجل تلك الكتابات الفعاليات المختلفة، مثل أعمال البر والتقوى، وتقديم الجزية، ومشاريع الري، وإنشاء الأسوار والتحصينات والحملات العسكرية»[1].

---

(١) نشأة علم التاريخ عند العرب لعبد العزيز الدوري: ص ١٣.

«ومع أن بعض هذه الكتابات دينية في طبيعتها، إلا أن بعضها الآخر في الأساس تسجيل للفعاليات البشرية، وتخليد للأعمال الهامة. ونجد فيها في البدء طريقة مشوشة لتأريخ الحوادث، إلا أن تقويما ثابتا أدخل في ما بعد يبدأ بسنة ١١٥ق.م. مما أدى إلى نظام ثابت للتأريخ. هذا التطور مع تسجيل الأعمال البشرية قد يوحي بوجود شيء من الفكرة التاريخية»[١].

«أما في شمال الجزيرة، فقد كان لدى المناذرة (كتب) تحوي أخبار عرب الحيرة وأنسابهم وسير أمرائهم، وكانت هذه محفوظة في كنائس الحيرة، كما أنهم كانوا يعرفون كثيراً من الأخبار الفارسية، وقد استفاد بعض المؤرخين في ما بعد من هذه الكتب والأخبار في تأليفهم، ولكننا لا نجد ما يشير إلى أن عرب الحيرة كانت لديهم فكرة تاريخية واضحة.

أما عرب الشمال، فقد كانت لهم روايات شفوية من قصص عن آلهتهم، وروايات عن شؤونهم الاجتماعية ومآثرهم، ويدور جلّ تلك الروايات حول غزواتهم ومعاركهم (الأيام) وحول أنسابهم، وهي تتّصل بالتنظيم الاجتماعي وبالآراء والمثل الاجتماعية، وفي طليعتها المروءة، أو مجموعة الفضائل البدوية، وفكرة النسب، أو شرف الأصل، وفكرة الحسب، أو نيل الأعمال والمآثر. إذ يلزم الأفراد أن يعرفوا آباءهم والمآثر التي قاموا بها، كما أن (الأيام) تجد عناية خاصة في المجتمع القبلي.

وهكذا كان لدى القبائل قصص وأخبار عن أعمالها. وكانت الروايات القبلية هذه تتداول شفهيا؛ وبصورة نثرية؛ ولكن الشعر يلعب دورا أساسياً في الرواية الشفهية، يتخلّل القصة، أو يرد في نهايتها حسب دور الشاعر، إذا شارك في

---

(١) المصدر نفسه: ص ١٤.

الحوادث أو لم يشارك. وهذا الشعر لا يسير بالقصة، ولكنه يعطيها حيوية وتأثيرا.

وبمرور الزمن أصبح الوثيقة التي تعزز صحة القصة. يقول ابن فارس: (الشعر ديوان العرب، وبه حفظت الأنساب وعرضت المآثر، ومنه تعلّمت اللغة...) وقد نشأت قصص (الأيام) في المجالس القبلية المسائية.

وكانت قصص (الأيام) مجموعة روايات شفوية قبلية جماعية، وهي ملك مشترك للقبيلة، وبقيت كذلك حتى القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، حين جمعت هذه الروايات وصنّفت)»[١].

وعليه: يمكن أن نستنتج من ذلك:

أ ــ «أن المادة التاريخية الجاهلية نوعان: بعضها قصص ديني وثني، أو يهودي، أو مسيحي، نقله الأحبار والرهبان معهم؛ أو أخبار من التاريخ الفارسي، كالذي جلس يرويه الحارث بن كلدة لقريش منافسة منه للنبي في القرآن، وما يحظى من أخبار الأولين، ونجد شيئا من أصداء هذه المعارف ولاسيما ما يتعلق بأهل الكتاب في القرآن الكريم.

وأما النوع الآخر فروايات جماعية، بدوية المنشأ تروي النزاع القبلي، وتحمل اسم (الأيام)، وتضم ذكريات التاريخ البدوي للقبائل. وبالرغم من أن هذه الأشكال من القصص ذات جذور تاريخية إلا أن صلتها بالتأريخ بالمعنى المعروف للكلمة صلة بعيدة. أنها قصص مرسل مقطوع الصلة بالزمن، أو يحمل فكرة جد غامضة عنه، ويقدم بروايات مسجلة هي بين الأسطورة والواقعة التاريخية»[٢].

---

(١) نشأة علم التاريخ للدوري: ص ١٥ و١٦.

(٢) التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص ٥٤

ب ـ «وأما الأنساب فهي سلاسل أسماء تدعو لها الحاجة الاجتماعية القبلية للتعارف والتمايز. انها كالأعمدة تنسج من حولها بعض القصص الذي يحفظ تكوينها، هي في الواقع: التاريخ الانتروبولوجي التقليدي والهيكل العظمي للفكرة التاريخية.

وبالرغم من أنها أكثر تاريخية من القصص باعتبارها شكلا من أشكال التعبير التأريخي يسجل إطار التكون القبلي إلا أن المعلومات النسبية الجاهلية بقيت شفهية فترة طويلة بعد الإسلام، وتحول شكلها المسجل لدينا من بعد شكوك كثيرة، منها أنها تقسم العرب أفقيا تقسيما ثلاثيا أو ثنائيا، (عاربة، ومستعربة، وبائدة)، ثم تقسمهم شاقوليا إلى أقسام منفصلة، بمعنى أن العرب ليسوا شعبا واحدا، ولكنهم تركيب مزجي استمر خلال العصور الطويلة محتفظا بعناصره المكونة دون تفاعل أو امتزاج، وهو إن صح في بعض القبائل البدوية المنعزلة فليس يصح لعرب الجنوب الذين قضوا في حياة الاستقرار حوالي عشرين قرنا قبل الإسلام ولا لعرب الشام أو الحيرة»[١].

«وكان للأنساب عند عرب الجاهلية وصدر الإسلام المكانة الأولى بين اهتماماتهم التاريخية، ولم تذكر للأسف أسماء الكتب المتداولة في العصر الجاهلي.

كما لم يخبّ اهتمام العرب بالعصر الجاهلي مع الإسلام الذي أوجد اتجاهات جديدة في الاهتمام بالتاريخ، فكثير من الصحابة المرموقين امتازوا بأنهم نسابون، وعد كثير من قدامى التابعين الذين ألقوا كتبا في المغازي والفتوح نسابين عظاما»[٢].

---

(١) المصدر السابق: ص٥٥.

(٢) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج ١ ، ج ٢، ص ٢٧.

«وقد انتقلت الأنساب بالرواية عبر القرن الإسلامي الأول إلى عصر التسجيل، في القرن الثاني. ولم يضعف اهتمام العرب بها كثيرا رغم استقرارهم الحضري، لأنها ركبت السياسة أو أن السياسة ركبتها فأخذ النسب شكل النزاع القائم، وكان قناعا للأطماع وتنازع النفوذ والتنافس في الرزق والمركز.

إلا أن الأنساب حين سجلت لم تحمل معها كثيراً من المادة التاريخية، وظلت حتى في القرون التالية، وحتى القرن السابع وما بعده علما مستقلا يرفد التاريخ لكن لا يندمج فيه، وهذا يعني أن النسب لم يسهم إلا قليلا في إيجاد الأدب التاريخي، وفي تكوين صورة التاريخ الإسلامي. وهذا التاريخ لم يقم بالاعتماد عليه ولكن بالاعتماد على أسس وعوامل أخرى»[1].

كان من أهمها الإسلام الذي أعطى صورة جديدة ونوعية لحركة التاريخ عند العرب. إلا أننا قبل أن ندخل في خضم دور الإسلام في تطور الحركة التاريخية عند العرب، نشير إلى بعض رواد علم الأنساب عند العرب قبل الإسلام وبعده؛ والذي كان لهم الدور المميز في نشوء حركة التدوين.

١ ـ جبير بن مطعم: (هو أبو عَدِي جبير بن مطعم بن عدي، القرشي، أحد مشاهير علماء الأنساب عند العرب، كان قد أسلم قبل فتح مكة وكلفه عمر بن الخطاب أن يدون بالاشتراك مع عقيل بن أبي طالب، ومخرمة بن نوفل ثبتا بأنساب العرب.

أخذ النسب في رأي الزبير بن بكار عن أبي بكر، وعن جبير أخذ تلميذه سعيد بن المسيب المتوفي ٩٤هـ وابناه محمد ونافع من بعده، وعنه نقلت معلومات في الأنساب؛ وتوفي سنة ٥٩هـ/٦٧٩م)[2].

(١) التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص ٥٦.

(٢) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج ١، ج ٢، ص ٢٩.

٢ ـ عقيل بن أبي طالب (رضي الله عنه): «هو أبو يزيد، عقيل بن أبي طالب الهاشمي، وهو أخو علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأسن منه، برز اسمه في الجاهلية ـ واكتسب مكانات بين قريش؛ لأنه كان أحد الذين يتحاكم الناس إليهم في المنافرات ـ.

وعقيل هو أخو الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأسن منه، وكان الناس يأخذون عنه الأنساب في مسجد المدينة، وكان يحكي لهم عن أيام قريش ومثالبها.

وكان أحد ثلاثة علماء قاموا بتدوين أنساب العرب، وتوفي مكفوف البصر سنة ٦٠هـ/٦٨٠م»[١].

٣ ـ مَخرَمَة: «هو أبو صفوان، مخرمة بن نَوفَل بن أُهيب الزهري القرشي، ولد قبل الهجرة بستين عاما تقريبا، أسلم بعد فتح مكة وكان يعد من كبار التابعين ورواة الشعر العربي القديم من بين المخضرمين.

كلفه عمر بن الخطاب أن يسهم مع عالمين آخرين في إعداد ثبت بأنساب العرب، كان من بين من وضعوا حدود المنطقة الحرام في مكة، وكف بصره في خلافة عثمان وتوفي سنة ٥٤هـ/٧٦٤م»[٢].

وقد برز غير واحد من علماء الأنساب في العصر الأموي، ففضلاً عمّا ذكر «فقد عرف كل من:

١ـ الأقرع بن حابس التميمي: كان من سادات العرب في الجاهلية حكما مرموق المكانة أسلم وشهد فتح مكة، ووصف بأنه كان عالم العرب في زمانه.

---

(١) المصدر نفسه: مج ١، ج ٢، ص ٣٠.

(٢) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج ١، ج ٢، ص ٣١.

٢ـ عَبيد بن شريّة (أو: عُبَيْد) الجرهمي، عاش في الجاهلية والإسلام ويقال: إنه عمّر طويلاً إلى أن أدرك حكم معاوية، وكان راوية الأعشر.

٣ـ صحار بن العباس، أبو عيّاش بن شراحيل العبدي من بني عبد القيس، كان صحابياً ومن أنصار عثمان، وشهد معركة صفين في صفوف معاوية.

٤ـ خويطب بن عبدالعزى بن أبي قبس، هو أحد أربعة قرشيين كانوا علماء بالشعر والأخبار والأنساب، أسلم بعد فتح مكة.

٥ـ زياد بن أبيه بن سمية ألحقه معاوية بأبيه أبي سفيان، وقد خالف في ذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال:

«**الولد للفراش، وللعاهر الحجر**».

٦ـ النخّار بن أوس، كان خطيباً ونسابة، وهو في رأي ابن الكلبي أعظم علماء العرب في الأنساب.

٧ ـ أبو كلاب، كان من أفضل النسابين ولد في الجاهلية وأدرك الإسلام.

٨ ـ أبو جهم، عامر أو عمير بن حذيفة، أسلم عام الفتح.

٩ ـ ابن الكواء، عبد الله بن عمرو بن الكواء اليشكري، كان من زعماء الخوارج «توفي عام ٨٠هـ».

١٠ ـ مثجور بن غيلان، أصله من البصرة كان خطيباً وعالماً بالأنساب.

١١ ـ ابن الكيس، زيد بن الكيس النحري، يرجح انه عاش في صدر الإسلام.

١٢ ـ دغفل بن حنظلة بن الشيباني، نسابة العرب ضرب به المثل في معرفة الأنساب.

١٣ ـ علاقة، ـ بكسر العين أو بفتحها ـ بن كرسم الكلابي.

١٤ ـ خُبيب بن عبد الله بن الزبير الأسدي، أكبر أبناء عبد الله بن الزبير.

١٥ ـ مُقاتِل الأصول بن سنان بن مرشد.

١٦ ـ المسمعي، عامر بن عبد الملك المسمعي.

وقد برز جميع هؤلاء كعلماء للأنساب في العصر الأموي»[(١)].

أما مَنْ برز في العصر العباسي من رجال هذا العلم الذي يعد النواة لظهور علم التاريخ وأحد أهم العوامل في نشوئه وحركته وتدوينه، «فمنهم ما يلي:

١ ـ خالد بن طليق: وهو أقدم علماء الأنساب في العصر العباسي، كان قاضيا على البصرة من قبل المهدي العباسي سنة ١٦٦هـ/٧٨٢م، وذكر له ابن النديم الكتب التالية:

أ ـ كتاب المآثر.

ب ـ كتاب المتزوجات.

ج ـ المناظرات.

د ـ البرهان.

٢ ـ أبو اليقظان (سُحيم): كان أحد كبار العلماء بتاريخ الجاهلية.

٣ ـ الضحاك بن عُثمان القرشي: علامة المدينة المنورة بأخبار العرب وأيامها وأشعارها.

٤ ـ لقيط المحاربي الكوفي: كان زاهدا عالماً بالأنساب وبأخبار العرب وأشعارها.

---

(١) انظر في ترجمة هؤلاء: تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج ١، ج ٢، ص ٣١ ـ ٤٣.

٥ ـ أبو البختري: وهب بن وهب بن كبير، قرشي ولد بالمدينة، كان محدثاً ضعيفاً لا يوثق به، ولكنه كان من العلماء بالأنساب والأخبار.

٦ ـ إبراهيم بن موسى بن صديق: كان عالما بالشعر وتاريخ العرب.

٧ ـ عمارة بن القداح (أبو محمد عبد الله بن محمد بن القداح): كان من كبار علماء الأنساب في عصره، ومن تلاميذه مصعب الزبيري، وابن سعد، وعمر بن شبّة.

٨ ـ ابن السائب الكلبي (أبو المنذر، هشام بن محمد): ولد في الكوفة وتوفي بها سنة ٢٠٤هـ/٨١٩م، ورث الاهتمام بتاريخ العرب القديم عن والده الذي يرجع إليه الفضل في جزء من معارفه في هذا الميدان.

شغل بموضوعات مختلفة من التاريخ العربي القديم، وكان يفيد في تاريخ الفرس من الكتب المترجمة عن الفارسية. وقد استخدم في تاريخه للأمويين كتباً كثيرة؛ وقد أفاد من نقوش كنائس الحيرة للتعرف على تاريخ اللخميين.

٩ ـ عَلاّن الشُعوبي الورّاق: كان نسابة ذا اهتمام خاص بمثالب العرب.

١٠ ـ مصعب الزبيري: كان يعد نفسه عالما بالأنساب ومحدثا.

١١ ـ الهيثم بن عدي: كان مؤرخا عالما بالأنساب وأديبا»[1].

فهؤلاء وغيرهم كانوا ممن أسهموا في نشأة علم التاريخ عند العرب وتطويره، وقد تأثروا بشكل كبير بالإسلام كأحد أهم العوامل الفعالة في حركة التاريخ وتطوره، وهو ما سنتناوله في المبحث التالي.

---

(١) انظر في ترجمة هؤلاء وغيرهم ممن برزوا في العصر الأموي كعلماء للأنساب والتاريخ: (تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج ١، ج ٢، ص ٤٥ ـ ٥٨.

المبحث الثاني: دور الإسلام في حركة التاريخ

بعد أن أخذت حركة التاريخ عند العرب شكلها الذي مرّ بيانه ـ والذي هو عبارة عن ذكر أحوال الماضين في الأندية المكية بأسلوب قصصي عرف باسم (الأيام)؛ يضاف إليه اهتمامهم بالأنساب وتفاخرهم بها، مع ما أفضته ثقافة أهل الجنوب والشمال على هذه الحركة للتاريخ ـ جاء الإسلام ممثلا بالقرآن ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما ورد عنهما من مفاهيم حديثة وبخاصة بالتاريخ وحركته ودوره وعلاقته بالإنسان والطبيعة والعقيدة، فأعطى منهجا جديدا لهذا العلم ودفعا حيويا وفعالاً للحركة التاريخية عند العرب ولاسيما أهل مكة.

ويمكن فهم دور القرآن في حركة التاريخ وتطوّره من خلال المسائل الآتية:

المسألة الأولى: نظرة القرآن إلى الماضي

لقد جاء القرآن «بنظرة جديّة إلى الماضي، وأشار إلى أن ذكريات العرب الماضية محدودة، وعاد إلى بدء الخليقة. وأكد القرآن على أمثلة التاريخ الغابر وعظاته، وذكر حوادث الأمم والشعوب السالفة؛ للتأكيد على العبر الدينية والخلقية التي تنطوي عليها»[١]. وقد تحدث القرآن كثيرا عن أساطير الأولين، ولا يعني ذلك الأسطورة الخرافية ولكن ما هو مسطور مكتوب لدى الناس، أي ليس بجديد ولكنه مؤرخ معروف من قبل، وهذا يعني أن الجاهليين قد أدركوا ما في القرآن من صلة مع الفكر الديني السابق، وما يملأ الجو القرآني بوضوح منه وأنه يروي قصصا وأمورا تاريخية لها كتبها وذكرها المسطور.

---

(١) نشأة علم التاريخ للدوري: ص ١٧.

كما أن القرآن استطاع أن ينتزع العرب من الإطار القبلي، ومن الجو الوثني ولهذا استخف بالأنساب وبقصص الأيام وبمثل الجاهلية وبدّلهم منها جوا ثقافيا آخر ربطهم بسلسلة التاريخ الوجداني للبشرية، أي أعطاهم بعدا زمنيا جديدا قوامه التاريخ الماضي كله، من خلال سلسلة الأنبياء عليهم السلام المتمادية منذ مبدأ الخلق»[1].

ولذا: «نجد القرآن الكريم قد دعا إلى التفكير في أحداث التاريخ، «من خلال استعمال المشاهدة، وتحكيم العقل معا، لتكوين العقيدة، فدعم المدركات العقلية بالشواهد الحسّية، ودعا إلى استكشاف أسرار الخليقة، ومعرفة سنن الاجتماع الإنساني في التطور، وتدبر أحداث الكون.

فالقرآن يعرض صور الحياة، وأحداثها التي جرت على الأمم السابقة، ويستخلص منها العبر والحكم ويحذّر الناس أن يقعوا فيما وقعت فيه تلك الأمم، من طغيان مالي، أو استبداد سياسي، وتكذيب وجحود، وعصيان وفسوق، فحاق بهم العذاب»[2].

المسألة الثانية: عالمية التاريخ في القرآن الكريم

من المفاهيم التي جاء بها القرآن الكريم، والمتعلقة بنظرته للتاريخ هو مفهوم العالمية، وهذا يعني أن القرآن لم يجعل العرب كأمة محصورة ضمن حدودها الجغرافية، والتي يكون لها ماضيها المحصور في قصص الأيام وبيوت القبيلة، بل نقلهم إلى حضارات متعددة وأطلعهم على ثقافات متنوعة.

---

(١) التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص ٥٨.

(٢) النظرية القرآنية لتفسير حركة التاريخ لحسن سلمان: ص ٥٣ و٥٤.

ثم أنه لم يكتفِ بذلك بل أراد منهم أن يتصدوا لزيادة المناصب المتقدمة في صياغة حضارات الأمم السابقة وتطويرها ودفعها، وهو ما عبر عنه القرآن الكريم بموقع الشهودية والوسيطة التي رجع إليها في التزود بعوامل الرقي والتقدم،والبناء الإنساني والمجتمعاتي.

أ . قال تعالى:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾[1].

هذه العالمية للتاريخ التي جاء بها القرآن انعكست على نمط كثير من المسلمين وسلوكياتهم في اكتسابهم العلوم وحركتهم العالمية فيما بعد.

لكن الحافز والدافع لريادة هذا الموقع العالمي كان من خلال نظرة القرآن لعالمية التاريخ وربط أمة الإسلام بجميع الحضارات السابقة.

وقد تمثلت هذه النظرة القرآنية إلى عالمية التاريخ من خلال توالي النبوّات من آدم عليه السلام إلى الحبيب المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وعرضه لسير هذه النبوّات من خلال منهجين أساسيين ومؤثرين على النفس الإنسانية وهما؛ القصص والأمثال.

فأما القصص: (فإن العروض القرآنية للتاريخ وهي تحدثنا عن مواقف الأفراد والجماعات إزاء عدد من الأحداث والقيم التاريخية والتي قد يمتد بعضها إلى خلق آدم. ويصل بعضها الآخر إلى عدد من التجارب التي مارسها أفراد عاديون سلبا أو إيجابا أو نفذها قادة وملوك وزعماء كبار، يتضح ذلك بالوقائع الخاصة بفرعون وقارون وذي القرنين وأصحاب الفيل، مرورا بسلسلة الأنبياء الطويلة التي

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

بعثت ــ كل ذلك ــ لكي تجدد الحوار الموعود، منذ عهد آدم بين السماء والأرض، وتسعى بأقوامها إلى صياغة حركة التاريخ بما ينسجم ومركز الإنسان في الكون.

إن القرآن يبين لنا في حشد آخر من الآيات الهدف من إيراد القصص، والعروض التاريخية، وهو الهدف نفسه الذي يمكن أن يتمخض عن أي مطالعة جدّية ملتزمة لحركة التاريخ)[1].

ب . «وعلى الرغم من أن الغرض ــ من القصص ــ هو الموعظة والاعتبار. ﴿أَفَلَمْ يَرَوْاْ﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾.

إلا أن الرغبة في معرفة تفاصيل ما أجمله القرآن الكريم من ذلك القصص؛ فتحت بابا من أبواب المعرفة الدينية دخل منه التاريخ، ودخل كرديف ديني شرعي لعمليات التفسير القرآني، وإذا كان كثيرٌ من الإسرائيليات قد دخلت من هذا الطريق إلى التاريخ الإسلامي، كما دخله كثيرٌ من الأخبار القبلية والأجنبية، فأهم من ذلك أن القرآن الكريم منح بذلك نظرة جديدة إلى الماضي، كرسته كأساس فكري للعقيدة»[2].

(إن قصص الأنبياء عليهم السلام من أهم العوامل النفسية التي لجأ إليها القرآن، في الجدال مع مخالفيه، والتبشير برضوان الله، والتحذير من معصيته، وفي شرح مبادئ الدعوة الإسلامية وأهدافها، وفي تثبيت قلب من اتبع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. كما أن الغاية من قصص الأنبياء عليهم السلام أن الدين كله من عند الله من عهد نوح إلى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأن المؤمنين برسل الله كلهم أمة واحدة والله الواحد رب الجميع»[3].

(١) النظرية القرآنية لتفسير حركة التاريخ لحسن سلمان: ص ٧٣.

(٢) التاريخ والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص ٦٠.

(٣) النظرية القرآنية لحسن سلمان: ص٧٤، نقلا عن: مع الأنبياء في القرآن لعفيف عبد الفتاح: ص٢٤.

بمعنى: أنّ القرآن نقل التاريخ من محله المحصور ضمن رقعة جغرافية محدودة إلى حضارات نشأة على مواقع متعددة وفي أزمنة مختلفة، بل: كانت هذه النظرة القرآنية أوسع وأعمق من ذلك حينما نقل الإنسان خارج حدود الزمان والمكان، فربطه بالكون وعواقب الأفعال وتحكم السنن.

﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًا﴾[١].

وهو ما دلّ عليه كثير من الآيات القرآنية. قال تعالى:

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[٢].

﴿تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَا﴾[٣].

﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٤].

﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ﴾[٥].

﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾[٦].

﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[٧].

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦٢ وسورة الفتح، الآية: ٢٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٢.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٠١.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٧٦.

(٥) سورة هود، الآية: ١٠٠.

(٦) سورة يوسف، الآية: ٣.

(٧) سورة يوسف، الآية: ١١١.

﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[١].

أما منهج الأمثال الذي جاء به القرآن الكريم للتعبير عن نظرته العالمية للتاريخ فقد جعل منها مادة خصبة لنمو الحركة التاريخية، وشموليتها العالمية منذ آدم عليه السلام إلى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم من جانب، ومن جانب آخر دفع الفكر الإنساني إلى أثر هذه الحركة العالمية للتاريخ في رسم المستقبل القريب والبعيد للأمة الإنسانية ولاسيما المسلمة بوصفها ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[٢].

كما أن هذا المنهج القرآني أعطى بنية جديدة لحركة الإنسان في الحياة الدنيوية والأخروية، من خلال تحريك البنوية العقلية، ودفعها نحو التفاعل مع القنوات المعرفية، أي ربط الإنسان بكل ما يدور من حوله، كي يرسم حياة كريمة مفعمة بالخير والسلام.

يقول السيد العلامة الطباطبائي: (تصريف الأمثال ردها وتكرارها وتحويلها من بيان إلى بيان ومن أسلوب إلى أسلوب ـ غاية ذلك ـ أن يوضح لهم سبيل الحق، ويمهد لهم طريق الإيمان والشكر)[٣].

قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾[٤].

---

(١) سورة هود، الآية: ١٢٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٣) تفسير الميزان لمحمد حسين الطباطبائي: ج ١٣، ص ٢٠٢.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٤١.

بل يظهر القرآن الكريم انحصار من لا يعتبر بهذا النهج القرآني، وهم الكفار فيتحولون من المحور العالمي إلى المحور الفردي المتقوقع والمهمل، من خلال تغليب الجهل على العقل وحجره وعزله عن التفكير في هذه المناهل المعرفية، الممثلة بالأدلة والحجج التي ضمها منهج القرآن عند إيراده الأمثال.

فيعطي صورة واضحة الملامح لمستقبل هؤلاء وترديهم وانحطاطهم، حينما يتولد عندهم النفور من هذه الحضارة القرآنية، وهذا النهج التعليمي لاكتساب العلوم.

المسألة الثالثة: كيف ينظر القرآن إلى السنن التاريخية؟ وما علاقة الإنسان بها؟

أولا: حقيقة سريان السنن التاريخية في الأمم

لا تختلف العلوم التطبيقية من الإنسانية في الوجود الحياتي، هذا الوجود الذي نشأ وتبلور فيه النهوض على السنن والقوانين الخاصة بتلك العلوم سواء كانت رياضية أو منطقية أو مجردة عن الحس الوجداني كونها مادة؛ أو تلك العلوم التي اختلج في مكوناتها الوجودية الحس الوجداني الإنساني فاقترن بقاؤها ببقاء الإنسان.

والقرآن الكريم حينما يدعو العقل البشري إلى النظر والتأمل والتفكير في خلق السموات والأرض والآفاق، وما تشابك في قيامها من سنن وقوانين فيزيائية ورياضية وغيرها، هو في نفس الوقت يدعوه إلى النظر والتفكير في نفسه وخلقه وما ارتبط بينه وبين العوالم السماوية والأرضية بسنن وقوانين كان المؤثر الأكبر في تحريكها عمل الإنسان بشقيه الخير والشر.

بمعنى أن هذا العمل محكوم بسنن كونية قائمة في الحياة لا تتعدى أحدا من البشر، حالها حال السنن الفيزيائية والمنطقية الرياضية، وهو ما قدمه القرآن ضمن عنوان السنن التاريخية. قال تعالى:

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[١].

وقال سبحانه:

﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾[٢].

وقال عز وجل:

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٣].

وقال عز شأنه:

﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[٤].

وغيرها من الآيات التي أظهرت آثار السنن التاريخية في مسيرة الحياة الإنسانية.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٧.

(٢) سورة غافر، الآية: ٨٥.

(٣) سورة النساء، الآية: ٢٦.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٨.

ولقد (تبلورت الفكرة القرآنية للسنن التاريخية في عدد كثير من الآيات والمقاطع القرآنية بأشكال مختلفة، وصور متعددة، وألسنة متباينة.

ففي بعض هذه الآيات أعطيت الفكرة بشكلها وصياغتها الكلية؛ فيأتي التعبير القرآني حول الفكرة مجملا عاما، وفي بعض الآيات الأخرى أعطيت الفكرة القرآنية على مستوى التطبيق على المصاديق والنماذج، وفي بعضها الآخر وقع الحث على الاستقراء، والفحص الاستقرائي، والتتبع العلمي للشواهد التاريخية من أجل الوصول إلى القانون التاريخي)[١].

فكان من بين بنود هذا القانون التاريخي في القرآن هو عاقبة سلوك التجمعات البشرية التي عبر عنها القرآن بـ(الأمة) أو (الأمم) التي كانت قبل أمة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

والغرض في هذا العرض القرآني لعاقبة المجتمعات السابقة هو الغرض الإرشادي، بمعنى أن الأفعال الجماعية والصفات الغالبة على بعض المجتمعات كقتل الأنبياء عليهم السلام، وتكذيبهم كما في بني إسرائيل؛ واكتفاء الرجال بالرجال كما في قوم لوط، والإعراض عن الدعوة وعدم الاستجابة للنذير كما في قوم نوح عليه السلام؛ ونكران الخليفة والوصي وإتباع السامري كما في قوم موسى عليه السلام، وغيرها من الأفعال الجماعية التي سلكتها الأمم السابقة كلها تعبر عن سنن تاريخية، جرت في هذه الأمم، فأظهرت للمسلمين وغيرهم أن عاقبة هذه الأفعال الجماعية تكون جماعية الوقوع.

بمعنى أن العقاب سيقع على الجميع دون استثناء، وإن كان هناك تفاوت في

---

(١) النظرية القرآنية لتفسير حركة التاريخ لحسن سلمان: ص ٨٧.

صدور الأفعال من بعض الناس؛ فالساكت عن الظلم وفاعله سواء، بل أبعد من ذلك الرضا بفعل الظالم إشراك في الظلم، كما دلت عليه مجموعة من الآيات.

قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[١].

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾[٢].

وقال عز وجل:

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[٣].

ثانيا: تحقق الغرض الإرشادي في عرض السنن التاريخية

وقد أظهر القرآن الكريم الغرض الإرشادي في إيراد السنن التاريخية التي جرت في الأمم السابقة، فقال تعالى:

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾[٤].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٢١.

(٢) سورة الحج، الآيات: ٤٢ ـ ٤٤.

(٣) سورة الحج، الآية: ٤٨.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٥٥.

وقال عزّ شأنه:

﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾[1].

وقال سبحانه:

﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[2].

فهنا: تظهر الآية الكريمة اشتراك الفرد مع الأمة في الأجل الواحد، في حين أن لكل فرد أجلاً خاصاً به، فما هو سبب اشتراك جميع أفراد الأمة في موت ونهاية واحدة؟.

يجيب السيد محمد باقر الصدر قدس سره: «هناك دائما وراء الأجل المحدود المحتوم لكل إنسان بوصفه الفردي، هنالك أجل آخر وميقات آخر للوجود الاجتماعي لهؤلاء الأفراد، للأمة بوصفها مجتمعا ينشئ ما بين أفراده العلاقات والصلات القائمة على أساس مجموعة من الأفكار والمبادئ المستندة بمجموعة من القوى والقابليات»[3].

بمعنى آخر:

«هذا المجتمع الذي يعبر عنه القرآن بالأمة، له أجل، له موت، له حياة، له حركة كما للفرد يتحرك فيكون حيا ثم يموت، كذلك الأمة تكون حية ثم تموت،

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣٤.

(٣) سنن التاريخ في القرآن لسيد محمد باقر الصدر: ص ٥٧.

وكما أن موت الفرد يخضع لقانون معين، كذلك الأمم أيضاً لها آجالهم التي تخضع لقوانين معينة»[1].

وهذا الذي أراده القرآن من المسلمين بوصفه كتابهم الذي يرجعون إليه في معرفة دينهم، أن يلتفتوا إلى تلك القوانين التي خضعت لها الأمم السابقة، ولم يكن لها أن تتفلت من سطوتها؛ فليس الفرد حينما يكون ضمن مجتمع معين أن يحيا أو يموت أو ينمو بمعزل عن الأمة التي ينتمي إليها.

إذ قد يظن كثيرون بأنه بمنأى عن عواقب انحراف الأمم والجماعات التي يعيش معها وينتمي إليها، بل: لعلنا نجد أن هذه الحالة قد أخذت مآخذها من الأمم المحاضرة، في حين يعرض القرآن الكريم حتمية إجراء هذه السنن في الأمم كافة؛ فقد يموت الإنسان قبل موت الأمة، ألا أنه يفنى في ماله وذريته، فيكون حينها قد مات مع الأمة التي ينتمي إليها، ناهيك عن ما يحمله من الآثام التي شارك الأمة فيها.

ثالثا: علة تأخير العقوبة الجماعية

لكن القرآن الكريم؛ في الوقت الذي يتحدث عن تلك السنن التاريخية، وما تؤول إليه عواقب الأعمال الفردية والجماعية، هو في نفس الوقت يتحدث عن سنن أخرى، هي تأخير العقوبة الجماعية لحكمة خاصة، منها الرحمة والمغفرة؛ ومنها (الإصلاح)، وهو الغاية المنشودة في عرض سيرة الأمم السابقة، وما آلت إليه عواقب أفعالها.

---

(١) النظرية القرآنية لتفسير حركة التاريخ لحسن سلمان: ص ٩٠.

قال تعالى:

﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾[1].

وقال عز وجل:

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾[2].

(ففي هاتين الآيتين الكريمتين، تحدث القرآن الكريم، عن أنه لو كان الله يريد أن يؤاخذ الناس بظلمهم، وبما كسبوا، لما ترك على الأرض من دابة، يعني لأهلك الناس جميعا، وقد وقعت مشكلة في كيفية تصوير هذا المفهوم القرآني، حيث أن الناس ليسوا كلهم ظالمين عادة، ففيهم الأنبياء، وفيهم الأئمة، وفيهم الأوصياء، هل يشمل الهلاك الأنبياء والأئمة العدول من المؤمنين؟ حتى أن بعض الناس استغل هاتين الآيتين لإنكار عصمة الأنبياء عليهم السلام.

والحقيقة أن هاتين الآيتين تتحدثان عن عقاب دنيوي لا عقاب أخروي، فالآية تتحدث هنا عن النتيجة الطبيعية لما تكسب أمة عن طريق الظلم والطغيان هذه النتيجة الطبيعية لا تختص حينئذ بخصوص الظالمين من أبناء ـ المجتمع بل تعم

(١) سورة الكهف، الآية: ٥٨ و٥٩.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٤٥.

أبناء ـ المجتمع على اختلاف هوياهم وعلى اختلاف اتجاهاهم، حينما وقع (التيه) على بني إسرائيل نتيجة ما كسب هذا الشعب ظلمه وطغيانه وتجرّده، هذا التيه لم يختص بخصوص الظالمين من بني إسرائيل. إنما شمل موسى عليه السلام، شمل أطهر الناس وأزكاهم وأشجعهم في مواجهة الظلمة والطواغيت، شمل موسى عليه السلام لأنه جزء من تلك الأمة، وبهذا شمل التيه موسى عليه السلام.

هذا كله هو منطق سنن التاريخ، والعذاب حينما يأتي في الدنيا على مجتمع وفق هذه السنن، لا يختص بخصوص الظالمين من أبناء ذلك المجتمع، ولهذا قال القرآن الكريم في آية أخرى:

﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[1].

بينما يقول في موضع آخر:

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[2].

فالعقاب الأخروي دائما ينصب على العامل مباشرة، وأما العقاب الدنيوي فيكون أوسع من ذلك. إذن هاتان الآيتان الكريمتان تتحدثان عن سنن التاريخ وما يمكن أن يحصل نتيجة كسب الأمة وسعيها وجهدها، لا عن العقاب بالمعنى الأخروي، والعذاب بمعنى مقاييس يوم القيامة)[3]. ويمضي القرآن الكريم في عرضه للسنن التاريخية وعلاقتها بالإنسان والمجتمع فمنها:

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٥.

(٢) سورة فاطر، الآية: ١٨.

(٣) السنن التاريخية في القرآن لمحمد باقر الصدر: ص ٥٤ و٥٥.

المسألة الرابعة: سنة التغير النفسي وارتباطها بتغير المجتمع

من السنن التاريخية التي أظهرها القرآن الكريم هي سنة التغير الإنساني وعلاقتها بالمجتمع؛ هذه العلاقة التي يظهرها القرآن على هيئة قانون مؤثر في إصلاح الأمم، بل يظهر مفهوما أعم من ذلك؛ وهو ارتباط الإصلاح المجتمعاني بالإصلاح الفردي. بمعنى: لا يمكن أن تنهض الأمة ما لم تبدأ بإصلاح أفرادها، أو من أراد أن تكون أمته التي ينتمي إليها، وقومه الذين ينتسب إليهم أمة صالحة، فعليه أن يبدأ بمشروع التغير الشخصي، أي أن يبدأ بتغيير نفسه أولا ثم أهل بيته ثم أقربائه وهكذا، وهو ما دل عليه قوله تعالى:

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[1].

والعلة في هذا الترابط، وهذه العلاقة هو أن: «المحتوى الداخلي النفسي والروحي للإنسان هو القاعدة، ـ وإن ـ الوضع الاجتماعي هو البناء العلوي، وأن هذا البناء العلوي لا يتغير إلا وفقا لتغير القاعدة. إذن: هذه الآية تتحدث عن علاقة معينة بين القاعدة والبناء العلوي، بين الوضع النفسي والروحي والفكري للإنسان وبين الوضع الاجتماعي، بين داخل الإنسان وبين خارجه، فخارج الإنسان يضعه داخل الإنسان، فإذا تغير ما بنفس القوم تغير ما عليه وضعهم، وعلاقاتهم، والروابط التي تربط بعضهم ببعض، ـ ولذا ـ فهذه سنة من سنن التاريخ، ربطت القاعدة بالبناء العلوي.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[2]»[3].

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٥٣.

(٣) السنن التاريخية في القرآن لمحمد باقر الصدر: ص ٥٨.

المسألة الخامسة: آثار سنة الاستقامة وتطبيق أحكام الله على الفرد والأمة

كثيرة هي السنن التاريخية التي يعرضها القرآن الكريم، إلا أننا أجملنا في ذكرها كي لا يخرج الكتاب عن عنوانه واكتفينا ببعضها كي ينسجم ذلك مع ما شهدته الحركة التاريخية عند المسلمين وعوامل تطويرها، ومنها الدور المميز للقرآن الكريم في تجديد الفكر العربي، ونموه بشكل خاص، والإنساني بشكل عام.

ولذا كان القرآن قد تصدر الكتب السماوية في بيانه لهذه السنن التاريخية وآثارها على الفرد والمجتمع.

فكان منها:

سنة الاستقامة وتطبيق أحكام الله تعالى على الفرد والمجتمع؛ وهي سنة تاريخية لعبت دوراً مهما في تحديد مصير الإنسان والأمة.

قال تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾[1].

وقال عز وجل:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[2].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

وقال عزّ شأنه:

﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا﴾[1].

﴿بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ﴾[2].

«هذه الآيات تتحدث عن علاقة معينة بين الاستقامة وتطبيق أحكام الله سبحانه، وبين وفرة الخيرات ووفرة الإنتاج، وبلغة اليوم: بين عدالة التوزيع وبين وفرة الإنتاج.

فالقرآن يؤكد أن المجتمع الذي تسوده العدالة في التوزيع، التي عبر عنها القرآن تارة بـ: ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾، وأخرى بـ: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ﴾، وأخرى بـ: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ ـ هو المجتمع المتقدم والمعافى من الأمراض والانحرافات ـ.

لأن شريعة السماء نزلت من أجل تقرير عدالة التوزيع، وأقامتها على أسس عادلة، يقول: لو أنهم طبقوا عدالة التوزيع، إذن لما وقعوا في ضيق من ناحية الثروة المنتجة، بل لازداد الثراء وازدادت الخيرات والبركات، لكنهم تخيلوا أن عدالة التوزيع تقتضي التقسيم، ومن ثم تقتضي فقر الناس.

بينما الحقيقة أن السنة التاريخية تؤكد عكس ذلك، تؤكد بأن تطبيق شريعة السماء وتجسيد أحكامها في علاقات التوزيع، تؤدي دائما وباستمرار إلى وفرة الإنتاج وإلى زيادة الثروة، إلى أن يفتح على الناس بركات السماء والأرض.

---

(١) سورة الجن، الآية: ١٦.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٢٢.

فهذه السنة التاريخية التي يعرضها القرآن الكريم والتي جرت في الأمم السابقة هي أيضا ممكنة الوقوع في هذه الأمة.

ولذا:

نجد القرآن قد قرن نتائجها باتباع أحكام الله عز وجل، بمعنى: أن الأمة لو استقامت في سلوكها واتبعت أحكام الله تعالى لنالت بركات السماء والأرض؛ بل لَحَيَتْ حياة لم تحيها أمة من الأمم، وهذا نفسه كان حتمي الوقوع والنتائج في الأمم السابقة فيما لو استقامت في سيرها وسلوكها[١].

أقول: إن الأمر غير محصور في عدالة التوزيع فقط، كما ذهب إليه سماحة السيد الشهيد السعيد قدس سره بحيث لو أن الأمم قد استقامت في عدالة التوزيع إذن لما وقعوا في ضيق من ناحية الثروة المنتجة، وإنما الأمر يتعداه إلى أبعد من ذلك، وهو تقديم عقيدة الآباء على أحكام السماء بشكل عام كما دلت عليه الآية:

﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾[٢].

فمخالفة المجتمعات والأمم أحكام الله واتباعهم لمعتقدات آبائهم هو الذي حرمهم من أن يسقوا ماءً غدقا.

نعم، عدالة التوزيع إن تمت في أي أمة من الأمم حتى ولو لم تكن على دين سماوي يؤدي ذلك إلى ازدياد الخيرات، والتاريخ قديماً وحاضراً مليء بالشواهد التي تدل على أثر عدالة الحاكم في نمو خيرات بلده. ومما يدل عليه المبحث القادم.

(١) السنن التاريخية في القرآن لمحمد باقر الصدر: ص ٦٠ و٦١.

(٢) سورة الزخرف، الآية: ٢٢.

المبحث الثالث: حركة التاريخ وسننه عند أهل البيت عليهم السلام

يشغل التاريخ حيزاً واسعاً في علوم أهل البيت عليهم السلام، والسبب في ذلك يعود إلى اهتمام القرآن أولاً بعلم التاريخ، وثانياً لكونه مدرسة كبيرة لمن أراد أن ينطلق لبناء الحياة الدنيا وينجو في الآخرة.

فالتاريخ كما يعرضه القرآن والعترة:

هو خزين لتجارب الأمم مع الأنبياء والرسل عليهم السلام الذين بعثوا إلى هذه الأمم، والتاريخ هو ساحة للصراع بين الخير والشر، وهو نماذج عديدة ومتنوعة من العقول البشرية، ورصيد ضخم من الفكر السياسي والقيادي لهذه الأمم، ناهيك عن تجارب في الاقتصاد كما في قضية يوسف أثناء توليه خزانة مصر.

﴿قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾[1].

وفي الاجتماع وعوامل رقيه وفساده كقوم لوط.

﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾[2].

وفي الوعي الثقافي والفكري كقوم إبراهيم في أرض بابل حينما كانت الاتجاهات العقائدية والفكرية متنوعة بين عبادة الشمس والقمر والنجوم.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٥٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٨٠ ـ ٨١.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[1].

وبين عبادة الأصنام:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[2].

وبين قدرة إبراهيم عليه السلام في نفوذه إلى تلك العقول بعقيدة التوحيد، فمرة ينفذ إلى عقول معتقدي عبادة الأصنام فيكسرها إلا كبيرهم.

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾[3].

ومرة ينفذ في حواره العقائدي مع النمرود، حينما أوقف منافذه الفكرية بآية خروج الشمس من المشرق وتعجيز أنْ يأتي بها من المغرب وغيرها.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٧٧ ـ ٧٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٧٤.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٥٨ ـ ٦٣.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

وفي الجانب السياسي والقيادي للأمة كما في استخلاف هارون عليهم السلام.

﴿وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى﴾[2].

﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[3].

ناهيك عن الخزين الضخم من التجارب المتنوعة في المجالات المختلفة والمحصورة بأشخاص، كمؤمن آل فرعون، ومؤمن آل ياسين، وآسية بنت مزاحم، وأصحاب الكهف، وهابيل وقابيل، ومريم ابنة عمران عليها السلام، وغيرها.

كل ذلك وغيره مما لم نستطع الإحاطة به كان مداعاة لأن يشغل التاريخ حيزا واسعا في علوم أهل البيت عليهم السلام، لاسيما وان حركة التاريخ وسننه تبدأ عند أهل البيت عليهم السلام وسنامهم هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكيف كانت حركة التاريخ وسننه عنده؟.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.

(٢) سورة طه، الآية ٢٩ ـ ٣٠.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٢.

المسألة الأولى: حركة التاريخ وسننه عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

أولا: حركة التاريخ عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

من البديهي أن يهتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحركة التاريخ، وهو يرى الوحي قد نزل على قلبه بهذا الكم الكبير من الآيات، التي تخبره عن الحركة التاريخية والسنن التاريخية لمختلف الأمم، التي خلقها الله تعالى، إذ لا يخفى أن القرآن يعرض الحركة التاريخية لأمم أخرى غير الإنس، كالملائكة وسجودها لآدم، والشياطين ودورها في انحراف الأمم.

ولذا تبدأ هذه الحركة منذ خلق آدم عليه السلام.

بل القرآن يتحدث عن الحركة التاريخية للعلوم ونشوئها وتطورها، كمراحل خلق السموات والأرض، ومراحل النشأة والتكوين للعناصر الحياتية على الأرض، وتاريخ تكوّن الأعراق البشرية، واختلاف الألوان والألسن، وغيرها مما لا حصر له، فما من علم إلا وله بداية نشأ منها، وانطلق من عندها، ليكوّن بذلك سجلا تاريخياً يدون فيه سير هذه الحركة التاريخية لهذا الصنف من العلم أو ذاك، ولهذه الأمة أو تلك.

ومن هنا: ظهرت الحركة التاريخية عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واسعة وعميقة، فقد أخرج أحمد في المسند عن عمران بن حصين: «كان نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم، يحدثنا عامة ليله عن بني إسرائيل لايقوم إلا لمعظم صلاة»[1].

---

(١) مسند احمد بن حنبل: ج٤، ص٤٣٧ و٤٤٤. مستدرك الحاكم ـ النيسابوري: ج٢، ص٣٧٩. البداية والنهاية لابن كثير: ج ٢، ص ١٥٧، وقال: رواه أبو داود عن قتادة، عن أبي حسان، عن عبد الله بن عمرو. والحديث رواه البزار من هذا الطريق، ومن طريق عمران بن حصين.

ويبدو أن السبب في تركيز النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم على بني إسرائيل لعدة أمور، منها:

١ ـ تعاقب عدد من الأنبياء الذين أرسلهم الله إليهم.

٢ ـ تنوع الجوانب الحياتية لديهم باختلاف الأزمنة التي بعثت بها أنبياؤهم؛ بمعنى أن كل فترة زمنية أو مكانية هي عبارة عن سجل تاريخي للحركة البشرية.

٣ ـ اختلاط اليهود بالمسلمين وتشكيلهم نسبة جيدة من الجغرافية العربية التي تعددت فيها المعتقدات، فقد ظهرت في الجزيرة والعراق واليمن والشام مجموعة من المعتقدات.

٤ ـ قرب زمانهم من زمان بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا يدل على استيعاب المسلمين لأثر السنن التاريخية التي مرت بها مجتمعات بني إسرائيل.

٥ ـ نفوذ الثقافة اليهودية والنصرانية في أندية المدينة بشكل خاص.

٦ ـ تجدد العوامل الفاعلة في حركة السنن التاريخية في أمة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

وهو الأمر الذي كان ينبّه عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان يحذر المسلمين منه، بعد أن لاحظ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أن العديد من أُسس السنن التاريخية بدأت تتحرك في أمته. ولذا أراد حفظهم من عدم تحقق هذه السنن التاريخية، كي لا تحصد الأمة ما سيترتب على هذه السنن من نتائج.

ومن هنا؛ نجده صلى الله عليه وآله وسلم كان يحدّث المسلمين عن تلك السنن التاريخية التي جرت في بني إسرائيل، كي يحذرهم منها ويأمنوا من عدم الوقوع بها. وهو في نفس الوقت أعطى خزيناً تاريخياً وعاملاً نهضوياً في قيام الحركة التاريخية عند المسلمين.

٧ ـ مشكلة الوصاية وتبادل الأدوار القيادية بين موسى وهارون عليهما السلام والمعارضة والعزوف الذي عاناه هارون وموسى من بني إسرائيل مع ما حدث في عصر ما بعد النبوة نجد أن هناك تشابهاً بين المحنتين، محنة هارون وموسى ومحنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووصيه عليه السلام.

ثانيا: السنن التاريخية عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

لم يغب عن ناظر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم المنهج الذي قدّمه القرآن في إصلاح الأمم، من خلال وضع العديد من السنن الإلهية في الحياة الإنسانية، والتي عرفت فيما بعد؛ وحسب اصطلاح المؤرخة؛ بالسنن التاريخية؛ فهذه السنن لم تكن تغيب عن ناظر الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم؛ ولذا كان يحدث المسلمين، ويبين لهم تلك القوانين الإلهية، التي تحكمت في مصير الأمم السالفة، ولاسيما بني إسرائيل الأقرب عهداً بأمة الإسلام والأكثر احتكاكا وتعايشا، وربما فهما واستيعابا لتلك النتائج التي تمخضت منها هذه السنن التاريخية.

وحيث أن الطبيعة البشرية هي هي، تتأثر بالمتغيرات الحياتية والفكرية، وحيث أن عناصر الشر والخير متأصلة ومتنامية في جميع الأمم، كان لزاما على هذه الأمة أن تحيي تلك السنن التاريخية، والقوانين الحياتية التي عاشتها الأمم السابقة.

ومن هنا: نجد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم؛ ولاسيما في السنة الأخيرة من حياته الشريفة؛ يحذرهم من اتباع تلك السنن التاريخية؛ بل يظهر الحديث الشريف أنه كان يرى أن هذه الأمة قد سلكت سبيل السنن التاريخية للأمم السابقة لا محالة.

قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه»!.

قالوا: فاليهود والنصارى يا رسول الله؟. قال:

فمن أذن»[1].

وفي لفظ آخر أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه.

قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى؟. قال:

فمن»[2].

وفي لفظ أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع.

فقيل يا رسول الله: كفارس والروم؟. قال:

ومن الناس إلا أولئك»[3].

هذه التحذيرات التي أطلقها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في اتباع هذه الأمة السنن التاريخية للأمم السابقة، ولاسيما بني إسرائيل كانت محفزا قويا عند

---

(١) الرسائل العشر للشيخ الطوسي: ص ١٢٧.

(٢) صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، ج ٤، ص ١٤٤.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ج ٨، ص ١٥١.

المؤرخين العرب في معرفة تاريخ اليهود والنصارى، وما جرى في أحوالهم من هذه السنن الإلهية (التاريخية).

ومما ساعد على نمو هذه الحركة التاريخية والمعرفية هو «ظهور جماعة من أهل الديانة اليهودية والمسيحية تتصدى بعد إسلامها لإذاعة تلك المعارف، ــ وهم الذين ــ يسميهم ابن إسحاق بـ(أهل العلم الأول).

ويذكرون عن وهب بن منبه أنه قرأ من كتب الأنبياء كتبا يختلف عددها في الروايات بين ثلاثين وبضعة وسبعين أو اثنين وتسعين كتابا.

وهذا على الأقل يعني توفر هذه الكتب في مناطق من الجزيرة والشام والعراق، في القرن الأول الهجري ولو أنها كانت في معظمها على ما يظهر بالسريانية والعبرانية؛ وقد دخل الكثير منها في معلومات هذه الكتب على التاريخ العربي، حتى لقد عرفت آثارها في التاريخ، وفي علوم الدين باسم خاص هو: الإسرائيليات.

ويبدو مما وجد من أوراق البردي الإسلامي أن ترجمة هذه الأمور والنصوص إلى العربية قد تمت في أوائل القرن الثامن الميلادي أو أواخر القرن الأول الهجري»[١].

فهذه الأسباب هي التي كانت وراء دخول المعارف التاريخية التوراتية الإنجيلية إلى الثقافة الإسلامية، ولاسيما التاريخ والحديث، وهو الأمر الذي يفند المزاعم التي أطلقها المستشرق روزنتال في بحث كتبه عن (أثر التقاليد التوراتية الإنجيلية في التاريخ لدى المسلمين).

(١) التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص ١٠٧.

والذي يدعي فيه:

«أن فكرة التاريخ في الكتاب المقدس قد أثرت في النبي، وأن العلماء المسلمين قد استخدموا هذه النظرة التاريخية العالمية في إنتاج مؤلفات تاريخية شاملة وأنهم أغنوا تلك المؤلفات بمواد تاريخية مأخوذة عن الكتاب المقدس والآثار التوراتية ـ الإنجيلية، وأن ثمة أخيرا توازيا وتشابها في (شكل) تقديم تلك المواد بين النصوص التاريخية التوراتية والإسلامية»[1].

في حين أن الدافع الذي دفع المسلمين إلى قراءة التاريخ والآثار اليهودية الإنجيلية هو ليس ما تحتويه هذه الكتب من مادة تاريخية، وإنما الأحاديث النبوية التي أطلقها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في اتباع أمته سنن الأمم السالفة ولاسيما بني إسرائيل؛ فكان الخوف من الوقوع في هذه السنن ومحاولة تجنبها والنجاة منها هو المحفز الأول في قراءة هذه الآثار التوراتية الإنجيلية، وإلا هذه الآثار كانت موجودة قبل الإسلام لكنها لم تأخذ من الوعي التاريخي عند العرب أي اهتمام يذكر كما يدعي روزنتال.

«ويثير روزنتال بعض التساؤلات حول أي نوع من النصوص التوراتية ـ الإنجيلية نقل إلى العربية أهو بعض الفرق المسيحية أو اليهودية المعنية أم هو أشكال محورة عن النصوص الأهلية لذلك القصص القديم، ويضيف أنه من المقبول عامة لدى الباحثين المحدثين أن معظم المواد التاريخية التي أخذها المؤرخون (منذ أواخر القرن الثالث فما بعد) كما اتضح لدى الطبري وحمزة الأصفهاني والبيروني واليعقوبي، إنما ترجع إلى كتاب المدارش

---

(١) التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص ١٠٧ و١٠٨.

والهاغاداه[1] لدى اليهود والنصارى، ولكنها خضعت للكثير من التعديل؛ ومثل ذلك قصص الأنبياء.

وما أراد روزنتال أن يعدّه تأثيرا ونقلا إنما يرجع في الواقع إلى حقيقة مسبقة وهي أن القرآن جاء:

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

وأن الإسلام لم ينكر وجود العقائد الدينية السابقة ولكنه رفض استمرار الإيمان بها بعد ظهوره، ووحدة الرسالة منذ إبراهيم أبي الأنبياء، وعبر الأنبياء المتعددين حتى محمد صلى الله عليه وآله وسلم آخر النبيين، إنما كانت تقتضي هذا النوع من التطابق مع الفكر التاريخي للتوراة والإنجيل، وهذا النوع من المقبول للمادة التاريخية الناجمة عنها)[2].

بل أن السبب في التشابه بين المادة التاريخية اليهودية ــ الإنجيلية وبين المادة التاريخية الإسلامية هو ليس هذا النقل الذي تم من خلال ترجمة كتابي «المدارش والها غاداه»، ودخول هذه الثقافة إلى الفكر الإسلامي، إنما هو تحقق قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في اتباع هذه الأمة سنن بني إسرائيل لدرجة الشبر بالشبر والذراع بالذراع؛ بل لو دخل أحدهم في جحر ضب لدخله المسلمون!.

(١) التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص ١٠٨، (المدارش) هي: التفاسير الأولى للتلمود وهي أساس المثنا الذي نسقه الحاخامون بعد القرن الثاني الميلادي وأما (الهاغاداه) فكتب التهجد والوعظ. وهناك الجمارة، وهي: جمرة المناظرات والتعاليم والتفاسير التي جرت في المدراش، أي: أماكن تدريس الكتاب المقدس في الكنيس (وجذر كلمة مدراش = دراسة ومدرسة) وذلك بعد انتهاء جمع المثنا.

(٢) التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص ١٠٨.

هذا الانطباق الواقعي للسنن التاريخية بين بني إسرائيل والمسلمين لاسيما ابتداء تحقق ذلك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانقسامهم إلى ثلاث وسبعين فرقة في هذا الزمن، وانتشار الفكر التكفيري فيما بينهم، هو الذي خلق هذا التصور الذي ذهب إليه روزنتال وغيره من المستشرقين والباحثين في نشأة التاريخ العربي والإسلامي وحركته وتطوره.

إذن:

مثلما ركز القرآن الكريم على نفوذ السنن التاريخية في الأمم السابقة كذلك كان حالها عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

المسألة الثانية: حركة التاريخ وسننه عند الإمام علي عليه السلام

لكي نضع أيدينا على تطور الوعي التاريخي عند العرب ولاسيما عند ابن إسحاق المتوفى سنة ١١٥هـ، ولكونه شيخ كتاب السيرة النبوية، فلابد أن ندرك دور القرآن وأهل البيت النبوي عليهم السلام في تدريس هذا العلم وتطويره.

بل؛ إنهم أصحاب الفضل الأول بعد القرآن في خلق هذا الوعي التاريخي وتطويره وتثقيفه بين أهله ـ كما سيمر علينا ـ في عرض الأسباب التي جعلت ابن إسحاق يحتل الصدارة في هذا العلم.

ولذا كان لزاما أن نعرّج إلى مدرسة الإمامة، ونهبط عند أعتاب باب مدينة علم النبوة، وأن نجلس بين أروقة مدرسة أمير المؤمنين عليه السلام لنفهم كيف هو التاريخ عنده، حركة وسُنناً؟.

أولا: حركة التاريخ عند الإمام علي عليه السلام

يتخذ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من حركة التاريخ وسيلة لتقويم السلوك الإنساني وأداة لإصلاح المجتمعات؛ هذا الإصلاح الذي لا يتم إلا من خلال إصلاح أفراد المجتمع أو الأمة كما يعبر عنها القرآن الكريم.

وتمتاز علاقة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بحركة التاريخ عن غيره ممن يهتمون بالتاريخ بأنه عليه السلام يتعايش مع هذه الحركة وكأنه عنصر من عناصر هذه الحركة، وواحد من مكوناتها، فما أن مرّ على أمة من الأمم حتى تحدث عنها وكأنه أحد أفرادها المبصرين بأحوال أمته.

ولذا لم يكن ـ حينما يتحدث عن هذه الأمة أو تلك ـ بالرجل القاص، أو الراوي المتسلي؛ وإنما هو الرجل المتعايش لهذه الأمة والعارف بعوامل نهوضها، أو اندثارها، المتبحر في أخلاقها وسلوكها.

ومن هنا: نجده يحثّ على التعامل مع التاريخ تعامل المرشد، والمصلح، والمقوم لحركة الإنسان الدنيوية والأخروية؛ مما جعل بعض الباحثين ينظرون إلى هذه العلاقة بأنها علاقة وعظية[1]، أي أن الغالب في حديثه عليه السلام عن التاريخ هو الوعظ.

في حين أنه عليه السلام لم يكن ليخالف المنهج القرآني والنبوي ــ الذي عرضناه ـ في فهم حركة التاريخ وسننه، وهو الأمر الذي يمكن ملاحظته بشكل واضح في خطبه وحديثه عن حركة التاريخ وسننه.

ففي حركة التاريخ يقول عليه السلام وهو يوصي ولده الإمام الحسن عليه السلام:

---

(١) حركة التاريخ عند الإمام علي عليه السلام، محمد مهدي شمس الدين.

«أي بنيّ إني وإن لم أكن عُمِّرتُ عُمْرَ من كان قبلي، فقد نظرت في أعمالهم، وفكّرت في أخبارهم، وسرتُ في آثارهم، حتى عُدتُ كأحدهم، بل كأني انتهى إليّ من أمورهم، قد عُمِّرتُ مع أولهم إلى آخرهم، فعرفتُ صفو ذلك من كدرِه، ونفعه من ضرره»(١).

هذه المعرفة الواسعة والشاملة والعميقة والدقيقة بالتاريخ حركة وسنة ــ كما سيمر علينا ــ كان لها الأثر الفعال في نمو الوعي التاريخي عند المسلمين، ولاسيما رواد مدرسة العترة النبوية الطاهرة عليه السلام كـ(سليم بن قيس الهلالي، وجابر بن يزيد الجعفي، ومحمد بن إسحاق المطلبي صاحب السير) وغيرهم.

ثانيا: السنن التاريخية عند الإمام علي عليه السلام

امتازت نظرته عليه السلام إلى السنن التاريخية بميزات عديدة منها:

١ ــ الإحاطة بهذه السنن منذ ابني آدم إلى أمة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

٢ ــ تحديد العامل المشترك في جميع هذه السنن وهو طاعة الله عز وجل ومعصيته.

٣ ــ تشخيص ما تؤول إليه هذه الأمة من اتباعها للسنن التاريخية التي سارت عليها الأمم السالفة.

٤ ــ الدور الإرشادي لهذه السنن في إصلاح المجتمع.

---

(١) نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام: ج ٣، ص ٤١. تحف العقول لابن شعبة الحراني: ص ٧٠. كشف المحجة للسيد ابن طاووس: ص ١٦١.

الميزة الأولى في نظرته عليه السلام للسنن التاريخية

ومن الشواهد على الميزة الأولى، قال عليه السلام:

«وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ وَأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وَأَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ وَأَطْفَأُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ وَأَحْيَوْا سُنَنَ الْجَبَّارِينَ أَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ وَهَزَمُوا بِالأُلُوفِ وَعَسْكَرُوا الْعَسَاكِرَ وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ» ؟[1].

فهذه النظرة المحيطة بالسنن التاريخية التي تهاوت بفعلها تلك الأمم فلم تبق منها سوى الأساطير هي في الواقع تصرخ بالقادم من الأجيال إلى الحذر من الوقوع في مهالك تلك الأمم، حينما لم يراعوا قوانين السماء وما جاءت به الأنبياء من شرايع.

الميزة الثانية لنظرته عليه السلام للسنن التاريخية

أما الميزة الثانية لنظرته عليه السلام إلى السنن التاريخية، وهي: تحديد العامل المشترك في جميع هذه السنن وهو طاعة الله عز وجل ومعصيته، فيقول عليه السلام:

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَا وَالسُّخْطُ، وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ، لَمَّا عَمُّوهُ بِالرِّضَا»[2].

«وَإِنَّ عِنْدَكُمُ الأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَقَوَارِعِهِ، وَأَيَّامِهِ وَوَقَائِعِهِ، فَلاَ تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ جَهْلاً بِأَخْذِهِ وَتَهَاوُناً بِبَطْشِهِ وَيَأْساً مِنْ بَأْسِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقَرْنَ الْمَاضِيَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلاَّ لِتَرْكِهِمُ الأَمْرَ

---

(١) نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: خطبة في تنزيه الله، ج ٢، ص ١٠٨، ح ١٨٢.

(٢) مستدرك الوسائل للميرزا النوري: ج ١٢، ص ١٩٤.

بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَلَعَنَ اللَّهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي، وَالْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ التَّنَاهِي»[١].

والسمة الأبرز في هذا العامل المشترك بين السنن التاريخية هي سنة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي بها يكون حفظ المجتمعات من التفكك والانهيار وضياع النعم والخيارات وفقدان الأمن وما يتلوه من انعدام الأمان والسلام وانتشار الفوضى وعموم الفساد.

ولذا نجده عليه السلام قد ركز على دور هذه السنة التي تعد السمة البارزة في ظهور طاعة الله وعصيانه؛ ولذلك اتبعها بلعنه للسفهاء الذين يركبون المعاصي، والحلماء لتركهم التناهي.

الميزة الثالثة: تشخيص نتائج السنن

وفي تشخيص ما تؤول إليه هذه الأمة من أتباعها للسنن التاريخية التي سارت عليها الأمم السالفة يقول عليه السلام:

«أَيُّهَا النَّاسُ لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ لَكِنَّكُمْ تِهْتُمْ مَتَاهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَعَمْرِي لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ التِّيهُ مِنْ بَعْدِي أَضْعَافاً بِمَا خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَقَطَعْتُمُ الْأَدْنَى وَوَصَلْتُمُ الأَبْعَدَ»[٢].

---

(١) نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: الخطبة القاصعة، ج ٢، ص ١٥٦. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ٣٤، ص ٢٢٣.

(٢) نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: من خطبة له أول خلافته عظم فيها حق: ج ٢، ص ٧٩، ح ١٦٦، ط دار الذخائر، قم ــ إيران. الكافي للشيخ الكليني رحمه الله: ج ٨، ←

وتشخيصه عليه السلام لسلوك هذه الأمة سنن من كان قبلها، لم يكن تشخيص المنظّر للأحداث التاريخية، وأحوال الأمم السابقة؛ وإنما تشخيص الخبير المتمرس.

ولذا نجده يظهر الأسباب والنتائج، فيبدأ بذكر الأسباب، فيقول:

«**أَيُّهَا النَّاسُ لَوْ لَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ، وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ**» «**لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ، وَلَمْ يَقْوَ مَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ**».

وهذه النتيجة التي تكشف عن تحرك السنة التاريخية في هذه الأمة تظهر نتائجها في كل زمان ومكان.

ثم إنه عليه السلام لم يكتفِ بذلك فقط وإنما يظهر ما تؤول إليه مضاعفة النتائج، إذ نفس هذه النتيجة يمكن للأمة أن تتحكم في تغيرها نحو الأفضل فيما لو سعت إلى تغير هذه النتيجة التي يظهرها عليه السلام بأنها سبب آخر لتردي الحال، فيقول عليه السلام:

«**لَكِنَّكُمْ تِهْتُمْ مَتَاهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَعَمْرِي لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ التِّيهُ مِنْ بَعْدِي أَضْعَافاً بِمَا خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ، وَقَطَعْتُمُ الأَدْنَى، وَوَصَلْتُمُ الأَبْعَدَ**».

ويظهر هنا أن بعض السنن التاريخية المتعلقة بهذه الأمة تتضاعف فيها النتائج الارتدادية لسيرها، لدرجة يبدو فيها أن التدارك لهذه النتيجة صعب، إن لم يكن

ص٦٦، ح ٢٢، وجاء فيه: (وَقَطَعْتُمُ الأَدْنَى مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ وَوَصَلْتُمُ الأَبْعَدَ مِنْ أَبْنَاءِ الْحَرْبِ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم.

مستحيلا؛ والسبب يعود إلى تمسك هذه الأمة بالنهج الذي انتهجته، من جعلها الحق وراء ظهرها، وقطعها الأدنى (أي القريب من الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ووصلها أي مؤازرها وأتباعها) للبعيد من الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

فكيف لا تكون كل هذه الإحاطة بهذه السنن التاريخية من مقدماتها، وديمومتها، وتضاعف نتائجها، من تكوين وعي تاريخي عند تلامذته بشكل خاص وعند العرب بشكل عام؟.

وكيف لا يكون سليم بن قيس الهلالي صاحب التصنيف الأول في كتابة الوجه الآخر لتاريخ المسلمين بهذا القدر الكبير من الوعي التاريخي والفكر المنهجي.

وكيف لا يكون محمد بن إسحاق المطلبي صاحب المغازي والسير ومصنف السيرة النبوية الأول بهذا الوعي التاريخي، وهو قد نشأ في بيت عُرف بموالاته للعترة النبوية، وتتلمذ في مدرسة علي أمير المؤمنين عليه السلام، فهذا نهجهم في حفظ سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتدوينها على الرغم من اضطهاده ومحاربته على ما قدم لهذا العلم.

ولذا:

لم تكن الحضارتان اللتان أحاطتا بأهل مكة في الشمال والجنوب، وما تناقل إليها من أخبار الأكاسرة والقياصرة هما اللتين أنشأتا التاريخ عند العرب، ولاسيما العرب المسلمين، بل ما زخر به القرآن الكريم والعترة النبوية من مادة لهذا العلم حركة، وسننا، ووعيا، وتطويرا، هو السبب الأول والمباشر لنشأة التاريخ عند العرب وتطوره.

الميزة الرابعة في نظرته عليه السلام للسنن التاريخية

إنّ بيان الدور الإرشادي لهذه السنن في إصلاح المجتمع المسلم ــ وهي الميزة الرابعة في نظرته عليه السلام إلى السنن التاريخية ـ يركز الإمام عليه السلام على هذا الدور الفعال وما له من أثر عميق على النفس وهي تنظر في عاقبة تلك الأمم السابقة، وما آلت إليه من رُقي وتدهور ورفعة ودنو، بل كيف كان عاقبة أفرادها.

فيقول عليه السلام:

«فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَصَوْلاَتِهِ وَوَقَائِعِهِ وَمَثُلاَتِهِ، وَاتَّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ، وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ، وَاسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ كَمَا تَسْتَعِيذُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ، فَلَوْ رَخَّصَ اللَّهُ فِي الْكِبْرِ لأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ؛ فَأَلْصَقُوا بِالأَرْضِ خُدُودَهُمْ، وَعَفَّرُوا فِي التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ، وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَكَانُوا قَوْماً مُسْتَضْعَفِينَ، وقَدِ اخْتَبَرَهُمُ اللَّهُ بِالْمَخْمَصَةِ، وَابْتَلاَهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ، وَامْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ، وَمَخَضَهُمْ بِالْمَكَارِهِ.

فَلاَ تَعْتَبِرُوا الرِّضَى وَالسُّخْطَ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ جَهْلاً بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ، وَالاخْتِبَارِ فِي مَوْضِعِ الْغِنَى وَالاقْتِدَارِ، فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾[1].

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٥٥ و٥٦.

فَإِنَّ اللَّـهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ»[(١)].

ونلاحظ في هذا النموذج من الخطاب أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد استخدم في الدور الإرشادي مع المؤمنين أسلوب الحث على التدبر في السنن التي جرت في الأمم السابقة، والنظر في أحوال المؤمنين فيها؛ وهو المنهاج الذي يدعو إليه القرآن، قال سبحانه:

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾[(٢)].

إذن: حظيت حركة التاريخ وسننه باهتمام كبير عند أمير المؤمنين علي عليه السلام، مما انعكس بشكل ملحوظ وفعال على الوعي التاريخي عند العرب، وكان أحد العوامل التي دفعت بهذا العلم إلى التطور والنهوض، وهو الأمر الذي أدى ثماره في ظهور شخصيات إسلامية تصدرت الكتابة عن التاريخ حركة وسننا ووعيا وتدوينا، كابن إسحاق وغيره.

ولو أردنا أن نتتبع بقية الشواهد في خطب الإمام علي عليه السلام لرصد حركة التاريخ وسننه لاحتاج البحث إلى جهد أكبر في حين وجدنا فيما استشهدنا به كفاية، لتكوين صورة حول أثر مدرسة أهل البيت عليهم السلام في نشأة علم السيرة وتطوره.

---

(١) نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: خطب الإمام علي عليه السلام، الخطبة القاصعة في ذم الكبر، ج٢، ص ١٤٣، ح ١٩٢. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: باب ٣١، ج١٤، ص ٤٦٨، ح٣٧.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٤.

المسألة الثالثة: حركة التاريخ وسننه عند بضعة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة الزهراء عليها السلام وأثر ذلك على الوعي في التاريخي وتدوينه

من الروافد التي نمت على منهله جذور علم التاريخ فانتشى واقفاً يلقي بأغصانه على خواص أهل هذا العلم، فأناخوا في ساحته ركابهم، وحطوا بجواره قرطاسهم ودواتهم؛ هو رافد كلمات البضعة النبوية فاطمة الزهراء عليها السلام الذي أحدث نقلة نوعية في دفع حركة التاريخ الإسلامي وتدوينه.

إلا أن الفارق الذي يفترق به رواد مدرسة أهل البيت عليهم السلام عن غيرهم من رواد المدارس الأخرى، أن رواد هذه المدرسة حينما كتبوا الحدث التاريخي كانت كتابتهم محاطة بالوعي والنقد والتحليل والواقعية والأمانة لجميع ما سارت عليه الأمة سواء كان يرضي أصحاب الحدث أم لم يرضهم.

ولذلك نجد أن جهابذة هذا العالم حوربوا أشد المحاربة، واضطهدوا وشردوا ونفوا عن مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما سيمر بيانه ـ في الفصل القادم.

نضيف إلى ذلك أن طلاب هذه المدرسة المحمديّة امتازوا ـ ففضلا عمّا ذكر ـ بتدوين الحدث وتصنيفه وتوثيقه قبل غيرهم سواء من التفت من المؤرخين إلى تدوين بعض ما يتعلق بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كـ: (سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري)[1] أو من دون التاريخ الحولي كابن جرير الطبري[2] وغيره.

---

(١) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: ج ٢، ص ٦٥.

(٢) تاريخ التراث العربي: ج ٢، ص ١٥٩.

ومن هنا: نجد معظم الكتابات في هذا العلم أو الدراسات التي كتبت حوله تجنبت الخوض في مصنفات طلاب هذه المدرسة كـ: كتاب سليم بن قيس الهلالي أو حتى الإشارة إليه، ناهيك عن اتهامهم بالطائفية والتحزب لعلي عليه الصلاة والسلام، وكأنه لم يكن أحد أركان هذا التاريخ الإسلامي والعربي.

والسبب في ذلك كله يعود إلى كتابتهم التاريخ بوعي وأمانة وعدم انحياز للأهواء والأغراض السياسية، فكانت حياتهم في خطر مستمر وتشريد وغربة.

أولا: حركة التاريخ عند فاطمة الزهراء عليها السلام

ألف: خصوصية بيان الحركة التاريخية عند سيدة نساء العالمين عليها السلام

تمتاز بضعة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عمن سبقها وعمن لحقها في بيانها لحركة التاريخ بأنها عليها السلام تتفرد بتشخيص نقطة انطلاق النشأه والتكوين للخلق وتحديدها، بمعنى آخر جميع الذين تحدثوا عن تاريخ الأمم والشعوب ومن توسع في هذا التصنيف ليشمل جميع أنواع المخلوقات الحيوانية والنباتية والجمادات، كل هذه الأجناس لها تاريخ في نشوئها ومواطن خلقها ووجودها.

إلا أن فاطمة عليها السلام حينما قدمت الحركة التاريخية ابتدأت من النقطة الأولى التي خلق الله تعالى فيها الأشياء، فمن هذه اللحظة تبدأ حركة تاريخ الأشياء عند البضعة النبوية عليها السلام.

ولذا: حينما بدأت بضعة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بالحديث عن الحركة التاريخية للوجود بدأتها من الخلق الأول والنشأة الأولى للأشياء، فقالت عليها السلام:

«ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها، كونها بقدرته، وذرأها بمشيته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له في تصويرها، إلا تثبيتا لحكمته، وتنبيها على طاعته، وإظهارا لقدرته، تعبدا لبريته وإعزازا لدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، ذيادة لعباده من نقمته، وحياشة لهم إلى جنته»(١).

باء: حركة تاريخ العرب قبل الإسلام

كثرت الدراسات حول تاريخ العرب قبل الإسلام، وبيان الجوانب الاجتماعية والثقافية والدينية والاقتصادية لهم، وتشابهت هذه الدراسات قديما وحديثا في بيانها للوضع المزري لهم على هذه الأصعدة، دون التركيز على دور الرسالة المحمدية، وجهد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وجهاده في نقل هذه الأمة من الحضيض إلى القمة، ومن الهمجية إلى التمدن والحداثة؛ وإذا أرادت بعض هذه الدراسات الحديث عن ذلك فإنها تمر عليه مرورا عابرا.

في حين أننا نجد أن بضعة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حينما تتحدث عن حركة تاريخ العرب قبل الإسلام، وتبين الجوانب الاجتماعية والثقافية والعقائدية لهم، تتبعها بالتغير الجذري لسلوك هذه الأمة وحركتها من خلال دور النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في هذا البناء الجديد للأمة؛ فتقول عليها السلام:

«وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الاقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون

---

(١) كتاب الاحتجاج للطبرسي، خطبة الزهراء عليها السلام: ج ١، ص ١٣٣. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ٢٩، ص ٣٢١، الباب ١١. بلاغات النساء لابن طيفور: ص١٥.

القد، والورق أذلة خاشعين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تعالى بأبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم»[(١)].

ورصدها عليها السلام للحياة التي كان عليها العرب قبل الإسلام كان مبنيا على الأسس البنائية للمجتمع العربي، بحيث أن هذا البناء المتآكل والمتصدع أوشك على السقوط والانهيار.

ولذلك: بعد هذا البيان لتاريخهم اتبعته عليهم السلام ببيان آخر، وهو أن الحياة الكريمة التي أصبحوا عليها بعد مرور ثلاث وعشرين سنة وهي الفترة الزمنية التي عاشها النبي الأعظم بعد البعثة، كان السبب الأول فيها هو الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذا قالت: (فأنقذكم الله تعالى بأبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم).

لكن كيف كانت عملية الإنقاذ هذه؟! سؤال تجيب عليه السيدة فاطمة عليها السلام ببيان آخر تعرض فيه تاريخ حركة السيرة النبوية.

جيم: الحركة التاريخية للسيرة النبوية وبيان إنجازاتها وجهادها

من الملاحظات التي لوحظت في عرض السيدة فاطمة عليها السلام لحركة التاريخ هو تتبعها بشكل دقيق مراحل تطور البشرية، أي: أنها تمزج في هذا العرض عامل الزمن كمصداق لمفردة الحركة، مع عامل التاريخ الذي يكون مصداقا للحدث.

---

(١) شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي، خطبة الزهراء عليها السلام: ج ٣، ص ٣٥. الاحتجاج للطبرسي، خطبة الزهراء عليها السلام: ج ١، ص ١٣٥ و١٣٦. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ٢٩، ص ٢٣٦، ح ٩.

وهنا: تقوم بضعة النبي الأعظم عليها السلام بعرض الحركة التاريخية للسيرة النبوية في ثلاثة محاور.

المحور الأول لهذه الحركة التاريخية يتمثل في شخص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

المحور الثاني لهذه الحركة التاريخية يتمثل في عمل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

المحور الثالث لهذه المرحلة التاريخية يتمثل في النتائج التي حققها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

المحور الأول

تبدأ عليها السلام في بيان هذا المحور بقوله تعالى:

﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

والآية تبين ثلاث صفات من صفات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

الأولى: «علاقته صلى الله عليه وآله وسلم بأمته».

والثانية: «صفاته الشخصية فهو عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم، بالمؤمنين رءوف رحيم».

والثالثة: «إنه عربي ومن قريش».

وهذا بحد ذاته يعطيهم زخما نفسيا ومعنويا؛ ثم تنطلق بعد هذه الآية فتقول:

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

«فإن تعزوه وتعرفوه: تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمي دون رجالكم ولنعم المعزى إليه صلى الله عليه وآله وسلم»[(١)].

ولكون أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي أنقذهم من الهلاك والموت والاندثار، لذا قالت: «تجدوه أبي دون نسائكم».

هنا: بيان لحفظ هذا الشخص الذي أنقذكم من خلال حفظ ابنته، وأن لها خصوصية خاصة بهذه الكينونية.

وإن ابن عمها علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو زوجها له فيهم مثل ما لها من الخصوصية المرتبطة بشخص هذا الرجل الذي أنقذهم من الهلاك والموت والاندثار.

لكنها وجدهم قد أخلوا بهذا الجانب خللاً شديدا؛ ولذا قالت: (ولنعم المعزى إليه صلى الله عليه وآله وسلم) وهي في نفس الوقت قد لوحت في هذا المحور بتحرك السنن التاريخية التي جرت في الأمم السابقة كما سيمر بيانه.

المحور الثاني

وفي المحور الثاني في عرضها عليه السلام للحركة التاريخية للسيرة النبوية تقوم عليها السلام ببيان العمل الذي قام به النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فتقول:

«فبلغ الرسالة، صادعا بالنذارة، مائلا عن مدرجة[(٢)] المشركين، ضاربا ثبجهم[(٣)]، آخذا بأكظامهم[(٤)]، داعيا إلى سبيل ربه بالحكمة

(١) الاحتجاج للطبرسي، خطبة الزهراء عليها السلام: ج ١، ص ١٣٤ و١٣٥.

(٢) المَدْرَجَةُ، الطريق: معظمه وسننه. لسان العرب: مادة (درج)، ج ٢، ص ٢٦٧.

(٣) الثبج، ثبج كل شيء: معظمه، ووسطه، وأعلاه، والجمع أثباج (لسان العرب): مادة (ثبج).

(٤) الكظيم، المكروب، ويقال: أخذ بكظمه فما يقدر أن يتنفس، أي أخذهم صلى الله عليه وآله وسلم فجعلهم لا يقدرون أن يتنفسوا، أنظر كتاب العين: مادة (كظم)، ج ٥، ص ٣٤٥.

والموعظة الحسنة، يجف الأصنام[1]، وينكث الهام[2]، حتى انهزم الجمع وولوا الدبر»[3].

المحور الثالث

ثم بعد إيرادها ما قام به النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من عملٍ انعطفت عليها السلام على إيراد النتائج، فقالت:

« حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، حتى تفرى الليل عن صبحه وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين وطاح وشيظ النفاق وانحلت عقد الكفر والشقاق، وفهتم بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماص»[4].

دال: الحركة التاريخية لحال الصحابة وأهل البيت عليهم السلام في حياة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

بعد ذكرها عليها السلام لبيان الحركة التاريخية للسيرة النبوية، وبيان إنجازاتها وجهادها، ممثلا في ثلاثة محاور تنتقل بضعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك لبيان الحركة التاريخية لسير الصحابة وأهل البيت عليهم السلام أثناء حياة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) جُف الطلعة وعاؤها الذي تكون فيه، وجُف الشيء: شَخْصُه. لسان العرب: مادة (جفف).

(٢) النكث: هو التفريق، والهام: هو الدماغ، فيكون المعنى: أنه صلى الله عليه وآله وسلم فرق ما عليه فكرهم الضال المنحرف.

(٣) الاحتجاج للطبرسي: ج ١، ص ١٣٥. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ٢٩، ص٢٦٣.

(٤) المصدر السابق.

وعند الوقوف في معاني هذا البيان، نجد أن الزهراء عليها السلام تحدد مسارين لهذه الحركة التاريخية التي رافقت سيرة الدعوة النبوية.

المسار الأول: الحركة التاريخية لمسير الصحابة رضي الله عنهم.

المسار الثاني: الحركة التاريخية لمسير أهل البيت عليهم السلام.

دلالة تحديد الحركة التاريخية لكلا المسارين

ألف ـ إن هذا التحديد في مسار الحركة التاريخية لسير الصحابة وأهل البيت عليهم السلام أثناء حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يظهر أن هذه الفترة الزمنية كانت تشهد تجمعين، وأن لكل منهما صفاته وإنجازاته وأهدافه.

باء ـ إنّ هذين المسارين أخذا بالاستقلال في حركتهما التاريخية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ أصبح لكل منهما مدرسته الخاصة به، وله أتباعه وتلاميذه الذين ينهلون منه أحكامهم وعقائدهم.

جيم ـ ظهور بعض الخلافات فيما بين أنصار أعمدة هذين المسارين في هذه الفترة الزمنية، بسبب اختلاف الرؤى في فهم الرسالة المحمدية، وطريقة التعايش معها.

دال ـ التبيان في إنجازات كلا المسيرين في الجهاد الميداني، في ساحات الحروب، أو الجهاد البنائي في نشوء المجتمع الجديد.

فتقول عليها السلام:

«وبعد أن مني ـ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ ببهم[1] الرجال وذؤبان

(١) البهم اسم للمذكر والمؤنث، وهي أولاد الضان، والمغري والسصخال، فإذا اجتمعت قيل لها اهام وبهم.

«الصحاح للجوهري: ج٥، ص١٨٧».

العرب، ومردة أهل الكتاب، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن الشيطان[١] أو فغرت[٢] فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها[٣]»[٤]. «قذف أخاه (أي علي بن أبي طالب) في لهواتها، فلا ينكفئ[٥] حتى يطأ صماخها[٦] بأخمصه[٧]، ويخمد لهبها بسيفه، مكدودا[٨] في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريبا من رسول الله، سيدا في أولياء الله، مشمراً ناصحاً مجداً كادحاً وأنتم...»[٩].

ثم بعد بيانها للحركة التاريخية لمسار أهل البيت عليهم السلام، ممثلا في هذه الفترة بشخص علي أمير المؤمنين عليه السلام تنتقل بعد ذلك لبيان الحركة التاريخية لمسير الصحابة في هذه الفترة الزمنية من عمر الرسالة المحمدية وسير الدعوة النبوية.

---

(١) نجم: ظهر وطلع.

(٢) فغر فاه: فتحه، وفغر فوه، أي: انفتح.

(٣) اللهاة: اللهنة المطبقة في أقصى سقف الفم.

(٤) الاحتجاج للطبرسي: ج ١، ص ١٣٦. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ٢٩، ص٢٢٤.

(٥) انكفأ: رجع.

(٦) الصماخ: خرق الأذن، ويقال: هو الأذن نفسها.

(٧) الأخمص: ما دخل من باطن القدم فلم يصب الأرض.

«الصحاح للجوهري: ج٣، ص١٠٣٨».

(٨) الكد: الشدة في العمل وطلب الكسب، وكددت الشيء: أتبعته «الصحاح، الجوهري: ج٢، ص٥٣٠».

(٩) الاحتجاج للطبرسي: ج١، ص١٣٦. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج٢٩، ص٢٢٤.

فتقول عليها السلام:

«وأنتم في رفاهية من العيش، وادعون فاكهون آمنون، تتربصون بنا الدوائر وتتوكفون[١] الأخبار وتنكصون[٢] عند النزال، وتفرون عن القتال»[٣].

هذا التباين الواضح في الحركة التاريخية لكلا المسارين ألقى بثقله على الحركة التاريخية للإسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مما أدى إلى تقديم التاريخ بوجهين مختلفين قد تكونت ملامحهما في أروقة المدرسة التاريخية لأهل البيت عليهم السلام والمدرسة التاريخية للصحابة.

وقد تدخلت السلطات الحاكمة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشكل جذري في الحركة التاريخية لكلا المسارين ـ كما سيمر بيانه في الفصل القادم ـ.

وجدير بنا ونحن ندرس الحركة التاريخية عند بضعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن نستوفي ما جاء عنها عليها السلام في بيان هذه الحركة ومراحل تنقلها حسبما وضعته الزهراء عليها السلام من محطات زمنية لهذه الحركة التاريخية التي ابتدأها من نقطة الانطلاق الأولى لتاريخ خلق الوجود وإلى انتهاء عمر الدنيا، وما ارتبط بهذه الحركة التاريخية من سنن إلهية رافقت الأمم السابقة وسترافق هذه الأمة.

---

(١) التوكف: التوقع «الصحاح: ج٤، ص١٤٤١».

(٢) النكوص: الأحجام عن الشيء «الصحاح: ج٣، ص١٠٦٠».

(٣) الاحتجاج للطبرسي: ج ١، ص ١٣٦.

هاء: الحركة التاريخية للمسلمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

من المحطات التي عرضت فيها بضعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحركة التاريخية الكونية، هي الفترة الزمنية التي أعقبت وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتي توضح فيها حركة تاريخ المسلمين. فتقول عليها السلام:

«فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه، ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حسيكة[(١)] النفاق، وسمل جلباب[(٢)] الدين، ونطق كاظم الغاوين[(٣)]، ونبغ خامل الأقلين[(٤)]، وهدر فنيق المبطلين[(٥)]، فخطر في عرصاتكم[(٦)]، واطلع الشيطان رأسه من مغرزه[(٧)] هاتفا بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللعزة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافا، واحمشكم[(٨)] فألفاكم غضابا فوسمتم[(٩)] غير إبلكم، ووردتم غير مشربكم، هذا والعهد قريب والكلم رحيب، والجرح لما يندمل والرسول لما يقبر، ابتدارا، زعمتم خوف الفتنة.

---

(١) حسكة النفاق: عداوته.

(٢) صار خلقاً، والجلباب الإزار.

(٣) الكظوم: السكوت.

(٤) الخامل: من خفي ذكره وكان ساقطاً لا نباهة له.

(٥) الهدير: ترديد البعير صوته في حنجرته، والفنيق: الفحل المكرم من الإبل الذي لا يركب ولا يهان.

(٦) خطر البعير بذنبه إذا رفعه مرة بعد مرة وضرب به فخذيه.

(٧) مغرزه: أي ما يختفي فيه تشبيها له بالقنفذ فانه يطلع رأسه بعد زوال الخوف.

(٨) أي حملكم على الغضب فوجدكم مغضبين لغضبه.

(٩) الوسم: أثر الكي، وهو علامة توضع على الإبل لتشخيصها.

﴿أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[١]»[٢].

وهذا البيان الذي تعرض فيه الزهراء عليها السلام سير الحركة التاريخية للمسلمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تشرك فيه أول السنن التاريخية التي لحقت بالأمم السابقة، مع بيان للنتائج التي أعقبت هذه المقدمات مع تحديد دقيق لعامل الزمن الذي بدأت فيه الحركة التاريخية للمسلمين بمرحلة جديدة، أي حين وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقبل أن يدفن كانت الحركة التاريخية الجديدة قد انطلقت عجلاتها بالدوران لتبدأ مرحلة من السير.

هذا السير الذي شخصت الزهراء عليها السلام مقدماته ونتائجه وسننه التاريخية، وهو كالآتي:

ثانيا: السنن التاريخية عند فاطمة الزهراء عليها السلام

مثلما كانت الحركة التاريخية تحظى باهتمام بضعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كذلك هو حال السنن التاريخية، فقد ركزت عليها فاطمة عليها السلام متبعة في ذلك النهج القرآني والنبوي في بيان السنن الإلهية التي أجرها الله عز وجل في الأمم السابقة وتوضيحها.

وحيث أن هذه الأمة ستسير تبعا لما سارت عليه الأمم السابقة، لاسيما السنن التاريخية التي لحقت ببني إسرائيل حسبما أوضحه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فإن هذه ستحذو في سيرها حذو الأمم السابقة؛ بل ستظهر في هذه

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٩.

(٢) الاحتجاج للطبرسي: ج ١، ص ١٣٦ و١٣٧.

الأمة بعض السنن التاريخية الجديدة التي لم تقع في الأمم السابقة، كسنة قتل أولاد الأنبياء وما أعقبها من نتائج، وغير ذلك من السنن.

ومن هذه السنن التاريخية نختار:

ألف: سنة تضاعف النتائج

مثلما قدر الله عز وجل في الحياة الدنيا سنة مضاعفة نتائج الأفعال كنتيجة تدحرج كرة الثلج، أو سريان الموج في المحيطات، أو سريان النار في الغابات، وغيرها من الشواهد التي تتحدث عن هذه السنة الكونية في مضاعفة النتائج كذلك الحال في السنن التاريخية التي تتحدث عن سلوكيات الأمم والمجتمعات، بل والسلوك الفردي أيضا.

وفي هذه السنة التاريخية تقول الزهراء عليها السلام:

«**ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها ويسلس قيادها**»[(١)].

أي: سوف لن يطول الأمر، بي ستتسارعون في مضاعفة نتائج الوقوع في الفتنة بعد فترة قصيرة كنفرة الدابة، ثم يسهل قيادة الفتنة في مضاعفة الانحراف فتتضاعف النتائج السلبية.

وتمضي عليها السلام في بيان هذه السنة التاريخية فتقول:

«**ثم أخذتم تورون وقدتها، وتهيجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي، وإطفاء أنوار الدين الجلي، وإهمال سنن النبي الصفي، تشربون حسوا في ارتغاء، وتمشون لأهله وولده في الخمرة**[(٢)]

---

(١) الاحتجاج للطبرسي: ج ١. أعيان الشيعة لسيد محسن الأمين: ج ١، ص ٣١٦.

(٢) ما واراك من شجر وغيره، أي الاختباء.

والضراء ويصير منكم على مثل حز المدى ووخز السنان في الحشاء، وأنتم الآن تزعمون: أن لا إرث لنا».

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[1]»[2].

ولذلك: تذكرهم الزهراء عليها السلام بأن عندهم آية الله عز وجل ومعجزة النبوة التي تصدهم عن الضلال والتردي، لكن مقدمات الفتنة كانت قد سرت فيهم لتتسارع معها سنة مضاعفة النتائج.

قالت عليها السلام:

«فهيهات منكم، وكيف بكم، وأنى تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة وأعلامه باهرة، وزواجره لايحة، وأوامره واضحة، وقد خلفتموه وراء ظهوركم. أرغبة عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟.

﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾[3]، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[4]»[5].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٠.

(٢) الاحتجاج للطبرسي: ج ١، ص ١٣٧ و١٣٨. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ٢٩، ص ٢٢٦.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٥٠.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٥) الاحتجاج للطبرسي: ج ١، ص ١٣٧. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ٢٩، ص٢٢٥، الباب ١١. دلائل الإمام لمحمد بن جرير الطبري الإمامي: حديث فدك ص١١٦.

باء: سنة تعجيل العذاب

هذه السنة التاريخية ترتبط مع سنة مضاعفة النتائج ارتباطا كبيرا، إذ يجر هذا التسارع في مضاعفة النتائج إلى حلول الدمار ونزول العذاب بصورة تناسق فيما بين هذين السنتين، ككرة الثلج كلما كبرت تسارعت وتضاعفت معها الأضرار. تقول عليها السلام:

«فدونكموها فاحتقبوها دبرة الظهر، نقبة الخف، باقية العار، موسومة بغضب الجبار، وشنار الأبد، موصولة بـ:

﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾[1].

فبعين الله ما تفعلون.

﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾[2].

وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فاعملوا إنا عاملون، وانتظروا إنا منتظرون»[3].

جيم: سنة انقلاب الأمم بعد أنبيائها

من السنن التاريخية التي وقعت في الأمم السابقة هي سنة انقلاب الناس بعد غياب أنبيائها أو موتهم؛ ويظهر أن هذه السنة التاريخية كانت قد وقعت في بني إسرائيل قبل موت موسى عليه السلام مما يكشف عن حجم هذه الفتنة وأثر هذه السنة.

ويبدو أن الحكمة في تذكير النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بتاريخ بني

---

(١) سورة الهمزة، الآية: ٦ ـ ٧.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

(٣) الاحتجاج للطبرسي: ج ١، ص ١٤١.

إسرائيل وما وقع فيهم من السنن الإلهية كان لأجل أن يحذر أمته من السير على نهج بني إسرائيل؛ إلا أن الأمر الذي أراده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يتحقق له.

ولذلك نجد أن هذه الأمة قد حذت حذو بني إسرائيل في انقلابها على أعقابها، غير أن الفارق بين الأمتين أن أمة بني إسرائيل انقلبت في حياة نبيها موسى عليه السلام، وإن هذه الأمة انقلبت بعد موت نبيها صلى الله عليه وآله وسلم والفارق أيضا: أن موسى عليه السلام لم يكن يعلم ماذا سيجري بعده أثناء غيابه وذهابه لميقات ربه، بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلم بما ستؤول إليه أمور أمته من بعده، ولطالما صرح بذلك.

أما عدم علم موسى عليه السلام فقد أظهره القرآن، قال تعالى:

﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾[1].

وأما علم النبي المصطفى بحال قومه من بعده فقد صرح به القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ﴾[2].

وأظهرته السنة، فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**إنكم تحشرون حفاة عراة.**

---

(١) سورة طه، الآية: ٨٣ ـ ٨٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

ـ إلى أن يقول ـ:

وأناسا من أصحابي فيؤخذ بهم ذات الشمال!! فأقول أصحابي أصحابي، فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم....» [١].

وروى مسلم في صحيحه، عن الأعمش، عن شقيق، عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«انا فرطكم على الحوض ولأنازعن أقواما ثم لأغلبن عليهم فأقول يا رب أصحابي أصحابي فيقال انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك» [٢].

وفي لفظ آخر أخرجه أحمد بن حنبل، عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«فأقول أصحابي أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك.

قال:

فأقول سحقا سحقا لمن بدل بعدي» [٣].

أما بضعة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فقد كشفت الأمر عن الحقيقة

---

(١) صحيح البخاري: ج ٤، ص ١١٠. مسند أحمد بن حنبل: ج ٦، ص ٥٣. المستدرك للحاكم النيسابوري: ج ٢، ص ٤٤٧.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، ج ٧، ص٦٨. مسند أحمد بن حنبل: ج ١، ص ٣٨٤. كنز العمال للمتقي الهندي: ج ١٤، ص٤١٨، المبعث والحشر، الحوض.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ج ٥، ص ٣٣٣. صحيح البخاري، كتاب الفتن: ج ٨، ص ٨٧. الايضاح لفضل بن شاذان الأزدي: ص ٢٣٣. إمتاع الأسماع للمقريزي: ج ١٤، ص ٢٢٣.

القرآنية والواقعية؛ لأنها عاشت هذه اللحظات التي أعقبت وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وجرت فيها هذه السنة التاريخية، وقد خصت عليها السلام الأنصار في خطابها فتوجهت إليهم قائلة:

«يا معشر النقيبة[١] وأعضاد الملة وحضنة الإسلام، ما هذه الغميزة[٢] في حقي والسنة[٣] عن ظلامتي؟ أما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبي يقول (المرء يحفظ في ولده)؟»[٤].

وهنا: تجمع الزهراء عليها السلام بين حركة التاريخ لمسار الأنصار في حياة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وحركة التاريخ لمسارهم بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم؛ ثم تنطلق من هذا البيان إلى تحرك السنن التاريخية في أمة أبيها صلى الله عليه وآله وسلم، فتقول:

«سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة[٥] ولكم طاقة بما أحاول، وقوة على ما أطلب وأزاول، أتقولون مات محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ فخطب جليل: استوسع وهنه[٦] واستنهر[٧] فتقه وانفتق رتقه، واظلمت الأرض لغيبته، وكسفت الشمس والقمر، وانتثرت النجوم لمصيبته، وأكدت الآمال[٨]،

---

(١) النقيبة: الفتية.

(٢) الغميزة: بفتح الغين المعجمة الزاي ـ ضعفة في العمل.

(٣) السِنة: النوم الخفيف.

(٤) الاحتجاج للطبرسي: ج ١، ص ١٣٩.

(٥) إهالة: بكسر الهمزة: الدسم، وسرعان ذا إهالة: مثل يضرب لمن يخبر بكينونة الشيء قبل وقته.

(٦) وهنه الوهن: الخرق.

(٧) واستنهر: اتسع.

(٨) أكدت: قل خيرها.

وخشعت الجبال، وأضيع الحريم، وأزيلت الحرمة عند مماته، فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى، لا مثلها نازلة، ولا بائقة[1] عاجلة، أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه، في أفنيتكم، وفي ممساكم، ومصبحكم، يهتف في أفنيتكم هتافا، وصراخا، وتلاوة، وألحانا، ولقبله ماحل بأنبياء الله ورسله، حكم فصل، وقضاء حتم:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾[2]»[3].

دال: سنة رين القلوب بين الأسباب والنتائج

من السنن التاريخية التي عرضها القرآن مجملا ومفصلا هي سنة رين القلوب، فمن حيث المجمل يذكر القرآن الأسباب التي تؤدي إلى تكون هذه السنة وآثارها ممثلا ذلك بالنتائج. قال تعالى:

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[4].

---

(١) بائقة: داهية.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٣) الاحتجاج للطبرسي: ج ١، ص ١٣٩ ـ ١٤٠. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ٢٩، ص ٢٢٧. أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: ج ١، ص ٣١٧.

(٤) سورة المطففين، الآية: ١٠ ـ ١٤.

وذكرها القرآن مفصلا في سير حديثه لنتائج تكذيب الأنبياء عليهم السلام، ويظهر من العرض المجمل والمفصل لهذه السنة التاريخية أن الأساس في تكونها هو التكذيب بما جاءت به الأنبياء عليهم السلام إلى أقوامهم، فيلحقه التكذيب باليوم الآخر، ليصل إلى ذروته في حجب الأذن عن كل موعظة أو إنذار أو تحذير أو آية أو معجزة، فيكون عند ذلك الرين على القلب أي حجبها وصدأها وموتها عند ذلك فلا حياة لها.

وإذا ما وصلت القلوب إلى تلك المرحلة تمادت في الظلم، وظهر منها ما لم يظهر من أشد الوحوش قساوة وشراسة والعياذ بالله.

ولذلك تتوجه عليها السلام في بيانها لهذه السنة التاريخية وما يعقبها من نتائج إلى عامة الناس من المهاجرين والأنصار والأعراب، لأن الأمر لم يتعلق بفئة محددة بل بقانون إلهي وسنة ربانية جرت في جميع الأمم السابقة، وقد وقعت في هذه الأمة. فقالت عليها وعلى أبيها وعلى بعلها وولدها الصلاة والسلام:

«معاشر المسلمين المسرعة إلى قيل الباطل المغضية على الفعل القبيح الخاسر.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[1].

كلا بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأولتم، وساء ما به أشرتم، وشر ما منه اغتصبتم، لتجدن والله محمله ثقيلا، وغبه وبيلا، إذا كشف لكم الغطاء، وبان بأورائه الضراء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون، وخسر هنالك المبطلون»[2].

---

(١) سورة محمد، الآية: ٢٤.

(٢) الاحتجاج للطبرسي: ج ١، ص ١٤٤، ط دار النعمان، النجف.

واو: سنة الاستقامة في السلوك

في الوقت الذي كانت فيه فاطمة الزهراء عليها السلام تحذر المسلمين من الوقوع في فم السنن التاريخية التي توجدها السلوكيات المنحرفة، فتقذف بها في الهاوية والخسران المبين ـ كانت عليها السلام أيضا ـ تذكر بالسنن التاريخية التي تكون وليدة السلوكيات المستقيمة والمنضبطة بضوابط الشريعة المقدسة، وما تثمره من نتائج خيرة تعود على الإنسان بالسرور والخير والبركة في الدنيا والآخرة.

قالت عليها السلام:

«وما الذي نقموا من أبي الحسن عليه السلام؟! نقموا والله منه نكير سيفه، وقلة مبالاته لحتفه، وشدة وطأته، ونكال[1] وقعته، وتنمره[2] في ذات الله.

وتالله لو مالوا عن المحجة اللايحة، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة، لردهم إليها، وحملهم عليها ولسار بهم سيرا سجحا[3]، لا يكلم[4] حشاشه، ولا يكل[5] سائره، ولا يمل راكبه، ولأوردهم منهلا نميرا[6]، صافيا، رويا، تطفح ضفتاه ولا يترنق جانباه ولأصدرهم بطانا، ونصح لهم سرا وإعلانا، ولم يكن يتحلى من الدنيا بطائل، ولا يحظى منها بنائل[7]،

---

(١) النكال: ما نكلت به غيرك كائنا ما كان.

(٢) تنمر: عبس وغضب.

(٣) سجحا: سهلا.

(٤) يكلم، كلمه: جرحه.

(٥) يكل: يتعب.

(٦) النمير: الأبيض.

(٧) النائل: مثل الذي يعدو وعليه حمل ينهض به، أي لم يكن يحتمل من الدنيا بحمل.

غير ري الناهل، وشبعة الكافل، ولبان لهم: الزاهد من الراغب والصادق من الكاذب.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[1].

﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾[2]!»[3].

بمعنى أن رواد هذه المدرسة قد تعلموا مناهج كتابة التاريخ، لا الرواية بمنهج (حدثنا، وأخبرنا) فقط.

ومن هنا:

فإن سليم بن قيس الهلالي ومحمد بن إسحاق المطلبي وأشباههما لم يكونوا قد أوحي إليهم هذا الوعي التاريخي، بل إنهم تتلمذوا في مدرسة القرآن والعترة النبوية الطاهرة، فتخرجوا منها وهم مسلحون بهذا الوعي التاريخي والنقدي، فكتب الأول التاريخ بوجهه الحقيقي الذي لا يروق لأصحاب الأهواء والميولات والمصالح والأغراض قديما وحديثا، وحرص الثاني على تدوين السيرة النبوية بما مكنته قواه من جمع أخبارها وبيان أحوالها؛ وإن لم تكن تروق لأقطاب عصره فحورب وهُجِّر واضطهد لذلك.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٥١.

(٣) الاحتجاج للطبرسي: ج ١، ص١٤٧ ـ ١٤٨. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ٤٣، ص١٦٠.

ولم يكن سليم بن قيس بالأحسن حالا منه فهو الآخر قد فرّ بدينه وعلمه من بلد إلى آخر، حتى وافته المنية في دار غربة مظلوما مهتضما ــ كما سيمر بيانه لاحقا ــ.

ولذلك: لابد أن يكون هناك رؤية جامعة وحاذقة في آن واحد عند من أراد أن يتعرف على التاريخ، ولاسيما التاريخ العربي والإسلامي.

ولابد أن يكون عند مدون التاريخ وقارئه منهج يعتمد على دراسة الإنسان وطبيعته البشرية وما يبديه من سلوكيات، فما الحدث التاريخي إلا صناعة بشرية، ولمعرفة هذه الصناعة وما يرتبط بها من آثار على البشر أيضا، فلابد من دراسة العناصر البشرية المكونة والموجودة لهذه الصناعة، التي هي الحدث التاريخي.

قال المؤرخ البلجيكي الشهير هنري بيران: (إن الحدث التاريخي هو الذي يولّد نتائج)[1].

وقال مارك بلوك:

(لا يعني التاريخ جمع وتكديس كل أخبار الماضي، الكثيرة المتنوعة، بل هو علم المجتمعات البشرية) ثم يوضح: (الأحداث التاريخية هي في جوهرها وقائع نفسانية)[2].

ويؤكد آرون: (أن الواقعة الخاضعة تماما للقوانين المتواترة ليست حدثا تاريخيا)[3].

---

(١) مفهوم التاريخ لعبد الله العروي: ص ٧٢ و٧٣.

(٢) نفس المصدر.

(٣) المصدر السابق.

ومن هنا:

يفرض هذا المنهج ـ فضلا عن دراسة السلوكيات البشرية ــ نقد الحدث التاريخي، لأن (الأحداث بمثابة جزئيات مختزلة من التيار الزماني، قابلة أن تكون أسبابا جامعة إلى نتائج في حاجة إلى أسباب، وصاحب الأمر في هذه القضية هو المؤرخ الذي يسمي الأشياء فيقول هذه سابقة وهذه لاحقة، بالنظر إلى قضية مطروحة، مجموعة الشواهد يقابل مجموع الأحداث المذكورة (المروية) المحفوظة، ونسبة هذه بتلك هو بالضبط ما يعرف بالنقد)[1].

لان التاريخ الذي لا يعطي نتائج في تقدم الأمم وتحسين سلوكها وبناء كيانها هو تاريخ ميت، وإن أقل ما يمكن أن يقال فيه أنه غير متحرك.

والظاهر أن من أهم أسباب موت التاريخ هو عدم إشغال العقل البشري فيه، ومزجه بأحداثه خشية أن تتعرى رموز الأحداث التي قد أحيطت بهالة من المحاذير التي وضعها ناقلو الحدث ـ ربما ـ وربما تجنبا للوقوع فيما يخالف الموروث عند الآباء والأجداد.

وربما حرصا من المؤرخ على نقل التاريخ كما نقل إليه، كما يقول الطبري في مقدمة كتابه:

«إن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه دون أن أدرك بحجج العقول واستنبط بفكر النفوس إلا اليسير القليل منه؛ إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين وما هو كائن من أبناء الحادثين غير واصل إلى من لم يشاهدهم، ولم يدرك زمانهم إلا بإخبار المخبرين ونقل الناقلين دون

---

(١) مفهوم التاريخ لعبد الله العروي: ص ٨٦.

الاستخراج بالعقول والاستنباط بفكر النفوس، فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه من بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يتشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا»[١].

وربما حرصا على تكثير الصحائف كما يقول فولتير إمام التاريخ الفلسفي: (لو رضي المؤلفون بأن يقدموا العقل على الحفظ، وأن يمحصوا الأخبار قبل رواياتها لما تمادوا في تسويد الصحائف ونشر الأغاليط)[٢].

في حين كان ينبغي بأصحاب هذا النهج تقديم المصلحة البشرية والسعي في دفع حركة الإصلاح المجتمعاتي قبل الخوض في تدوين الحدث أو على الأقل شمول الحدث بحقائق وأسباب موجداته، وهو الأمر الذي يدعو إليه كثير من المختصين بعلم التاريخ.

يقول فوستيل حامل لواء التاريخ النقدي: (لا يكفي أن نقرأ النصوص، يجب أن نقرأها قبل أن نجعل من آرائنا عقيدة راسخة)[٣].

ويقول ابن خلدون: (وتمحيصه، ــ أي: التاريخ ــ إنما هو بمعرفة طبائع العمران، وهو أحسن الوجوه وأوثقها في تمحيص الأخبار وتمييز صدقها من كذبها، وهو سابق على التمحيص بتعديل الرواة، ولا يرجع إلى تعدي الرواة حتى يعلم أن ذلك الخبر في نفسه ممكن أو ممتنع)[٤].

---

(١) تاريخ الطبري: ج ١، ص ٥.

(٢) مفهوم التاريخ لعبد الله العروي: ص ٨٨.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تاريخ ابن خلدون: ج ١، ص ٣٧.

ويقول في المعنى نفسه:

«فإن كل حادث من الحوادث، ذاتا أو فعلا، لابد له من طبيعة تخصه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله، فإذا كان السامع عارفا بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها، أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب، وهذا أبلغ في التمحيص من كل وجه يعرض»[١].

بينما يرى الجاحظ أن: (دلائل الأشياء أشد تثبيتا من أقوال الرجال)[٢].

ويرى غيره من أعلام الفكر الغربي، وهو «بول فبين»، أن: (لا تقدّم أصلا في كتابة التاريخ، وإنما يحصل التقدم في نقد النصوص واختيار الموضوعات)[٣].

إذن هذه الدعوات التي دعى إليها المتخصصون في دراسة التاريخ من المفكرين الغربيين والإسلاميين كإبن خلدون هي في الواقع كانت منهجاً عملياً من مناهج مدرسة أهل البيت عليهم السلام والذي كان سبباً في اضطهاد رموز هذه المدرسة ومحاربتهم لمنع وصول هذا الفكر التاريخي والتوعوي إلى الأمة.

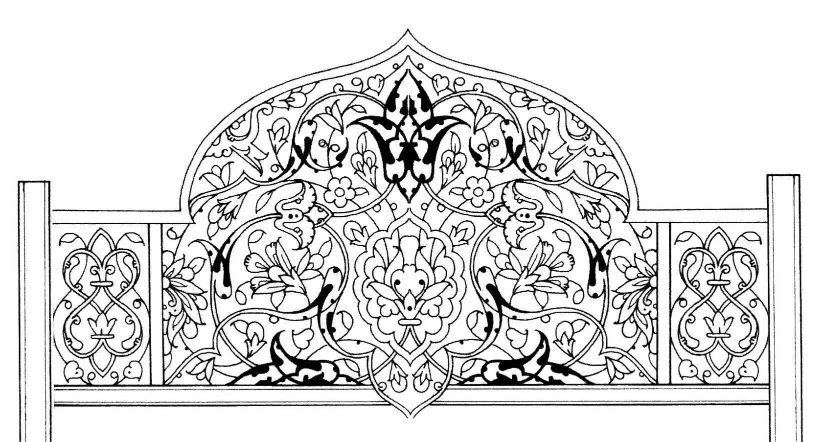
وهو الأمر الذي حرص على منعه الساسة والمتزلفين لهم من الرواة والمحدثين.

---

(١) تاريخ ابن خلدون: ج ١، ص ٣٦.

(٢) مفهوم التاريخ: ص ٢١٤، (الهامش).

(٣) مفهوم التاريخ: ص ١٩٦.



الفصل الثاني:
السيرة النبوية بين الحركة والوعي والتدوين

المبحث الأول: حركة السيرة النبوية

إن حركة السيرة النبوية هـي امتـداد لحركـة التـاريخ إن لم تكـن هـي نفسها، ولاسيما عند المؤرخين العرب، بجعل ما يحمله التاريخ من مفهوم تسجيل الحوادث وروايتها سواء كانت ذات ارتباط ديني أم مادي هو نفسه الذي ينطبق علـى حركـة السيرة النبوية مع ترجيح الطابع الديني لما تحاط به السيرة النبوية من ارتباط بالسماء في كونها تختص بتسجيل حياة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

ويـرى آخـرون أن التـاريخ تـأثر في كتابتـه بالمبـادئ الإسـلامية، وبتكـوين امبراطورية عربيـة، وبـالميول والعـصبيات القبيلـة، وبالنزعـة الأقلميـة، وإن بداياتـه الأولى كانــت في أوســاط المعارضــة للحكــم الأمــوي في البــصرة والكوفــة وفي المدينة)[1]، أي: أن حركتي التاريخ والسيرة كانتا تسيران جنبا إلى جنب.

ويرى بعض الباحثين: «أن التيار الذي يحمل تـراث العـرب قبـل الإسـلام، وفي مجال المعرفة التاريخية، قد ترك تأثيرا واضحا على صياغة سيرة رسول الله صـلى الله عليه وآله وسلم، لاسيما الجزء الذي يتناول حياته في المدينـة وغزواتـه، فقـد كـان كُتاب المغازي في تناولهم لهذه المرحلة من حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحاكمون

(١) مقدمة في تاريخ صدر الإسلام لعبد العزيز الدوري: ص ٢٠.

قدامى القصاصين في تناولهم لأيام العرب في الجاهلية، وربما كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في المغازي يحتل مكانة شبيهة بتلك المكانة التي كان البطل يحتلها في (الأيام)»[١].

في حين يرى البعض: «أن الوقت الذي كانت الثقافة العربية، الإسلامية فيه تنمو وتنضج كان التاريخ جزءا منها وكان ينمو ويشتد عوده بدوره معها، فهو ابن تلك الحركة الثقافية الواسعة التي امتدت منذ أواسط القرن الأول الهجري في دمشق، وبلغت شبابها في عهد المأمون في مطلع القرن الثالث.

وأشد روابط التاريخ قوة إنما كانت مع علم الحديث والسيرة من جهة ومع علوم الأنساب واللغة والأدب من جهة أخرى، لأنه إنما اشتق من ضلعها، وقد مشى خطواته الأولى خاصة مع السيرة النبوية»[٢].

أي بمعنى: أن حركة السيرة النبوية كانت الأسبق على حركة التاريخ عند العرب، وهي التي دفعت الحركة التاريخية إلى الظهور والتطور حتى وصلت إلى الحوليات، لينبثق من هذه الحركة تواريخ تعنى بالسياسة والاجتماع والاقتصاد والأدب والثقافة والأنثروبولوجيا، وغيرها.

وبهذا يتضح تعدد وجهات النظر في تحديد الأسبقية والتبعية في كلا الحركتين على الأخرى، أي حركة السيرة النبوية وحركة التاريخ عند العرب.

والأمر المهم من البحث في هذه الآراء هو تشخيص الوعي في الالتفات إلى تدوين سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو تاريخ العرب قبل ظهور الدين

---

(١) النظرية القرآنية لتفسير حركة التاريخ لحسن سلمان: ص ٢٧٦.

(٢) التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ج ١، ص ٨٦.

الإسلامي وبعده، ومما لا شك فيه أن للإسلام الدور الفعال في خلق هذا الوعي التاريخي وتطويره، مما انعكس إيجابا على رفد الوعي التاريخي عند العرب، لاسيما وأن المتتبع لحال العرب الثقافي والنفسي والاجتماعي قبل الإسلام وحسبما تم عرضه في السنن التاريخية عند بضعة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يلمس بعمق الأثر الفعال للإسلام في خلق هذا الوعي عند المسلمين.

كما أن الباحث المتفحص للنصوص ينكشف له بوضوح وجود نوعين من الوعي التاريخي عند المسلمين.

النوع الأول: هو الوعي المجرد

النوع الثاني: هو الوعي المعرفي

النوع الأول: الوعي الفطري

وهو الوعي الذي نشأ عند العرب من خلال دور القرآن والنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وما حمله الاثنان من بيان للتاريخ الأممي الذي استعرضا فيه حياة الشعوب منذ نشأتها وبلوغ أوجها، ثم أفولها واندثارها مما عمل على تحريك العقلية العربية في الالتفات إلى تسجيل هذا التاريخ سواء عن طريق الحديث الشريف، أو عن طريق آراء الصحابة في تفسير الآيات القرآنية التي لم يرد فيها نص نبوي.

ويكون هذا الوعي مجرداً عن البحث والدراسة في الحدث التاريخي، ومدى واقعيته، ومدى مدخلية الزمان والمكان، والأجواء السياسية، والنفسية، والمذهبية في تكوينه.

النوع الثاني: الوعي المعرفي

وهو الوعي الذي تكوّن عند بعض المسلمين في تسجيل الحدث التاريخي مع النظر في واقعية هذا الحدث والأسباب الموجدة له، وبيان دور الزمان والمكان وما يصاحبهما من أفكار مذهبية، وسياسية، ونفسية، واجتماعية.

وهذا النوع من الوعي المعرفي تكون من خلال دور أهل البيت عليهم السلام في تأسيس هذا المنهج البحثي في عناصر الحدث، لاسيما دور أمير المؤمنين علي عليه السلام وبضعة النبي فاطمة عليها السلام في بيان حركة التاريخ وسننه ـ كما مر ـ مما كان البداية لتطور منهج الجرح والتعديل عند المسلمين، الذي اقتصر على النظر في المستوى المذهبي لحرفة الرواية.

حسبما أسسه أهل هذا المنهج؛ وهم جماعة الحفاظ في وضع الشروط الخاصة بهم، دون أن يكون لهذه الجماعة رأي في التوجيهات السياسية التي فرضتها أجندة الحكام الذين تعاقبوا على السلطة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان له الأثر المباشر في خلق الأحداث وتيسيرها وصياغتها فيما بعد، بما يتناسب مع تلك التوجهات السلطوية.

ولذا نجد كثيراً من شراح البخاري ومسلم، حينما يمر بهم حديث يختلف مع القرآن، ويمجه الذوق السليم نجدهم يلتمسون العذر لهذه الشخصية أو تلك، كموت بضعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي واجدة على أبي بكر؛ وكخروج عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من دارها لحرب علي أمير المؤمنين عليه السلام، وقد أمرت أن توقر فيه؛ وكاختلاف الصحابة في موضع دفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ وكقول عمر بن الخطاب: دعوه إنه ليهجر وغيرها كثير من الأحداث التاريخية التي لا يسع البحث تتبعها.

وعليه؛ فقد تركت هذه الأحداث مع ما أوجده أهل البيت النبوي عليهم السلام من منهج الوعي المعرفي أثرها الفعال في تكوين البنيوية العقلية عند رواد هذه المدرسة، فتم رصد الحدث التاريخي وتشخيص الأسباب والنتائج، وفهم الأدوار البشرية، ومقدار مدخليتها في خلق الحدث الإسلامي.

ولولا هذا المنهج من الوعي المعرفي لضاعت المئات من الحقائق التاريخية، التي قُدّمت بسمات مغايرة لما عليه واقعها، فكان بين يدي المسلمين نوعان من التاريخ، تاريخ مجرد من الوعي، وتاريخ مليء بالوعي؛ مما ساعد على تكوين بنيوية عقلية ومعرفية لدى القارئ.

المبحث الثاني: تدوين السيرة النبوية

لم تتمكن الدراسات التاريخية من تحديد الوقت الذي ظهر فيه أمر التدوين عند العرب بشكل دقيق، على الرغم من أن الدراسات التي تناولت هذا الموضوع كانت منذ أكثر من مائة عام.

(وهي كثيرة بالقياس إلى الأبحاث التي تمت في أكثر المجالات الأخرى للتراث العربي، ومع هذا كله، ونظرا لأن الآراء في هذا الموضوع لا تزال مختلفة متضاربة، فإنه يكاد يصبح متعذرا على المؤرخ أن يقدم عرضا إجماليا لهذا الموضوع بنفسه، وأن يخضع النتائج التي توصل إليها الباحثون للفحص النقدي من جديد)[1].

وتدور أغلب الدراسات التاريخية حول محورين، المحور الأول: يذهب إلى أن الحديث كان يتداول أساسا بالرواية الشفوية، بمعنى: انعدام التدوين في

(١) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: ج ٢، ص ٦.

القرن الأول ومطلع القرن الثاني الهجري وأن الأحاديث والأخبار كانت تنقل بالأسانيد.

ويدور المحور الثاني: حول وجود كتب قديمة سبقت مرحلة التدوين التي ظهرت في القرن الثاني[1] الهجري، أي بمعنى، وجود كتب دونت فيها الأحداث والوقائع التاريخية، ولاسيما فيما يختص بحياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنها كانت المادة الأساس التي نقل عنها الطبري وغيره.

والظاهر أن السبب في اختلاف هذه الدراسات، وعدم تمكنها من تحديد ظاهرة التدوين يعود إلى رأيين:

الرأي الأول: هو الاعتقاد بوجود التدوين قبل الإسلام وبعده

وأصحاب هذا الاعتقاد يرجعون إلى مجموعة شواهد وهي كالآتي:

أولا: وجود مجموعة شواهد تؤكد وجود ظاهرة التدوين عند العرب حتى قبل مجيء الإسلام، فقد ورد في عدد من الأخبار ما يفيد (بأن دواوين الشعراء قبل بدء الإسلام بفترة قصيرة وفي السنوات الأولى للإسلام كانت تردد شفهيا عن طريق الرواة مع أنها كانت مكتوبة مدونة)[2].

ثانيا: ورود نصوص قرآنية تأمر المسلمين بالكتابة في عقد (الدين) لإثبات حقوق صاحب المال؛ قال تعالى:

---

(١) تذكرة الحفاظ لشمس الدين الذهبي: ج ١، ص ١٥١ و٢٢٩؛ النجوم الزاهرة لابن تغري بردي: ج ١، ص ٣٥١؛ تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي: ص ٢٦١.

(٢) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: ج ٢، ص ٣.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ﴾(١).

وهذا يستلزم وجود عدد لا بأس من الذين يقرؤون ويكتبون، كما يستلزم وجود ظاهرة التدوين في المجتمع المكي.

ثالثا: قيام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ببعث بعض الرسائل إلى الحكام والملوك الذين عاصروه؛ كقيصر الروم وكسرى الفرس.

رابعا: كتابة قريش الصحيفة التي اتفقوا فيها على فرض الحصار الاقتصادي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومن آمن به من المسلمين، وحصارهم في شعب أبي طالب، وتعليق هذه الصحيفة على جدار الكعبة.

خامسا: كتابة بنود صلح الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل مكة.

سادسا: رواية بعض الصحابة وصايا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكتبه المكتوبة؛ كرسالته التي يرويها عمرو بن حزم بن زيد، والتي يبين فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الفرائض والزكاة والديات(٢).

سابعا: رواية الصحابة الكتب التي تحمل أوامر الخلفاء إلى الولاة، كما هو حال الكتاب الذي بعثه عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري عن الصلاة(٣).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر: ج ٢، ص ١٢٦٤.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٥، ص ٥٩.

ثامنا: رجوع بعض الصحابة إلى ابن عباس في عرض بعض المدونات التي لديهم[١].

تاسعا: امتلاك بعض الصحابة صحائف خاصة بهم، يدونون بها الحديث؛ كالصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري[٢].

عاشرا: وجود عدد كبير من الصحائف والكتب عند مجموعة من الصحابة، وأنها منعت من الظهور إلا بعد وفاتهم بسنين فأصبحت جزءا من ميراث أبنائهم وأحفادهم، وهم الذين كشفوها فيما بعد لأسباب ستمر الإشارة إليها، ومما يدل عليه قول أبناء الصحابة: (وجدت في كتاب آبائي) أو (وجدت في كتاب أبي)[٣].

حادي عشر: روي عن أبي هريرة قوله للحسن بن عمرو بن أمية الضمري وهو يسأله عن حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأجابه أبو هريرة قائلا: (إن كنت سمعته مني فهو مكتوب عندي، فأخذ بيدي إلى بيته فأرانا كتبا كثيرة من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فوجد ذلك الحديث، فقال: قد أخبرتك إن كنت حدثتك به فهو مكتوب عندي)[٤].

ثاني عشر: فضلا عمّا تقدّم فما أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين بكتابة العلم وتدوينه لخير دليل على كتابة بعض الصحابة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته مع تدوينهم رسائل وصحائف في الفرائض وأحكامها.

---

(١) الإصابة لابن حجر عن ميمون بن مهران عن ابن عباس: ج ٢، ص ٨٠٩.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٥، ص ٤٦٧.

(٣) الإصابة لابن حجر: ج ٢، ص ١٦٢.

(٤) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر: ج ١، ص ٧٤.

وقد روى الحفاظ قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**قيدوا العلم بالكتاب**».

من طرق عدة.

الطريق الأول: عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**قيدوا العلم**»

قلت يا رسول الله وما تقييده؟. قال:

«**الكتاب**»[١].

والطريق الثاني: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**قيّدوا العلم بالكتاب**»[٢].

والطريق الثالث: عن أنس بن مالك، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**قيدوا العلم بالكتاب**»[٣].

فضلا عمّا روي عنه صلى الله عليه وآله وسلم من ألفاظ أخرى تأمر المسلمين بالكتابة:

---

(١) مستدرك الحاكم: ج ١، ص ١٠٦. جامع بيان العلم لابن عبد البر: ج ٢، ص ٢٧.

(٢) الحد الفاصل لرامهرمزي: ص ٣٦٥.

(٣) المعجم الكبير للطبراني: ج ١، ص ٢٤٦؛ ناسخ الحديث لعمر بن شاهين: ص ٥٧٦؛ مسند الشهاب لابن سلامة: ج ١، ص ٣٧٠.

١ ـ فعن يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأريد حفظه فنهتني قريش وقالوا تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشر يتكلم في الرضا والغضب، قال: فأمسكت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال:

«أكتب فو الذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق وأشار بيده إلى فيه»[1].

٢ ـ عن عقيل بن خالد، عن عمرو بن شعيب: إن شعيبا حدثه ومجاهدا أن عبد الله بن عمرو حدثهم أنه قال: يا رسول الله أكتب ما أسمع منك؟ قال:

«نعم».

قلت: عند الغضب والرضا؟. قال:

«نعم، إنه لا ينبغي لي أن أقول إلا حقا»[2].

وقريب منه ما روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، قال:

«قيدوا العلم بالكتابة»[3].

فهذه الشواهد وغيرها كونت لدى الباحثين الاعتقاد بوجود التدوين حتى قبل مجيء الإسلام، وأن المؤرخين والمحدثين والفقهاء كانوا يرجعون إلى كتب مدونة فيها أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحياته وحياة أصحابه إلا أن

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: ج ١، ص ١٠٦.

(٢) المستدرك للحاكم النيسابوري: ج ١، ص ١٠٥.

(٣) الثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي: ص ٢٧٨.

ظهورها تأخر ثلاثة قرون لأسباب عديدة، مما خلقت عند البعض الآخر من الباحثين اعتقادا مخالفا لهذا الرأي، وهو عدم وجود ظاهرة التدوين في القرن الأول الهجري ومنتصف القرن الثاني لأسباب عدة، منها:

الرأي الثاني: عوامل نشوء الاعتقاد بتأخر التدوين إلى منتصف القرن الثاني للهجرة

لقد ظهرت لدى بعض الباحثين مجموعة من الشواهد قادهم إلى الاعتقاد بتأخر نشوء التدوين وظهوره في القرنين الأولين من عمر الإسلام، وهي كالآتي:

أولا: نهي النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عمر بن الخطاب عن كتابة أحاديث اليهود مما انعكس سلبا فيما بعد حينما تولى الخلافة، فمنع كتابة حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسب اجتهاده.

فقد روى ابن الأثير: (إن عمر بن الخطاب قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا! أفترى أن نكتبها؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«أمتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية»)[1].

والحديث واضح الدلالة في نهي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن كتابة أحاديث اليهود، كي لا تدخل الإسرائيليات وما حرف من كتاب التوراة وشرائع اليهود إلى الإسلام، ولذا علل قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لقد جئتكم بها بيضاء نقية».

(١) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ج ٥، ص ٢٨٢. لسان العرب لابن منظور: ج ١٢، ص٤٠٠.

في حين أن الحديث يدل أيضا على وجود حالة التدوين في هذا الوقت في الإسلام.

ثانيا: ويظهر من الروايات أن عمر بن الخطاب كان له أكثر من محاولة في إدخال أحاديث اليهود إلى الشريعة الإسلامية؛ والنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يمنع ذلك.

ففي رواية أخرى: (أن عمر بن الخطاب جاء بجوامع من التوراة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: مررت على أخ لي في قريظة فكتب لي جوامع من التوراة أفلا أعرض عليك؟.

فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال الأنصاري: أما ترى ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟!.

قال عمر: رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا؛ فذهب ما بوجه رسول الله، فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«والذي نفسي بيده لو أن موسى أصبح فيكم ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم، أنتم حظي من الأمم وأنا حظكم في التبيين»)[١].

فالحديث يظهر نهي النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عن كتابة شرائع اليهود التي حرفت خوفا منه على الأمة من الوقوع في الظلال والانحراف وتحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله، ولم يكن نهيه صلى الله عليه وآله وسلم عن حرفة الكتابة والتدوين للعلوم الإسلامية.

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي: ج ١، ص ١٧٤.

ويبدو أيضا أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كان يرى أن المسلمين حدثو العهد بالإسلام، ومن السهل على كثير منهم أن يتسرب إلى فكره وعقيدته ما هو باطل أو مخلوط، بباطل وما أكثر الشبهات! ولذا منع ذلك.

ثالثا: إقدام أبي بكر على حرق أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي كانت قد كتبت على صحائف كما يروي الذهبي في روايتين.

١ ـ عن عائشة أنها قالت: جمع أبي الحديث عن رسول الله وكانت خمس مائة حديث، فبات ليلته يتقلب كثيرا، قالت فغمني، فقلت: أتتقلب لشكوى أو لشيء بلغك؟.

فلما أصبح، قال:

«**أي بنية، هلمي الأحاديث التي عندك، فجئته بها، فدعا بنار فحرقها**».

فقلت: لم أحرقتها؟!.

قال:

«**خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت (به) ولم يكن كما حدثني فأكون قد نقلت ذلك**»[١].

والحديث واضح الدلالة على أن الصحابة كانت تكتب حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلا كيف لعائشة أن تجمعها فيحرقها أبوها ما لم تكن مكتوبة في صحائف.

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي: ج ١، ص ٥.

كما يدل الحديث على نشوء ظاهرة منع الحديث النبوي جملة وتفصيلا، من خلال قيام أبي بكر بحرق جميع هذه الأحاديث دون النظر فيها لدفع ما كان يتخوف منه، بمعنى لو كان الدافع في حرقها هو احتواءها على بعض من لم يثق به الخليفة للزم منه عزلها وإبقاء التي فيها من يثق بهم لا أن تحرق جميعها. ولذلك تركت هذه الحادثة شعوراً عند البعض في منع كتابة الأحاديث الشريفة وروايتها مهما تكن رتبتها صحيحة أو ضعيفة أو مكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٢ ـ عن ابن أبي مليكة قال: «إن أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيهم، فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافا، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئا! فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه»[١].

والحادثة تدل على تعميم المنع لرواية أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتحديث بها، وهذا يلزم أن يمتنع الناس عن كتابة هذه الأحاديث للحد من نشرها، كما يلزم إتلافها وحرقها امتثالا لما قام به الخليفة، وبكلا الحالتين تركت هذه الحادثة شعورا لدى بعض الباحثين بانعدام التدوين عند العرب، وتأخر نشأته إلى ما بعد مائة وخمسين سنة من الهجرة.

رابعا: ومما عظم الاعتقاد بانعدام التدوين عند العرب، وتخلفهم عن الكتابة هذه السنين هو اعتمادهم على ما قام به عمر بن الخطاب من حرق جميع الكتب التي كانت عند الصحابة، والتي احتوت على أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تؤكده روايات، منها:

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي: ج ١، ص ٣٢.

١ ـ روي: «أنه لما بلغه ـ أي: عمر بن الخطاب ـ أنه قد ظهرت في أيدي الصحابة، كتب استنكرها وكرهها وقال: أيها الناس إنه قد بلغني أنه قد ظهرت في أيديكم كتب، فأحبها على الله أعدلها وأقومها، فلا يبقين أحد عنده كتابا إلا أتاني به، فأرى فيه رأيي.

فأتوه بكتبهم، فأحرقها بالنار ثم قال: أمنية كأمنية أهل الكتاب»[١].

وهذا يدل على أن الصحابة كانوا يكتبون أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدلالة قوله:

«فلا يبقين أحد عنده كتابا إلا أتاني به».

٢ ـ عن يحيى بن جعدة: أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنة، ثم بدا له أن لا يكتبها، ثم كتب في الأمصار من كان عنده شيء فليمحه[٢].

ومن البديهي أن يكون فعل المحو من لوازم الكتابة فلو لم يكن عند المسلمين من غير أهل المدينة ـ وهم الذين عبر عنهم بـ(الأمصار) أي في المدن الإسلامية الأخرى ـ كتب مدون فيها أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما طلب منهم أن يمحوا ما كتبوه من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٣ ـ وروي أيضا «أنه قد أستشار الصحابة في تدوين أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأشاروا عليه بأن يكتبها، فطفق يستخير الله فيها شهرا، ثم أصبح يوما وقد عزم الله له، فقال: إني كنت أردت أن أكتب السنن وإني ذكرت

(١) تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٧، ص ٢٢١؛ الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٥، ص ١٨٨؛ سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٥، ص ٥٩.

(٢) تقييد العلم: ص ٥٣؛ حجية السنة: ص ٣٩٥؛ من حياة الخليفة عمر بن الخطاب للبكري: ص٢٧٤.

قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا فأكبوا عليها، فتركوا كتاب الله تعالى، وإني لا ألبس كتاب الله بشيء أبدا»[١].

ويدل الحديث على وجود حالة التدوين وكتابة الكتب قبل مجيء الإسلام عند العرب لكن قيام عمر بن الخطاب بمنع التدوين مرة، وبحرق الكتب التي كتبت فيها أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرة، وبتعميم الأمر إلى المسلمين في المدن المختلفة كافة بمحو هذه الأحاديث النبوية مرة أخرى؛ خلق اعتقادا عند بعض الباحثين بعدم وجود الكتابة عند العرب وتأخر نشوء التدوين ما يقارب القرنين.

والسؤال الذي يرد في البحث هو: كيف تسنى للحفّاظ اعتماد التدوين بعد مائة وخمسين عاما من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتبين لهم خطأ الشيخين في حرق سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومنع كتابتها فعمدوا إلى تصحيح هذا الخطأ؟ أم أنهم قاموا بمخالفة سنة الشيخين فعمدوا إلى كتابة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟.

أم أنهم أكرهوا على فعل ذلك؟.

ومما يدل عليه:

ما روي عن الزهري، أنه قال: (كنا نكره كتاب العلم حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء، فرأينا ألا نمنعه أحدا من المسلمين)[٢].

---

(١) تفييد العلم: ٤٩.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٢، ص ٣٨٩. جامع بيان العلم لابن عبد البر: ج ١، ص٧٦. المصنف للصنعاني: ج ١١، ص ٢٥٨.

والظاهر من قول الزهري أن السبب في كتابة العلم هو إكراه الأمراء لحملة الأحاديث في تدوينها، وحيث أن الأمراء لا تتحرك من وحي الحفاظ على سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقدر ما تندفع للحفاظ على كرسي الحكم، فقد بدا أن الغرض من إكراه الزهري وجماعته على كتابة الأحاديث هو: (تمكين الحكام الأمويين بتقديم مادة عقيدية وسيلة تخدم مصالح أسرهم الحاكمة) وهو الأمر الذي فهمه جولدتسهير من قول الزهري»[1].

بقي أن نقول:

إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قد أخبر عن تعرض السنة إلى الحرق والمحو والمنع من نشرها وتدوينها حيث قال:

«يوشك الرجل متكئ على أريكته يحدث بحديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه ومن حرام حرّمناه»[2].

وفي لفظ آخر قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«يوشك أحدكم أن يكذبني وهو متكئ على أريكته يحدث بحديثي فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه إلا وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل ما حرم الله»[3].

---

(١) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: ج ٢، ص ٧.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ج ٤، ص ١٣٣؛ سنن ابن ماجة: ج ١، ص ٦؛ سنن أبي داوود: ج ٤، ص ٢٠٠؛ السنن الكبرى للبيهقي: ج ٩، ص ٣٣١.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ج ٤، ص ١٣٢.

فهذه الشواهد في (أولا وثانيا) قد خلقت عند الباحثين رأيين، فذهب أصحاب الرأي الأول إلى الاعتقاد بوجود التدوين عند العرب من قبل مجيء الإسلام، وأنهم كانوا يكتبون أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

بينما ذهب أصحاب الرأي الثاني إلى الاعتقاد بتأخر الكتابة والتدوين إلى ما يقارب القرنين من الهجرة النبوية.

وعليه: «فإذا أراد الباحث تقدير قيمة المواد المتعلقة بالقرنين الأول والثاني الهجريين في المصادر التي وصلت إلينا اعتمادا على الإسناد، فعليه أن يتحرر من الآراء القائلة بأن هذه الأخبار ظلت تتداول شفاها على مدى مائة وخمسين عاما، أو أن المحدثين قد اخترعوا الإسناد في نهاية القرن الثاني للهجرة أو في القرن الثالث للهجرة (وأضافوه) إلى الأخبار فدونت به بعد ذلك.

وعليه أن ينظر إلى هذه المؤلفات بوصفها كتبا مجموعة من مصادر مدونة تعود بدورها إلى مصادر مدونة أقدم، فالأسماء الواردة في الأسانيد تعطي ــ في مجموعها أو معظمها ــ أسماء المؤلفين أو أسماء عدد من الرواة والمؤلف»[(١)].

وقد تناول الباحثون عبارات الطبري التي تشير إلى نقله روايات من مصادر متعددة أشار إليها بألفاظ مختلفة كقوله:

١ ــ (حُدّثتُ عن هشام بن محمدبن أبي مخنف، قال: حدّثني الصقب بن زهير)[(٢)].

وهو بهذا يكون قد نقل من كتاب هشام بن محمد الكلبي.

---

(١) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: ج ٢، ص ٨.

(٢) تاريخ الطبري: ج ١، ص ١٨١٠.

٢ ـ (حُدِّثتُ عن الواقدي، قال: سألت ابن أبي سيرة)[١].

وهو بهذا يكون قد نقل عن كتاب مغازي الواقدي.

٣ ـ (حُدِّثتُ عن عمار بن الحسن، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع)[٢].

وبهذا الإسناد يكون قد نقل عن كتاب تفسير القرآن للربيع بن أنس البكرى (المتوفى ١٣٩هـ/٧٥٦م)[٣].

وهذه الشواهد تدل على وجود كتب عن الصحابة، وأن مجموعة منها قد حفظت ولم يستجب أصحابها إلى دعوة الشيخين في إحراقها أو محوها؛ ولاسيما الكتب التي دونها طلاب مدرسة العترة النبوية الطاهرة عليهم السلام.

إلا أن الحرب التي كانت تشن ضد هذه المدرسة منذ حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ كما أظهرته بضعة النبي الأعظم فاطمة عليها السلام في السنن التاريخية ـ وتعاظم هذه الحرب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما بعد يوم، جعل كثير من الباحثين في حالة فراغ من الإحاطة بنشأة التدوين لمختلف العلوم، وتطوير هذه الظاهرة. بل قد انعكس ذلك سلبا عند كثير من الباحثين المستشرقين، فذهبوا إلى الاعتقاد بتخلف العرب عن تدوين علومهم، وأنهم كانوا يعتمدون على النقل الشفوي؛ مما يجعل الحدث التاريخي أو الأثر أو الحديث في معرض الخطأ والتداخل ونسب ما ليس من الشريعة إليها، وما أكثر الشواهد على ذلك!.

---

(١) تاريخ الطبري: ج ١، ص ١٨١٢.

(٢) تاريخ الطبري: ج ١، ص ٣١٥.

(٣) تاريخ التراث العربي: ج ٢، ص ١٠.

فمنها ما ذهب إليه المفكر الفرنسي روجيه جارودي بعد أن أسلم فيقول: (قرأت القرآن الكريم، وأعدت قراءته مرات كثيرة، ولا أدري إن كنت قد فهمته جيداً بالطريقة التي يجب على الإنسان أن يفهمه بها أم لا، فقد بدا لي أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم جاء بدين عظيم هو أساس الأديان، لم ينكر فيه الأنبياء السابقين، بل جاءت رسالته متممة ومكملة للرسالات السابقة، ثم شرعت في قراءة الأحاديث النبوية، وعندما أتيح لي السفر إلى المدينة المنورة قمت بشراء واقتناء مجموعة من الأحاديث في كتب البخاري ومسلم، فرأيت شيئا آخر أعبر عنه بهذه العبارة الصريحة: رأيتني وكأنني أمام دين آخر ونشأ في نفسي انطباع من قراءتي للحديث الشريف أنني أمام دين تقليدي.

فكل ما وجدته في كتب الأحاديث، وكل ما رأيت للرسول صلى الله عليه وآله وسلم يتحدث عنه أو يشير النبي فعله يتعلق بلبس الثياب أو كيفية الدخول للمكان والخروج منه وأشياء أخرى من هذا القبيل، لا كما رأيت في القرآن الكريم من الأساسيات التي تدل على كمال الدين الإسلامي)[1].

فهذا الانطباع بل والتحول في الرؤية والقراءة للدين الإسلامي كان من أسبابها محاربة مدرسة القرآن النبوية عليهم السلام، وفرض الحصار على نتاجها الفكري والعلمي، بل وسعي كثيرين ممن تصدوا للفتيا لتشويه صورة هذه المدرسة وطلابها.

فعلى سبيل الاستشهاد لا الحصر نذكر ما أفتى به البعض من فتاوى تفرض بمجملها حصارا وحربا على مدرسة العترة النبوية عليهم السلام وطلابها الشيعة.

---

(١) أحاديث أم المؤمنين عائشة لمرتضى العسكري: ج ٢، ص ٣٨١.

١ ـ قال ابن تيمية في منهاجه عند بيان التشبه بالشيعة: (ومن هنا ذهب من ذهب من الفقهاء إلى ترك بعض المستحبات، إذ صار شعاراً لهم ـــ أي الشيعة ـــ فإنه وإن لم يترك واجبا لذلك، لكن في إظهار ذلك مشابهة لهم، فلا يتميز السني من الرافضي، ومصلحة التمييز عنهم لأجل هجرانهم ومخالفتهم أعظم من مصلحة ذلك المستحب)[(١)].

٢ ـ وقال مصنف الهداية: (إن المشروع التختم باليمين، ولكن لما اتخذته الرافضة جعلناه في اليسار)[(٢)].

٣ ـ وقال الغزالي إن تسطيح القبور هو المشروع ـــ أي أن يجعل لها بناء وسطح ـ ولكن لما جعلته الرافضة شعارا لها، عدلنا إلى التسنيم[(٣)].

٤ ـــ وقال ابن عبد الرحمن: (السُنة في القبر التسطيح، وهو أولى على الراجح من المذهب الشافعي)[(٤)].

٥ ـــ وقال أبو حنيفة وأحمد: التسنيم أولى، لأن التسطيح صار شعارا للشيعة، أي على الرغم من كونه سنة، وهو المشروع إلا أن الحرب المعلنة على مدرسة آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعلتهم يعدلون عن السنة[(٥)].

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية: ج ٢، ص ١٤٣، (التشبه بالروافض).

(٢) الغدير للعلامة الأميني: ج ١٠، ص ٢١٠.

(٣) نهج الحق للعلامة الحلي: ص ٤٥١؛ الصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي: ج ٣، ص٢٠٦.

(٤) الغدير: ج ١٠، ص ٢١٠.

(٥) أنظر فتح الباري لابن حجر: ج ٣، ص ٢٠٤؛ تحفة الأحوذي: ج ٤، ص ١٣٠ وفيها: عوض الشيعة وأهل البدع، وقالا: يرجحان التسطيح على التسنيم؛ رحمة الأمة للدمشقي: ج١، ص ٨٨.

٦ ـ ذكر الزرقاني في المواهب اللدنية في صفة عمّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ أي العمامة ـ على رواية علي عليه السلام في إسدالها على منكبيه حين عممه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم ذكر قول الحافظ العراقي: إن ذلك أصبح شعار كثير من فقهاء الإمامية ينبغي تجنبه لترك التشبه بهم[١].

كل ذلك وغيره قد انعكس سلبا على إعطاء صورة غير حقيقية لواقع الرسالة المحمدية ودورها القيادي للبشرية، ناهيك عن تكوّن رؤى وآراء وقراءات سلبية ومشوشة عن الإسلام ونبيه الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

٧ ـ قال الفخر الرازي: روى البيهقي عن أبي هريرة قال: كان رسول الله يجهر في الصلاة بـ(بسم الله الرحمن الرحيم) وكان علي ـ رضي الله عنه ـ يجهر بالتسمية وقد ثبت بالتواتر، وكان علي بن أبي طالب يقول:

«يا من ذكره شرف للذاكرين، ومثل هذا كيف يليق بالعاقل أن يسعى في إخفائه».

وقالت الشيعة: السنة، هي الجهر بالتسمية، سواء أكانت في الصلاة الجهرية أم السرية، وجمهور الفقهاء يخالفونهم ـ إلى إن قال: ان علياً كان يبالغ في الجهر بالتسمية، فلما وصلت الدولة إلى بني أمية بالغوا في المنع من الجهر، سعيا في إبطال آثار علي ـ رضي الله عنه ـ[٢].

إذن: اتجهت مدرسة العترة النبوية الطاهرة ـ على الرغم من محاربتها ـ إلى تصنيف كثير من الكتب التي شملت مختلف العلوم الإسلامية في الحديث

---

(١) شرح المواهب للزرقاني: ج ٥ ، ص ١٣.

(٢) مفاتيح الغيب للفخر الرازي: ص ٩٠.

والتفسير والفقه والتاريخ والسيرة النبوية، وكانت هذه الكتب هي أقدم بكثير مما اكتشفه الباحثون عن بعض المقاطع هنا وهناك في النصوص التاريخية التي احتواها تاريخ الطبري، أو الطبقات لابن سعد، أو المغازي للواقدي، أو ما جمعه الزهري وغيره.

(لأن أقدم وأبسط ما دون عن حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو ما نجده عند متأخري الصحابة، وفي الجيل التالي لهم مباشرة، أي عند قدامى التابعين ظهرت سيرة الرسول بالمعنى الحقيقي للكلمة في كتب كبيرة نسبياً باسم المغازي)[١].

في حين نجد أن كتابة السيرة النبوية بدأت في مدرسة أهل البيت عليهم السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة، لتسجل الوجه الآخر لتاريخ العرب وما نزل بالأمة الإسلامية من متغيرات، ومن هذه الكتب كتاب سليم بن قيس الهلالي، الذي غير نظرية تأخر نشوء التدوين عند العرب إلى ما يقارب القرنين من الهجرة النبوية، فضلا عن كونه أقدم مصنف كتبه المسلمون في السيرة النبوية، فقد حمل مع الرواية التاريخية التحليل النقدي والفلسفي للحدث مع بيان لمختلف التوجهات السياسية، ناهيك عن إظهاره العديد من العقائد الإسلامية.

وما كتاب سليم بن قيس إلا واحد من العديد من المصنفات التي سبقته في مدرسة العترة النبوية، والتي يعود أول مصنفاته إلى عهد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وهو ما سيمر بيانه في المبحث الآتي:

(١) تاريخ التراث العربي: ج ٢، ص ٦٥.

المبحث الثالث: تقدم تدوين السيرة النبوية في مدرسة العترة النبوية عليهم السلام على المدارس الإسلامية كافة

المسألة الأولى: متى بدأ المسلمون تدوين السيرة النبوية؟

أشارت بعض الدراسات التاريخية قديما وحديثا إلى وجود بعض الكتب التي اهتمت بدراسة حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والتي عرفت باسم المغازي، وتعني غزوات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وحروبه.

فإن هذه الدراسات أشارت إلى أن أقدم ما كتب في هذا المجال هو ما دونه أبان بن عثمان (المتوفى بين ٩٥ـ١٠٥هـ/٧١٣ـ٧٢٣م).

(فهو محدث له ميل إلى دراسة المغازي، ومع أن أحد تلامذته كتب مغازيه إلا أنها توصف بأنها من الحديث، ـ وإذا استثنينا إشارة إليه في تاريخ ـ اليعقوبي، فإننا لا نجد بين المؤرخين من نقل أو روى عنه، في حين أنه يروى عنه في كتب الحديث، ويبدو أن أبان بن عثمان يمثل مرحلة انتقال بين دراسة الحديث ودراسة المغازي)[1].

وهذا في الواقع يطرح تساؤلا حول وجود كتاب المغازي من تصنيف أبان بن عثمان مع إهمال المؤرخين له، وعدم نقلهم نصوصا منه.

في حين يرى البعض: أن عروة بن الزبير (توفي ٩٤هـ/٧١٢م) هو أول من ألف كتابا في المغازي[2]، وأن (شيئا من مغازيه في مقتبسات وردت عن بعض

(١) نشأة علم التاريخ عند العرب للدوري: ص ١٩.

(٢) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مج ٢، ص ١٧٤٧. الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ لشمس الدين السخاوي: ص ٩٩.

المؤرخين كالطبري، وابن إسحاق، والواقدي، وابن سيد الناس، وابن كثير، وهذه المقتبسات هي أقدم ما وصل من تاريخ المغازي.

وهي تتناول جوانب مختلفة من حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كبدء الوحي، وبعض الغزوات، وبعض الشؤون الخاصة بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم)[١].

وهذا في الواقع يكشف عن حجم الحصار الذي فرضته الأجواء السلطوية الأموية ومن سار على نهجها ـ كما سيمر بيانه مشفوعا بالأدلة ـ على النتاج الفكري لمدرسة العترة النبوية، ولو أطلع الباحثون على هذا النتاج الفكري لعلموا أن هناك العديد من الكتب التي كتبت في سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل عروة بن الزبير بعشرات السنين.

إلا أن ممّا يؤسف له أن أغلب الدراسات التاريخية ما زالت محكومة بالتعصب، لما ورثوه في المصادر التاريخية والحديثية التي كتبت في ظروف خاضعة للسلطة الحاكمة، وحتى الذين حاولوا التحرر من هذا التعصب للتاريخ السلطوي؛ نراهم يمتنعون عن الإدلاء بآرائهم حول الحقائق التي توصلوا إليها خوفا من أن ينسب لهم الانتساب لمدرسة العترة النبوية، كما هو حال صاحب الكشاف الزمخشري في بيانه لكيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قائلا: (القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ﴾.

وقوله تعالى:

﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡ﴾.

---

(١) نشأة علم التاريخ عند العرب للدوري: ص ١٩ و٢٠

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**اللهم صل على آل أبي أوفى**».

ولكن للعلماء تفصيلا في ذلك: وهو إنها إن كانت على سبيل التبع كقولك: (صلى الله على النبي وآله)، فلا كلام فيها، وأما إذا أراد إفراد غيره من أهل البيت بالصلاة كما يفرد هو فمكروه! لأن ذلك صار شعارا لذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولأنه يؤدي إلى الاتهام بالرفض، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم)[١].

وثمت سؤال يطرح في البحث: فلو كان الزمخشري يحيا في دولة تمنع الناس من اتباع دين الإسلام أفكان يترك الصلاة أو الصيام أو السفر لحج بيت الله الحرام خشية أن يتهم بأنه مسلم. فإذا كان ذكر الصلاة على أهل البيت يجر إلى التهمة بالرفض؛ مع مالها من ضرورة شرعية نص عليها القرآن والسنة كما هو مفصل في كتب الفقه، فكيف بذكر النتاج الفكري والعلمي لمدرسة أهل البيت عليهم السلام؟! ثم ما بالهم يصلون على النبي الأكرم الصلاة البتراء، وقد منعهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الصلاة عليه ويمسكون فلا يصلون على أهل بيته عليهم السلام؟.

بل إننا لنجد هذا الخوف عند البعض وصل إلى درجة الهروب من علي بن أبي طالب عليه السلام حتى في المنام، كما يروي الحافظ الخطيب البغدادي، قائلا:

(إن رجلا رأى عليا في المنام فلم يجسر على الدنو منه، فسأله صاحبه؟ فقال: أخشى أن قربت إليه اسأله أن أتهم بالتشيع)[٢]!!.

---

(١) الكشاف للزمخشري: ج ٣، ص ٢٧٣. فلك النجاة في الإمامة والصلاة لعلي محمد فتح الدين الحنفي: ص ٣١٨.

(٢) وضوء النبي صلى الله عليه وآله وسلم للشهرستاني: ج ١، ص ٤٥٤.

إذن :

يظهر من هذا الذي سبق حجم الحرب والحصار اللذين فرضا على مدرسة العترة النبوية الطاهرة عليهم السلام. ويظهر أيضا أن أغلب الدراسات التاريخية لم تتمكن من الوصول إلى نتائج صحيحة حول تاريخ العرب ومسيرهم الفكرية والعلمية، وإن الذي توصلت إليه هو أنصاف معلومات، لأنها نظرت إلى الإسلام بعين واحدة.

المسألة الثانية : متى بدأ التصنيف في مدرسة العترة النبوية عليهم السلام

لكي يعلم الباحث والقارئ أسبقية مدرسة أهل البيت عليهم السلام في تدوين العلوم والكتابة؛ فعليه أن يقارن بين قول الحافظ الذهبي في تحديد السنة التي بدأ بها مخالفو أهل البيت في التصنيف، وبين مشروع مدرسة العترة في الكتابة والتصنيف في مختلف العلوم.

قال الذهبي :

(في سنة ثلاث وأربعين ومائة شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث، والفقه والتفسير، فصنف ابن جريح بمكة، ومالك (ابن أنس) الموطأ بالمدينة، والأوزاعي بالشام، وابن أبي عروبة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة، ومعمر باليمن، وسفيان بالكوفة، وصنف ابن إسحاق المغازي، وصنف أبو حنيفة الفقه والرأي، ثم بعد يسير صنف هشيم والليث (بن سعد) وابن لهيعة ثم ابن المبارك وأبو يوسف وابن وهب وكثر تدوين العلم وتبويبه، ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس، وقبل هذا العصر كان

الأئمة يتكلمون من حفظهم، أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة)[(١)].

ولم يشر الذهبي إلى هذه الصحف غير المرتبة عند من كانت؛ لاسيما وأن الشيخين قد جمعا السنة وأحرقاها، ومنعا تدوين الحديث النبوي الشريف والسيرة، وما زال الناس على هذا المنهج حتى أكرههم حكام بني أمية على الرواية والكتابة ـ كما مر بيانه عن الزهري ـ.

وهذا يدل على أن هذه الصحف، وبالأحرى الكتب هي مما خرج من مدرسة أهل البيت عليهم السلام، التي كانت لا ترى رأي الشيخين، فعمدت إلى التدوين والتصنيف منذ عهد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فأُخذ عنها ظاهرة التدوين والتصنيف، فذهب أولئك الذين عدّهم الذهبي في تدوين ما بقي في ذاكرة التابعين وأبنائهم من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كعبد الله بن عروة بن الزبير، وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص ناهيك عن أن هؤلاء الرموز في نقل الرواية كان آباؤهم أقطاب الجبهة المعارضة لأهل البيت عليهم السلام.

وعليه:

فإن التصنيف في مدرسة أهل البيت عليهم السلام كان قد بدأ منذ عصر النبوة ـ على صاحبها وآله آلاف الصلاة والسلام ـ وإن التصنيف عند غيرهم بدأ بعد مائة وخمسين عاما، وإنه قد اختلف في أول من صنف[(٢)] بعد مرور هذه السنين.

---

(١) تذكرة الحفاظ لشمس الدين الذهبي: ج ١، ص ١٥١ و٢٢٩؛ النجوم الزاهرة لابن تغري بردي: ج ١، ص ٣٥١.

(٢) مرآة الكتب للتبريزي: ص ٢٣.

المسألة الثالثة: تصانيف مدرسة أهل البيت عليهم السلام في عصر النبوة

لقد بدأت مرحلة التصنيف في مدرسة أهل البيت عليهم السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد أشارت الروايات إلى أن الإمام علياً عليه السلام هو أول من صنف كتابا في الإسلام، وكان ذلك في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن هذا الكتاب كان من إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبخط الإمام علي عليه السلام، وكان عند أولاده المعصومين، وفيه علم ما يحتاج إليه الناس حتى أرش الخدش، ويعد هذا الكتاب من حيث التصنيف في مدرسة أهل البيت عليهم السلام الكتاب الأول.

وقد أوقف الأئمة عليهم السلام بعض شيعتهم عليه، ورووا عنه في موارد شتى، بل كان له عليه السلام كتب متعددة كما تدل عليه الأخبار، وقد نص الأئمة عليهم السلام، أن هذا الكتاب فيه ما يحتاج إليه الناس من الحلال والحرام.

ففي كتاب البصائر بإسناده عن محمد بن مسلم، قال: سألته ــ أي الإمام الصادق عليه السلام ــ عن ميراث العلم ما بلغ؟ أجوامع هو من العلم، أم فيه تفسير كل شيء من هذه الأمور التي يتكلم فيها الناس من الطلاق والفرائض؟.

فقال عليه السلام:

إن عليا عليه السلام كتب العلم كله القضاء والفرائض، فلو ظهر أمرنا لم يكن فيه شيء إلا وفيه سنة يمضيها[1].

---

(١) بصائر الدرجات للصفار: ص ١٦٤.

وفيه أيضا: بإسناده عن عبد الله بن أيوب عن أبيه، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«ما ترك علي شيعته وهم محتاجون إلى أحد في الحلال والحرام، حتى أنا وجدنا في كتابه أرش الخدش».

قال: ثم قال:

«أما إنك إن رأيت كتابه لعلمت أنه من كتب الأولين»[١].

ومما يدل على أن الأئمة عليهم السلام قد أوقفوا شيعتهم عليه ما في البصائر عن عبد الملك، قال: دعا أبو جعفر عليه السلام بكتاب علي فجاء به جعفر عليه السلام مثل فخذ الرجل مطوي، فإذا فيه: إن النساء ليس لهن من نهار الرجل إذا هو توفي عنها شيء. فقال أبو جعفر عليه السلام:

«هذا والله إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخطه علي بيده عليه السلام»[٢].

فإن قيل: ما فائدة الكتاب دون نشره بين الناس.

قلنا: هو منشور بين الأئمة المعصومين عليهم السلام وقد رووا منه كثيرا من الأحكام، حتى وإن لم يشيروا إليه وهذا أولا.

وثانيا: لو أمِن أئمة أهل البيت عليهم السلام من أذى الناس لأذاعوا علم هذا الكتاب بينهم، ولكن الحال الذي كان عليه الأئمة من إعلان الحرب عليهم ومحاصرتهم ـ كما مرّ بيانه ـ لتغني اللبيب عن المضي في نشر علوم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم بين عامة الناس.

---

(١) بصائر الدرجات للصفار: ص ١٦٥.

(٢) المصدر السابق.

ثالثا: نضيف إلى ذلك أن الكلام في (أول ما صنف لا أول ما ظهر في الناس وشاع)[١].

رابعا: (إن شهرة الكتاب لا يلزم أن يكون عند جميع الناس، وإلا فيجب عدم ذكر ما لم يشتهر نسخته)[٢].

خامسا: إن من الموانع التي منعت نشر الكتاب هو الخوف من أخذه قسرا منهم كما طلب بنو العباس مواريث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، منهم والفرق بين ذلك الكتاب وسائر المواريث كالفرق بين الظاهر المشهور من الأئمة والغائب منهم)[٣]، وغيرها من الأسباب.

إذن؛ يكون هذا الكتاب الذي كتبه الإمام علي عليه السلام في حياة رسول الله وبإملائه صلى الله عليه وآله وسلم هو الكتاب الأول.

الكتاب الثاني: كتاب في علوم القرآن الكريم

هذا الكتاب من إملاء الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد ذكر فيه ستين نوعا من أنواع علوم القرآن.

والكتاب رواه الحافظ أبو العباس، أحمد بن محمد بن سعيد، بن عقدة الكوفي (المتوفى سنة ٣٣٣هـ)، بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام[٤].

(١) مرآة الكتب للتبريزي: ص ٣٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) أعيان الشيعة لمحسن الأمين: ج ١، القسم ١، ص ٣٢١؛ بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ٩٣، ص ٣.

وللكتاب طرق أخرى تعود لكبار محدثي الإمامية، وهي كالآتي:

١ ــ أبو القاسم سعد بن عبد الله أبي خلف الأشعري القمي (المتوفى ٣٤٦هـ) تحت عنوان آخر وهو: (ناسخ القرآن ومنسوخه)[١].

٢ ـ محمد بن إبراهيم بن أبي زينب، الكاتب البغدادي، (المتوفى ٣٦٠هـ) وهو أحد تلاميذ الشيخ الكليني رحمه الله، تحت عنوان: (تفسير النعماني)[٢].

٣ ـ السيد الشريف المرتضى رحمه الله، علي بن الحسين الموسوي (المتوفى ٣٤٦هـ) تحت عنوان: (المحكم والمتشابه في القرآن)[٣].

الكتاب الثالث: كتاب الجامعة

أما الكتاب الثالث الذي صنف في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو (كتاب الجامعة) وهو أيضا للإمام علي عليه السلام كما دلت عليه الأخبار.

١ ـ روى الصفار عن أبي بصير، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: سمعته يقول وقد ذكر ابن شبرمة في فتياه[٤]، فقال عليه السلام:

«**أين هو من الجامعة، أملى رسول الله وخطه علي بيده، فيها جميع الحلال والحرام حتى أرش الخدش فيه**»[٥].

(١) رجال النجاشي: ص ١٧٧ برقم ٤٦٧؛ بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ١، ص ١٥ و٣٢ ـ ج ٩٢، ص ٤٠ ـ ج ٨٤، ص ٣٨٢؛ الذريعة للطهراني: ج ٢٤، ص ٨.

(٢) مستدرك الوسائل للنوري: ج ٣، ص ٣٦٥؛ بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ٩٣، ص٣.

(٣) الذريعة للطهراني: ج ٢٠، ص ١٥٤ و١٥٥.

(٤) هو عبد الله بن شبرمة بن طفيل بن حسان الضبي الكوفي، فقيه العراق، وقاضي الكوفة المتوفى سنة ١٤٤ (مشاهير علماء الأمصار: ص ٦٥. سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٦، ص ٣٤٧. شذرات الذهب: ج ١، ص ٢١٥.

(٥) البصار للصفار: ص ١٤٨.

٢ ـ وعن أبي شيبة، قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«ضل علم ابن شبرمة عن الجامعة، أن الجامعة لم تدع لأحد كلاما، فيها الحلال والحرام»[١].

ولا يتوهم البعض بأن كتاب الجامعة هو الكتاب الأول، لاشتماله على علوم أخرى، حسبما يظهر من الكتاب الذي كتبه الإمام الرضا عليه السلام في العهد الذي كتبه المأمون لولايته عليه السلام من أن الجفر والجامعة يدلان على ضد ذلك[٢]، الذي قد سمعت تقسيمهم إياه إلى الجامعة وغيرها.

الكتاب الرابع: كتاب الجفر

استفاضت الأخبار في وجود كتاب الجفر عند أئمة العترة النبوية عليهم السلام؛ والذي يفهم من هذه الأخبار أن للجفر إطلاقين، تارة يطلق على الوعاء الذي كالجراب وأمثاله، فيه بعض المواريث، وتارة يطلق على الجلد الذي كتب عليه العلوم.

والإطلاق الأول، كما دلت عليه الأخبار هو أحمر وأبيض، أما الأحمر ففيه سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأما الأبيض ففيه كتب وصحائف[٣].

ومن الروايات التي تحدثت عن هذا الكتاب هي:

١ ـ عن الحسين بن أبي العلاء، قال: سمعت أبا عبد الله يقول:

«إِنَّ عِنْدِي الْجَفْرَ الأَبْيَضَ.

---

(١) بصائر الدرجات: ص ١٤٩.

(٢) مرآة الكتب للتبريزي: ص ٣٤.

(٣) مرآة الكتب للتبريزي: ص ٣٥.

قَالَ قُلْتُ فَأَيُّ شَيْءٍ فِيهِ قَالَ:

زَبُورُ دَاوُدَ وَتَوْرَاةُ مُوسَى وَإِنْجِيلُ عِيسَى وَصُحُفُ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام وَالْحَلالُ وَالْحَرَامُ وَمُصْحَفُ فَاطِمَةَ عليها السلام مَا أَزْعُمُ أَنَّ فِيهِ قُرْآناً وَفِيهِ مَا يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْنَا وَلاَ نَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ حَتَّى فِيهِ الْجَلْدَةُ وَنِصْفُ الْجَلْدَةِ وَرُبُعُ الْجَلْدَةِ وَأَرْشُ الْخَدْشِ. وَعِنْدِي الْجَفْرَ الأَحْمَرَ.

قَالَ قُلْتُ: وَأَيُّ شَيْءٍ فِي الْجَفْرِ الأَحْمَرِ؟ قَالَ:

السِّلاَحُ وَذَلِكَ إِنَّمَا يُفْتَحُ لِلدَّمِ يَفْتَحُهُ صَاحِبُ السَّيْفِ لِلْقَتْلِ»(١) .

أي إشارة إلى ظهور مهدي آل محمد عجل الله تعالى فرجه الشريف الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت ظلما وجورا.

٢ ـ وعن الصادق عليه السلام، من جملة كلام له مع عبد الله الحسن، قال الإمام عليه السلام: ...

وأما قوله في الجفر، فإنما هو جلد ثور مذبوح كالجراب، فيه كتب وعلم ما يحتاج الناس إليه إلى يوم القيامة من حلال وحرام إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخطه علي عليه السلام بيده(٢) .

والذي يفهم من هذا الحديث هو أن الجفر جلد ثور كالجراب فيه كتب، أي يحتوي على بعض الكتب، كما أنه هو نفسه مكتوب عليه علم ما يحتاج الناس إليه من حلال وحرام.

---

(١) الكافي للكليني: ج ١، ص ٢٤٠، ح ٣. شرح أصول الكافي لمولى محمد صالح المازندراني: ج٥، ص ٣٣٩، ح ٣. شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي: ج ٢٨، ص ٥١٩.

(٢) بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار: ص ١٧٦، جامع الأحاديث في الجزء الثاني، الباب ١٤. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ٢٦، ص ٤٢، ح ٧٤.

الكتاب الخامس: كتاب الديات

هذا الكتاب من تصنيف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد روى أئمة أهل البيت عليهم السلام، بعضا منه، وكل ما نقله رواة هذه المدرسة عن أصل ظريف بن ناصح[1] في الديات فهو مستند إلى أمير المؤمنين عليه السلام[2].

الكتاب السادس: كتاب الصحيفة

لقد نصّ كثير من المدارس الإسلامية على ذكر كتاب الصحيفة للإمام علي عليه السلام، وبهذا يكون الكتاب من تصنيف الإمام علي عليه السلام أيضا.

فقد أخرج البخاري بإسناده عن أبي جحيفة، قال: قلت لعلي عليه السلام: هل عندكم كتاب؟ قال:

«**لا، إلا كتاب الله، أو فهماً أعطيه رجلاً مسلماً، أو ما في هذه الصحيفة.**

قال، قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال:

العقل، وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر»[3].

وبهذا يكون الكتاب قد جمع أحكاما في القضاء.

٣ ـ وروى ابن أبي ليلى (المتوفى سنة ٨٢ هـ/٧٠١م)، أنه سأل الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام عن رأي والده في الخيار، أي: أولي الفضل؟.

---

(١) ترجم له النجاشي في رجاله قائلاً: «أصله كوفي، نشأ ببغداد، وكان ثقة في حديثه، صدوقاً، له كتب، منها: كتاب الديات، رواه عدة من أصحابنا وذكر له من الكتب أيضاً (الحدود، الجامع للحلال والحرام)، «رجال النجاشي، باب الظاء: ص٢٩٠».

(٢) مرآة الكتب للتبريزي: ص ٥١.

(٣) صحيح البخاري: ج ١، كتاب العلم، ص ٣٦. فتح الباري لابن حجر: ج ٤، ص ٧٣، باب حرم المدينة.

فأمر بصندوق وأخرج منه صحيفة صفراء تضم آراء علي في ذلك[1].

فهذا هو مجموع الكتب التي صنفت في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت من نتاج مدرسة العترة النبوية عليهم السلام، أما الكتب التي صنفت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مدرسة العترة النبوية عليهم السلام فكانت ثلاثة وخمسين كتابا خلال قرن ونصف، أي منذ عام (١١هـ إلى ١٥١هـ) وهي السنة التي توفي فيها محمد ابن إسحاق فيكون هذا النتاج الفكري قد ابتدأ بتصنيف مصحف فاطمة عليها السلام وختم بتصنيف السير والمغازي لابن إسحاق رحمه الله وهو ما سنتناوله في المسألة الآتية:

المسألة الرابعة: تصانيف مدرسة أهل البيت عليهم السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

الكتاب الأول: مصحف فاطمة عليها السلام

وهو أول الكتب التي صنفت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومصحف فاطمة عليها السلام كثر الحديث عنه في كثير من المدارس الإسلامية بين النفي والسخرية والاتهام بنبذ كتاب الله.

وخير ما يمكن معرفته عن هذا المصحف هو ما ورد عن أهل هذا المصحف، أما عدا هذا البيان فهواء في شبك وتجنٍ على آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فمن هذه الأحاديث ما رواه الصفار عن حماد بن عثمان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

---

(١) العلل لأحمد بن حنبل: ج ١، ص ٣١٦.

« **تَظْهَرُ الزَّنَادِقَةُ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ وذَلِكَ أَنِّي نَظَرْتُ فِي مُصْحَفِ فَاطِمَةَ عليها السلام.**

قَالَ قُلْتُ وَمَا مُصْحَفُ فَاطِمَةَ؟ قَالَ:

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا قَبَضَ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله وسلم دَخَلَ عَلَى فَاطِمَةَ عليها السلام مِنْ وَفَاتِهِ مِنَ الْحُزْنِ مَا لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكاً يُسَلِّي غَمَّهَا وَيُحَدِّثُهَا، فَشَكَتْ ذَلِكَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام.

فَقَالَ إِذَا أَحْسَسْتِ بِذَلِكِ وَسَمِعْتِ الصَّوْتَ قُولِي لِي.

فَأَعْلَمَتْهُ بِذَلِكَ، فَجَعَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَكْتُبُ كُلَّ مَا سَمِعَ حَتَّى أَثْبَتَ مِنْ ذَلِكَ مُصْحَفاً، قَالَ ثُمَّ قَالَ أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْحَلاَلِ وَالْحَرَامِ وَلَكِنْ فِيهِ عِلْمُ مَا يَكُونُ»[١].

وقد يبدو الحديث غريبا على عقول البعض ممن لا يرون فضلا لآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستهجان تحديث الملائكة لبضعة سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم. في حين أن القرآن الكريم يعطي صورا كثيرة حول تحديث الملائكة لأشخاص عديدين، كمريم بنت عمران عليها السلام.

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٢].

وفي زوجة إبراهيم عليه السلام قال تعالى:

---

(١) بصائر الدرجات للصفار: ص ١٧٧، الباب ١٤، ح ١٨، ط منشورات الأعلمي، طهران ــ إيران. الكافي للكليني رحمه الله: ج ١، ص ٢٤٠، ط دار الكتب الإسلامية، طهران ــ إيران.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٢.

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾[(١)].

وفي أم موسى قال تعالى:

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾[(٢)].

وغيرها من الآيات الكريمة التي تتحدث عن حقيقة تحديث الملائكة لمن خصهم الله بفضله ومنّه.

الكتاب الثاني: كتاب الصحابي المنتجب سلمان المحمدي (الفارسي) رضي الله عنه

والكتاب يتضمن رواية سلمان رضي الله عنه في خبر الجاثليق الروحي الذي بعثه ملك الروم بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم[(٣)].

الكتاب الثالث: كتاب الصحابي المنتجب أبي ذر الغفاري رضي الله عنه

وهو كتاب صنفه الصحابي المنتجب أبو ذر الغفاري الذي عرف بتشيعه لعلي وأهل بيته، ويتضمن الكتاب على خطبة لأبي ذر يشرح فيها الأمور التي حدثت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[(٤)].

---

(١) سورة هود، الآية: ٧١ ــ ٧٣.

(٢) سورة القصص، الآية: ٧.

(٣) فهرست الشيخ الطوسي: ص ٨٠.

(٤) فهرست الشيخ الطوسي: ص ٥٧.

الكتاب الرابع: كتاب الصحابي المنتجب أبي رافع[1] مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

عده النجاشي من السلف الصالح، وقال:

«أبو رافع مولى رسول الله، واسمه أسلم وكان للعباس بن عبد المطلب رحمه الله فوهبه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلما بشر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإسلام العباس أعتقه.

وقيل: إن اسمه (إبراهيم)، وكان أبو رافع قد أسلم قديما بمكة وهاجر إلى المدينة، وشهد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم مشاهده ولزم أمير المؤمنين عليه السلام من بعده، وكان من خيار الشيعة، وشهد معه حروبه، وكان صاحب بيت ماله بالكوفة، وابناه «عبد الله، وعلي» كاتبا أمير المؤمنين؛ ولما خرج معاوية بن أبي سفيان وطلحة والزبير لحرب أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قام أبو رافع فباع منزله وأرضه بخيبر وخرج مع أمير المؤمنين علي عليه السلام، وهو يومئذ شيخ كبير له خمس وثمانون سنة[2].

قال النجاشي: (ولأبي رافع كتاب السنن والأحكام والقضايا، وساق إسناده إلى محمد بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن جده أبي رافع، عن علي بن أبي طالب عليه السلام: أنه كان إذا صلى قال في أول الصلاة... وذكر الكتاب إلى آخره، وهو يشتمل على أبواب عديدة في الفقه، كباب الصلاة، والصوم، والحج، والقضاء.

---

(١) أنظر معجم رجال الحديث للسيد الخوئي قدس سره: ج ١، ص ١٥٩ ــ ١٦٢، بعنوان (إبراهيم أبو رافع).

(٢) معجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ج ١، ص ١٥٩ ـ ١٦٢.

وروى هذه النسخة من الكوفيين أيضا زيد بن محمد بن جعفر المبارك، يعرف بـ(ابن أبي الياس) عن الحسين بن الحكم الحبري، قال: حدثنا حسن بن حسين بإسناده)[1]. وروى ابن سعد عن سلمى زوجة أبي رافع: (أن عبد الله بن عباس قد كتب عن زوجها أبي رافع الصحابي بعض أعمال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على ألواح)[2].

الكتاب الخامس: كتاب الصحابي الشهيد حجر بن عدي الكندي رضي الله عنه

كان رمزاً من رموز التشيع[3]، وأحد أعمدة الجهاد من أجل العقيدة، وصاحب أول رأس ينصب في الإسلام في مدينة دمشق، وفد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وشهد معركة القادسية قتله معاوية بن أبي سفيان في مرج عذارى الذي كان قد فتحه الله على يديه.

وهو القائل حينما عرض عليه جند معاوية البراءة من علي بن أبي طالبعليه السلام[4] مقابل الإفراج عنه: «لا تطلقوا عني حديداً ولا تغسلوا عني دما وادفنوني في ثيابي، فإني لاق معاوية بالجادة وإني مخاصمه»[5]، وقال: (الحمد لله، أما والله،

(١) رجال النجاشي: ج ١، ص ٦١ ـ ٦٥.

(٢) الطبقات لابن سعد: ج ٢، ص ١٢٣.

(٣) الأصابة لابن حجر: ج٢، ص٣٣؛ الغارات للثقفي: ج٢، ص٨١٢.

(٤) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج١٢، ص٢١٨.

(٥) الاستذكار ـ ابن عبد البر: ج٥، ص١٢١؛ المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: ج٣، ص٤٧٠؛ الإصابة ـ ابن حجر: ج٢، ص٣٣؛ الاستيعاب لابن عبد البر: ج١، ص٢٣١؛ تاريخ الطبري: ج٤، ص١٩١؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج٣، ص٤٨٨.

إني لأول مسلم نبح كلابها[١] في سبيل الله، ثم أتى بي اليوم إليها مصفودا)[٢].

فقتل رحمه الله صبرا، ومضى إلى ربه شهيدا، مع ولده وأصحابه. وأرسلت رؤوسهم إلى معاوية بن أبي سفيان في الشام.

وكان ثقة معروفا ـ بالورع والتقوى ـ، ولم يرو عن غير الإمام علي عليه السلام شيئا، وكانت عنده صحيفة فيها حديث علي عليه السلام[٣].

الكتاب السادس: كتاب التابعي علي بن أبي رافع رضي الله عنه

تابعي من خيار الشيعة، كانت له صحبة من أمير المؤمنين عليه السلام[٤]، وكان كاتبا له، وحفظ كثيرا، وجمع كتابا في فنون من الفقه: الوضوء، والصلاة، وسائر الأبواب[٥].

الكتاب السابع: كتاب التابعي عبد الله بن أبي رافع رضي الله عنه

ذكره النجاشي في ترجمة أبيه، أبي رافع، وسماه (عبيد الله)[٦].

---

(١) الضمير يعود على قرية عذارى التي استشهد فيها حجر بن عدي الكندي (رضي الله عنه)، (انظر: الغارات: ج٢، ص٨١).

(٢) الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي: ج ٢، ص ٨١٠. الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد: ج ٦، ص ٢١٩، ط دار صادر، بيروت ـ لبنان. تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج ١٢، ص ٢١٨، ط دار الفكر، بيروت ـ لبنان.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٦، ص ٢٢٠.

(٤) انظر رجال العلامة الحلي: ص١٠٢. مجمع الرجال: ج٤، ص١٥٩. نقد الرجال للتفرشي: ص٢٢٥. جامع الرواة للأربلي: ج١، ص ٥٥١. طرائف المقال لعلي البروجردي: ج٢، ص١٠٠.

(٥) رجال النجاشي: ج ١، ص ٦٢.

(٦) رجال النجاشي: ج ١، ص ٦٢. نقد الرجال للتفرشي: ص ٢١٤.

وقد ذكر له الشيخ الطوسي رحمه الله كتابين، الأول هو (كتاب قضايا أمير المؤمنين عليه السلام).

والثاني: (كتاب تسمية من شهد مع أمير المؤمنين الجمل وصفين والنهروان)[١].

الكتاب الثامن: كتاب التابعي الشهيد ميثم التمار رضي الله عنه (توفي سنة ٦٠هـ)

من أعلام مدرسة أهل البيت عليهم السلام، الذين ضربوا أروع صور التمسك بالعقيدة والصبر والجلادة على تحمل العذاب؛ دون أن يأخذ منه الظالمون عشر مثقال ما يأملون، على الرغم من قطعهم يديه ورجليه وصلبه على جذع نخلة.

فكان ينادي من أراد أن يتعلم علوم آل محمد فليأتِ إليّ، فكان طلاب العلم يجتمعون حول الجذع وهو مصلوب عليه، فمنهم من ينسخ ما يقول، ومنهم من أجبره المنظر على حفظ ما يسمع. فلما رأى الظالمون منه هذا الصنيع جاءوا إليه فقطعوا لسانه، وبقروا بطنه برمح[٢]، فرحمه الله، وأسلافه، ومن سار على نهجه.

أما كتابه الذي صنفه في الحديث فقد نقل عنه الكشي في رجاله، والطوسي في الأمالي[٣]، والطبري في بشارة المصطفى، وكثيرا ما يقول: (وجدت في كتاب ميثم التمار)[٤].

---

(١) الفهرست للطوسي: ص ١٠٧.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ٤١، باب اخباره عليه السلام بشهادة ميثم وصلبه، ص ٣٤٦، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان.

(٣) الأمالي للطوسي: ج ١، ص ١٤٧.

(٤) تأسيس الشيعة: ص٢٨٣. مرآة الكتب للتبريزي: ص٥٢. نفس الرحمن لميرزا حسين النوري: ص٣٢٦.

الكتاب التاسع: كتاب التابعي أبي الأسود الدؤلي رضي الله عنه

واسمه (ظالم بن ظالم)، عده الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام علي عليه السلام والإمام الحسن والحسين وعلي بن الحسين عليهم السلام قائلا: (ظالم بن عمرو، ويكنى أبو الأسود الدؤلي)[١].

وكتابه الذين صنفه بالنحو معروف عند المسلمين[٢].

الكتاب العاشر: كتاب التابعي المجاهد سليم بن قيس الهلالي رضي الله عنه (توفي سنة ٧٠هـ)

قال الكشي والشيخ الطوسي:

هو سليم بن قيس الهلالي ثم العامري الكوفي صاحب أمير المؤمنين عليه السلام، وعده من أصحاب الباقر عليه السلام أيضا، وكناه بأبي صادق[٣].

وعده البرقي من الأولياء من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وفي أصحاب أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام، وأبي عبد الله الحسين بن عليعليهما السلام، وأصحاب علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام[٤].

شهد سليم بن قيس الأحداث التي عصفت بالإسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسجل هذه الأحداث وجاور فيها كلاً من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وسلمان (الفارسي) وأبي ذر الغفاري، ودوّن شهاداتهم وتفسيراتهم لما جرى من أحداث، دون أن يعلم به حكام عصره.

(١) معجم رجال الحديث للسيد الخوئي قدس سره: ج ١٠، ص ١٨٦ ـ ١٨٧.

(٢) مرآة الكتب للتبريزي: ص ٤٤.

(٣) معجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ج ٩، ص ٢٢٧.

(٤) المصدر السابق.

(وبعد أن تسلط بنو أمية وأخذوا يطاردون شيعة علي عليه السلام ـ وبخاصة حينما ـ كان الحجاج يتتبع من بقي من أصحاب علي عليه السلام ليقتلهم، اختفى سليم وتنقل من بلد إلى بلد ما بين نجد ومكة والمدينة والكوفة والبصرة؛ ولشدة حرصه على كتابه كان يحمله معه في أسفاره.

ثم عبر إلى أرض فارس ووصل إلى نوبند جان، وهناك في بيت أحد أصدقائه «أبان بن أبي عياش» حط به المرض وجاءه الأجل، وكان لابد من البوح بالسر وإيصال الأمانة إلى أهلها، فأخذ على أبان الأيمان، وكشف له حقيقة أحداث عاشها وشاهدها وسجلها، وقرأ عليه الكتاب، وأودعه عنده، ليوصله إلى أهله.

وقد حافظ أبان على الأمانة، وحمل الكتاب بعد وفاة سليم إلى علماء البصرة، فنسخه بعض الرواة والعلماء رغم تلك الظروف الصعبة وانتشرت نسخه منهم عبر الأجيال.. حتى وصل إلينا)[1].

أما الكتاب الذي صنفه سليم بن قيس فقد (اشتهر هذا الكتاب منذ القرن الأول وإلى يومنا هذا بـ(كتاب سليم بن قيس الهلالي)، وكثيرا ما يعبر عنه اختصارا بـ(كتاب سليم)،وربما يسمى «بأصل سليم»، و«كتاب السقيفة» وأول من سمى الكتاب به الإمام الصادق عليه السلام، وجرى ذكر الكتاب بهذا الإسم على لسان القدماء كالنعماني، والشيخ المفيد، والشيخ الطوسي، وابن شهر آشوب رحمهم الله جميعاً.

وكذلك المتأخرين كالعلامة الحلي، والشهيد الثاني، والمير داماد، والقاضي التستري، والشيخ الحر العاملي، والعلامة المجلسي، والبحراني، والمير حامد حسين، والمحدث النوري، والعلامة الطهراني رحمهم الله جميعاً.

---

(١) كتاب سليم بن قيس، تحقيق محمد باقر الأنصاري: المقدمة ص ١٣.

كما كان يعرف بنفس الاسم في ألسنة علماء ـ الجماعة ـ كالقاضي السبكي رحمه الله، وابن أبي الحديد، والفيض آبادي، وغيرهم)[١].

الكتاب الحادي عشر: كتاب التابعي محمد ابن الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام المعروف بابن الحنفية (توفي سنة ٧٣هـ)

الظاهر في الرواية التي أوردها ابن سعد إن لمحمد ابن الإمام علي عليه السلام كتابا صنف فيه مجموعة من الأحاديث، وإن ما كان يرويه عبد الرحمن بن مهدي عنه إنما هو من هذا الكتاب لا عن طريق السماع والمشافهة[٢].

الكتاب الثاني عشر: كتاب التابعي الحارث الهمداني رضي الله عنه

له كتاب السنن والقضايا والأحكام الذي رواه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام [٣].

ويظهر من خلال بعض الروايات، أنه كان يحمل معه الدواة والقلم، فيكتب مباشرة، أو أنه كان لا يترك ما يحفظ، فسرعان ما يكتب، ومما يدل عليه:

ما رواه عند أبي إسحاق السبيعي أنه قال: خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوما خطبته بعد العصر، فعجب الناس من حسن صفته، وما ذكر من تعظيم الله جل جلاله.

قال أبو إسحاق: فقلت للحارث: أو ما حفظتها؟.

---

(١) كتاب سليم بن قيس، تحقيق محمد باقر الأنصاري: المقدمة ص ٢١.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٥، ص ٧٧ وج ٦، ص ٢٣٣. تهذيب التهذيب لابن حجر: ج ٦، ص ٩٤.

(٣) معجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ج ٥، ص ١٧٢.

قال: قد كتبتها.

فأملاها علينا من كتابه[١].

الكتاب الثالث عشر: كتاب التابعي ثابت بن دينار (أبو حمزة الثمالي)

كان من وجوه الشيعة في زمانه، صحب الإمامين علي بن الحسين زين العابدين وولده الإمام محمد بن علي الباقر عليهما السلام.

ذكره ابن النديم، فقال: (من النجباء الثقات، وله كتاب التفسير)[٢].

الكتاب الرابع عشر: كتاب التابعي الشهيد سعيد بن جبير (توفي سنة ٩٤هـ)

من أبرز رموز التشيع، وكان مستجاب الدعوة، وهو آخر من قتلهم الحجاج من شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان قد دعا الله أن لا يقتل أحدا من بعده، كما دعى الله أن يقتل الحجاج بنفس الطريقة التي يقتله فيها فكان كما دعا.

فكان:

﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ﴾[٣].

فهو أحد الذين اختاروا الشهادة على البراءة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

---

(١) كتاب التوحيد للصدوق: ص ٣١، باب التوحيد ونفي التشبيه، ح ١، ط منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم ـ إيران.

(٢) الفهرست لابن النديم: ص ٣٦.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٢٣.

كما كان رضوان الله تعالى عليه من أبرز تلاميذ عبد الله بن عباس، شديد الاهتمام بكتابة الحديث وتدوينه.

ومما يدل عليه:

١ ـ روى ابن سعد، عنه رحمه الله، أنه قال:

(ربما أتيت ابن عباس، فكتبت في صحيفتي حتى أملأها، وكتبت في نعلي حتى أملأها، وكتبت في كفي، وربما أتيته فلم أكتب حديثا حتى أرجع، لا يسأله أحد عن شيء)[١].

٢ ـ وروى الدارمي في سننه، عنه، أنه قال: (كنت أكتب عند ابن عباس في صحيفة، وأكتب في نعلي)[٢].

٣ ـ وقال رحمه الله: (كنت أسير مع ابن عباس، في طريق مكة، ليلا وكان يحدثني بالحديث فأكتبه في واسطة الراحلة، فأصبح فأكتبه)[٣].

أما كتابه الذي صنفه فهو في تفسير القرآن الكريم كما ذكر ابن النديم[٤]، وابن سعد[٥]، وغيرهما[٦].

---

(١) الطبقات لابن سعد: ج ٦، ص ٢٥٧.

(٢) سنن الدارمي: ج ١، ص ١٠٥، ح ٥٠٦.

(٣) سنن الدارمي: ج ١، ص ١٠٥، ح ٥٠١ و٥٠٥. جامع بيان العلم: ج ١، ص ٧٢.

(٤) الفهرست لابن النديم: ص ٣٧.

(٥) الطبقات لابن سعد: ج ٦، ص ١٧٩ و١٨٦.

(٦) انظر تهذيب التهذيب لابن حجر، ترجمة عطاء بن دينار: ج ٧، ص ١٩٨. تقريب التهذيب: ج ٢، ص ٢١، رقم ١٨٨. جامع التحصيل للعلائي: ص ٢٣٧، رقم ٥١٩.

الكتاب الخامس عشر: كتاب التابعي الحسن بن محمد بن الحنفية (توفي ١٠٠هـ)

ذكر له ابن سعد: كتابا في الإرجاء[١].

وله كتاب آخر في: الجبر، وقد رد عليه يحيى بن الحسين الهادي إلى الحق الزيدي (توفي سنة ٩٨هـ) في كتاب سماه كتاب الرد والاحتجاج على الحسن بن محمد وأورد نص كتاب ابن محمد بن الحنفية في كل مسألة، ثم رد عليها[٢].

الكتاب السادس عشر: كتاب التابعي زيد بن وهب الجهني (توفي ٩٦هـ)

ذكره الشيخ الطوسي رحمه الله في أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وقال: زيد بن وهب له كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر في الجمع والأعياد وغيرها[٣].

وعده البرقي رحمه الله في أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام[٤]، ولقد روى عنه الصدوق في الخصال في أبواب الاثني عشر، الحديث.

الكتاب السابع عشر: كتاب التابعي أصبغ بن نباتة المجاشعي رضي الله عنه (توفي سنة ١٠٠هـ)

قال السيد الخوئي قدس سره: (من سلفنا الصالحين، ذكره النجاشي، وقال: الأصبغ بن نباتة المجاشعي، كان من خاصة أمير المؤمنين عليه السلام، وعمر بعده، وروى عنه عهد الأشتر ووصيته عليه السلام إلى محمد ابنه.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٥، ص ٣٢٨. تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: ج ١، ص٢٣٧.

(٢) رسائل العدل والتوحيد لمحمد عمارة: ج ٢، ص ١١٧ ـ ٣٠٣.

(٣) الفهرست للطوسي: ص ٩٧، رقم ٣٠٣.

(٤) معجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ج ٨، ص ٣٧٤.

وقال الشيخ الطوسي رحمه الله: كان الأصبغ من خاصة أمير المؤمنين عليه السلام روى عهد مالك الأشتر الذي عهده إليه أمير المؤمنين عليه السلام لما ولاه مصر، وروى وصية أمير المؤمنين عليه السلام إلى ابنه محمد بن الحنفية.

وله كتاب آخر ـ رواه عباس ـ وهو (مقتل الإمام الحسين عليه السلام)[1].

وبهذا يكون الأصبغ بن نباتة قد صنف ثلاثة كتب.

الكتاب الثامن عشر: الصحيفة السجادية للإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام (توفي سنة ٩٥هـ)

كتاب الصحيفة السجادية هو كتاب جامع لأدعيته عليه السلام، ومناجاته، التي كان يدعو الله بها في مناسبات وأوقات مختلفة، وكان عليه السلام يدأب على تلاوتها، وهي تحتوي على مضامين عالية رفيعة، من لباب المعارف الإسلامية الحقة.

وقد تواتر الإسناد إليه، وهو مما أجمع العلماء على قبوله، أملاه الإمام على ولديه الإمام محمد الباقر، والشهيد زيد عليهم السلام، وقد أملاه الإمام الباقر على ولده الإمام الصادق عليهما السلام، ورواه الرواة عنه عليه السلام[2].

ولكونها احتوت على مختلف العلوم القرآنية والأخلاقية والعرفانية؛ فقد وردت فيها أحاديث عن العترة الطاهرة لبيان أهميتها العلمية، فسميت بزبور آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ وأخت القرآن؛ وانجيل أهل البيت عليهم السلام[3].

---

(١) الفهرست للطوسي: ص ٨٦.

(٢) كفاية الأثر للخزاز: ص ٢ ـــ ٣٠٣. الفهرست للطوسي: ص ١٩٩، رقم ٧٦٨. رجال النجاشي: ص ٤٢٦، رقم ١١٤٤.

(٣) فتح الأبواب للسيد ابن طاووس: ص٧٦.

الكتاب التاسع عشر: رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام

وهو الكتاب الثاني الذي صنفه الإمام زين العابدين عليه السلام[١]، وهو كتاب فريد من نوعه ويتيم في موضوعه وقد جمع فيه عليه السلام كل ما يتعلق بالحقوق التي تدور حول الإنسان مما له، وما عليه. وهو بذاك يكون منهجاً متكاملاً في نشأة العلاقات الشخصية والأسرية والاجتماعية وحفظها وضبطها ناهيك عن تقديمه لأساسيات علم الأخلاق، ومباني السلوك الإسلامي للفرد.

الكتاب العشرون: مناسك الحج، تصنيف الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام

وهي رسالة ضمت جميع أحكام الحج، وتتكون من ثلاثين بابا، وقد رواها عن الإمام عليه السلام ثلاثة من أبنائه وهم الإمام محمد الباقر عليه السلام، وزيد الشهيد، والحسين الأصغر.

الكتاب الحادي والعشرون: كتاب الزهد، تصنيف الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام

وهو كتاب رواه عنه أبو حمزة الثمالي ثابت بن أبي المقدام، وقد قرأه على الإمام في حياته عليه السلام، قال رحمه الله: (قرأت صحيفة فيها كلام زهد، من كلام علي بن الحسين عليهما السلام وكتبت ما فيها، ثم أتيت علي بن الحسين صلوات الله عليه، عرضت ما بها عليه، فعرفه وصححه)[٢].

---

(١) الأمالي للصدوق، المجلس ٥٩: ص ٣٠١ ـ ٣٠٦. الخصال للصدوق: ص ٥٦٤. تحف العقول: ص ٢٥٥. الوسائل للحر العاملي: باب ٣ من أبواب جهاد النفس: ج ١١، ص١٣١.

(٢) الكافي للكليني رحمه الله: ج ٨، ص ١٤ ـ ١٧. الفهرست للطوسي: ص ٦٧، برقم ١٣٨.

الكتاب الثاني والعشرون: الجامع في الفقه، تصنيف الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام

وقد رواه عنه أبو حمزة الثمالي، وعبد الله بن إبراهيم بن الحسين الأصغر بن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام[(١)].

الكتاب الثالث والعشرون: كتاب الأحاديث، للإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام

ويشتمل على أحاديث الإمام زين العابدين عليه السلام، وقد جمعه أبو سليمان الدهقان الكوفي، واسمه (داود بن يحيى بن بشير)[(٢)].

الكتاب الرابع والعشرون: تفسير القرآن الكريم، تصنيف الإمام محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام (توفي سنة ١١٤هـ)

للإمام الباقر عليه السلام مجموعة من الكتب التي صنفها عليه السلام، وقد رواها عنه مجموعة من الرواة، ناهيك عن أن أغلبها رواها عند ولده الإمام الصادق عليه السلام.

قال محمد عجاج الخطيب:

(كان عند الإمام محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام، كتب كثيرة سمع بعضها منه ابنه جعفر الصادق عليه السلام، وقرأ بعضها)[(٣)].

وهي كالآتي:

---

(١) رجال النجاشي: ص ١١٦، برقم ٢٩٨. تأسيس الشيعة لشرف الدين: ص ٣٠٠.

(٢) رجال النجاشي: ص ١٥٧، برقم ٤١٥.

(٣) السنة قبل التدوين: ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥.

أ ـ الكتاب الخامس والعشرون: تفسير القرآن الكريم

وقد رواه عنه زياد بن المنذر، وأبو الجارود العبدي[١].

ب ـ الكتاب السادس والعشرون: وهو مجموعة من أحاديث الإمام الباقر عليه السلام

وقد ذكره النجاشي في رجاله، وقال رواها عنه خالد بن أبي كريمة[٢].

ج ـ الكتاب السابع والعشرون

وقد رواه عنه زرارة بن أعين الشيباني، الكوفي[٣].

د ـ الكتاب الثامن والعشرون

رواه عنه عبد المؤمن بن القاسم، الأنصاري الكوفي[٤].

هـ ـ الكتاب التاسع والعشرون: رسالة الإمام الباقر عليه السلام إلى سعد بن عبد الملك الأموي

وهو صاحب نهر سعد برحبة الكوفة، وقد رواها عنه الشيخ الكليني بسندين[٥].

وغيرها من الكتب التي ذكرها النجاشي في رجاله[٦].

---

(١) الفهرست لابن النديم: ص ٣٦. تأسيس الشيعة لشرف الدين: ص ٣٢٧. إيمان الشيعة لمحسن الأمين: ج ١، ق ١، ص ١١٢.

(٢) تأسيس الشيعة لشرف الدين: ص ٢٨٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تأسيس الشيعة: ص ٣٨٥.

(٥) الكافي للكليني رحمه الله: ج ٨، ص ٥٢ ـ ٥٥.

(٦) رجال النجاشي: ص ١٧٨، برقم ٤٦٧ وص ١٥١، برقم ٣٩٧.

الكتاب الثلاثون: كتاب المجموع تصنيف الشهيد زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام (توفي ١٢٢هـ)

ويعرف هذا الكتاب أيضا بـ(مسند زيد) سمعه منه أبو خالد الواسطي، ورواه عنه أيضا[(١)]، والكتاب طبع مرات عديدة وهو منتشر في أغلب البلاد الإسلامية.

الكتاب الحادي والثلاثون: كتاب قراءة علي عليه السلام

وهو تصنيف زيد الشهيد رضي الله عنه[(٢)].

الكتاب الثاني والثلاثون: كتاب الصفوة

وهو رسالة كلامية صغيرة لزيد الشهيد، تبحث في الإمامة[(٣)].

الكتاب الثالث والثلاثون: كتاب التوحيد تصنيف الإمام جعفر بن محمد الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام (توفي سنة ١٤٨هـ)

وهو الكتاب الذي أملاه الإمام الصادق عليه السلام على المفضل بن عمر، ومنه سمّي هذا الكتاب بتوحيد المفضل، وهو كتاب احتوى على مباحث في عقيدة التوحيد[(٤)].

---

(١) السنة قبل التدوين: ص ٣٧١.

(٢) تأسيس الشيعة: ص ٤٠.

(٣) طبعها ناجي حسن، بمطبعة الآداب، في النجف الأشرف.

(٤) رجال النجاشي: ص ٤١٦، برقم ١١٣. كتاب الذريعة للطهراني: ج ٤، ص ٤٨٢، برقم٢١٥٦.

الكتاب الرابع والثلاثون: كتاب الأهليلجة في التوحيد تصنيف الإمام الصادق عليه السلام

ويتضمن الكتاب ردودا على بعض الملحدين المنكرين للربوبية، وقد بعثه الإمام إلى المفضل بن عمر[١].

الكتاب الخامس والثلاثون: كتاب الأهوازية تصنيف الإمام الصادق عليه السلام

ويتضمن الكتاب ردودا على مجموعة من الأسئلة التي بعثها والي الأهواز عبد الله النجاشي في مواضيع أخلاقية[٢].

الكتاب السادس والثلاثون: كتاب الجعفريات تصنيف الإمام الصادق عليه السلام

والكتاب من خلال عنوانه يدل على أنه مجموعة من أحاديث الإمام الصادق عليه السلام في أبواب الفقه، وهي مرتبة على أبواب، وهذا الكتاب رواه عنه حفيده إسماعيل ابن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام.

كما أن هذا الكتاب يمتاز بميزة فريدة وهي أن أسانيده كلها متصلة عنه، عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ورواه عنه أيضا محمد بن الأشعث الكوفي المصري، عن موسى بن إسماعيل حفيد الإمام الكاظم عليه السلام، عن أبيه إسماعيل عن جده موسى الكاظم عليه السلام ولهذا السبب سمي الكتاب بـ(الأشعثيات) أيضا[٣].

---

(١) الذريعة للطهراني: ج ٢، ص ٤٨٤، برقم ١٩٠١. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج٣، ص ١٥٢ ـ ١٩٦.

(٢) خاتمة المستدرك للميرزا النوري: ج٣، ص١٤٦؛ الذريعة: ج٢، ص٤٨٥.

(٣) خاتمة المستدرك: ج١، ص٩ وص١٥.

فضلا عن مجموعة من الكتب التي نسبها إليه الرواة، وهي كالآتي:

١ ـ وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم[١].

٢ ـ كتاب الحج[٢].

٣ ـ مناسك الحج وفرائضه[٣].

٤ ـ أبواب في الحلال والحرام[٤].

٥ ـ كتاب برواية اليربوعي البصري[٥].

٦ ـ كتاب النوادر، برواية العكلي[٦].

٧ ـ كتاب برواية القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل حفيد الإمام[٧].

٨ ـ كتاب النوادر، برواية المدني[٨].

٩ ـ كتاب رواه عند مولاه عباس بن زيد المدني[٩].

١٠ ـ كتاب برواية محمد بن إبراهيم الإمام[١٠].

---

(١) الفهرسة لابن حيان الأندلسي: ص ٢٧٧ و١٣٨.

(٢) رجال النجاشي: ص ١٤، برقم ٩.

(٣) رجال النجاشي: ص ٢٨٣، برقم ٧٥١، ورواه من ثلاثة أسانيد.

(٤) رجال النجاشي: ص ١٥، برقم ١٢.

(٥) رجال النجاشي: ص ٢٩٣، برقم ٧١٩، برواية عباد بن صهيب اليربوعي.

(٦) رجال النجاشي: ص ١٥٢، برقم ٣٩٨ وهو خالد بن يزيد العكيلي الكوفي.

(٧) رجال النجاشي: ص ٣١٤، برقم ٨٥٩.

(٨) رجال النجاشي: ص ١٥٧، برقم ٤١٢، والراوي هو: داود بن عطاء المدني.

(٩) رجال النجاشي: ٨٧٢، برقم ٧٥٠.

(١٠) رجال النجاشي: ص ١٥٧، برقم ٤١٢.

١١ ـ كتاب برواية ابن هراسة[١].

١٢ ـ كتاب رواه البصري[٢].

١٣ ـ كتاب برواية سفيان بن عينية[٣].

١٤ ـ كتاب رواه ابن أبي أويس[٤].

١٥ ـ كتاب برواية الزهري القرشي[٥].

إذن: يكون مجموع ما تم تصنيفه في مدرسة العترة النبوية حتى عام ١٤٨هـ، وهي السنة التي توفي فيها الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، واحداً وخمسين كتابا، ناهيك عن الكتب التي كتبتها تلامذته الذين وصفهم أبو محمد الحسن بن علي الوشاء البجلي الكوفي ابن نبت الياس الصيرفي من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام بقوله: (أدركت تسعمائة شيخ من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام بمسجد الكوفة كل يقول حدثني جعفر بن محمد عليه السلام)[٦].

ولقد قام الإمام الصادق عليه السلام ضمن فترة قياسية بإنشاء مدرسة الكوفة العلمية، التي كانت تدرس العلوم الدينية والطبيعية، كالرياضيات والفلك والكيمياء وغيرها، فكان من ثمارها العالم الكيميائي[٧] جابر بن حيان الصوفي

---

(١) إبراهيم بن رجاء الشيباني الجحدري، ابن هراسة. رجال النجاشي: ص ١٦، برقم ١٦.

(٢) الفضيل بن عياض البصري. رجال النجاشي: ص ٣١٠، برقم ٨٤٧.

(٣) رجال النجاشي: ص ١٩٠، برقم ٥٠٦.

(٤) وهو عبد الله بن أبي أويس الأصبحي. رجال النجاشي: ص ٢٢٤، برقم ٥٨٦.

(٥) وهو مطلب بن زياد الزهري القرشي المدني. رجال النجاشي: ص ٤٣٢، برقم ١١٣٦.

(٦) رجال النجاشي: ص ٤٠. الذريعة للطهراني: ج ٥، ص ١٨. معجم رجال الحديث للسيد الخوئي قدس سره: ج ٦، ص ٣٨.

(٧) تفسير الألوسي: ج ٢٠، ص ١١٨، وقد سماه بـ(إمام في هذه الصنعة) أي الكيمياء.

صاحب المصنفات الكثيرة في علم الكيمياء[1] كـ(كتاب علل المعادن)[2] و(كتاب الحدود في الكيمياء)[3]، وكتب كذلك في الفلك والنجوم فصنف كتابا باسم (الفهرست)[4] وصنف في العلوم الغريبة[5]، وغيرها.

وذكر له الياس سركيس مجموعة من الكتب منها:

١ ـ أسرار الكيمياء، أو كشف الأسرار وهتك الأستار، لم يطبع من هذا الكتاب إلا ترجمات باللغة اللاتينية، وطبع قسم منه باللغة العربية ضمن كتاب الأستاذ برتولوا المسمى (La Chimie au Moyen age Vol paris ـ ٣١٨٩٣).

١ ـ كتاب البيان.

٢ ـ كتاب الحجر.

٣ ـ كتاب النور.

٤ ـ رسالة في الإيضاح.

٥ ـ كتاب اسطقس الاس.

٦ ـ كتاب اسطقس الاس الثاني.

٧ ـ كتاب اسطقس الاس الثالث.

٨ ـ تفسير كتاب اسطقس.

---

(١) الفهرست لابن النديم: ص ٤٢٠؛ معجم المطبوعات لألياس سركيس: ج ١، ص ٦٦٥.

(٢) كشف الظنون لحاجي خليفة: ج ٢، ص ١١٦٠.

(٣) إيضاح المكنون لإسماعيل باشا البغدادي: ج ٢، ص ٢٨٨.

(٤) فرج المهموم للسيد ابن طاووس: ص ١٤٦.

(٥) هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي: ج ١، ص ٢٤٩.

٩ ـ كتاب التجريد.

١٠ ـ كتاب الرحمة.

وجميع هذه الكتب في علم الإكسير الأعظم.

١١ ـ كتاب الملك: طبع حجر بمبي: ١٨٩٢، ص ٣٥.

١٢ ـ كتاب المكتسب: موسوم بنهاية الطلب مع شرحه للجلدكي وهو باللغة الفارسية، طبع حجر بمبي ١٣٠٧.

١٣ ـ كتاب السموم: وهو كتاب نفيس في السموم مخطوط في الخزانة التيمورية، نقل عنه المرحوم الدكتور صروف عدة مقالات، ذات فائدة عظيمة في مجلة المقتطف الجزء ٥٨ و٥٩[١].

١٤ ـ كما يوجد في الخزانة التيمورية مخطوطة فيها خمس وخمسون رسالة في الكيمياء لجابر بن حيان، وأصلها سبعون رسالة، وقيل: إن من هذه المجموعة نسخة خطية في خزانة المرحوم نور الدين بن مصطفى[٢].

بل قد ذكر البعض أن لجابر بن حيان من الكتب ما مجموعه (٢٣٢) كتابا[٣].

وعلى الرغم من سفره رحمه الله وتنقله إلاّ أنه لم ينقطع عن المراسلة مع الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام[٤].

---

(١) معجم المطبوعات العربية لإلياس سركيس: ج ١، ص ٦٦٥.

(٢) معجم المطبوعات العربية، لإلياس سركيس: ج ١، ص ٦٦٥، (الهامش).

(٣) هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي: ج ١، ص ٢٤٩.

(٤) مستدرك الوسائل للنوري: ج ١، ص ٤٣٢ وج ١٦، ص ٤٤٥. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ٥٩، ص ١٨٦.

ومن ثمار هذه المدرسة التي أسسها الإمام الصادق عليه السلام في الكوفة أيضا شيخ كتاب السيرة النبوية محمد بن إسحاق المطلبي صاحب المغازي والسير التي اطلع عليها الإمام الصادق عليه السلام أثناء قدومه الكوفة.

وعليه؛ يكون مجموع ما تم تصنيفه من الكتب في مدرسة العترة النبوية حتى عام ١٥١هـ، وهي السنة التي توفي فيها محمد بن إسحاق رحمه الله، اثنين وخمسين كتابا ناهيك عن مصنفات جابر بن حيان وغيره من تلاميذ هذه المدرسة الذين توفوا بعد هذا التاريخ، ولأن البحث يتعلق بشيخ كتاب السيرة النبوية وما سبقه من نشأة التاريخ وحركته وعوامل تطوره وظهور الوعي التاريخي والتحليلي والنقدي عند العرب، فإن هذه المدرسة النبوية تكون هي صاحبة الفضل على العرب خصوصا والمسلمين عموما في حفظ الإسلام والعلوم الدينية والطبيعية، بل لها الفضل على حركة العلم عند المسلمين بكل مراحلها منذ بدء التدوين والتصنيف في عصر النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فكان أول رواده الإمام علي عليه السلام، إلى تنوعه أو انتشاره في القرن الثاني الهجري، وإلى بلوغه المشرق والمغرب ؛كما وعد الله رسوله المصطفى في قوله تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾[١].

أما أسبقية هذه المدرسة وتقدمها على غيرها من المدارس في تدوين سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكتابة التاريخ الفلسفي والتحليلي والنقدي، فهو مما امتازت به هذه المدرسة عن غيرها مع تسجيل حالة السبق في التدوين ــ وهو ما سيتم بحثه في المسألة الآتية.

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٣.

المسألة الخامسة: أسبقية مدرسة أهل البيت عليهم السلام في تدوين السيرة النبوية وكتابة التاريخ الفلسفي والتحليلي

أولا: أقدم المدارس الإسلامية

مما لا شك فيه أن مدرسة المدينة هي من أقدم المدارس الإسلامية الأخرى التي نشأت في الكوفة واليمن ومكة والشام[(١)].

وإذا عدنا إلى النهج الذي اتخذه أبو بكر وعمر بن الخطاب في حرق الصحائف والكتب أو محوها ومنع تدوين السنة النبوية، حتى عام ١٤٣هـ كما ينص الذهبي[(٢)]، وبإكراه من حكام بني أمية كما صرح الزهري[(٣)].

فإن مدرسة العترة النبوية عليهم السلام التي لا تعتقد نهج الشيخين قد سعت في الحفاظ على السنة النبوية وتدوينها، وهي بذاك تكون أقدم هذه المدارس الإسلامية قاطبة.

ثانيا: الاختلاف فيمن أول من صنف المغازي

وإذا رجعنا إلى الدراسات التاريخية قديما وحديثا، نجد أن هذه الدراسات خلصت إلى القول بأن أول من اهتم بدراسة المغازي هي مدرسة المدينة.

إلا أنهم اختلفوا فيمن أول من صنف في المغازي.

---

(١) راجع التاريخ والمؤرخون لمصطفى شاكر: الفصل الثالث والرابع. المدارس الإسلامية الصغرى والكبرى: ج ١، ص ١١٣ ـ ١٦٠.

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي: ج ١، ص١٥١ و٢٢٩.

(٣) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: ج ٢، ص ٦٥.

ألف ــ فقد ذهب البعض إلى (أن من أوائل من دونوا أشياء عن حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو (سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري) الذي لم تعرف سنة وفاته[١].

علما؛ أن هذه الأشياء التي كتبها لم تعرف أهي له أم لأبيه الذي لم يعرف عنه أنه كان له شأن في التدوين.

وهذا قولهم: (وربما نظر فيها ــ أي هذه الأشياء ــ معدلا ما كتبه أبوه)[٢]، وكان كتابه موجودا في نسخته الأصلية في أوائل العصر العباسي عند حفيده سعيد بن عمرو[٣]، وأن قسما مما كتب قد وصل إلينا في كتب المسانid مثل مسند أحمد بن حنبل.

باء ــ وقال البعض: (إن أبان بن عثمان بن عفان (توفي بين ٩٥ ــ ١٠٥هـ) فهو محدث له ميل إلى دراسة المغازي، ومع أن أحد تلامذته كتب مغازيه، إلا أنها توصف بأنها من الحديث، وإذا استثنينا إشارة اليعقوبي ــ المؤرخ ــ فإننا لا نجد بين المؤرخين من نقل أو روى عنه، في حين أنه يروى عنه في كتب الحديث، ويبدو أن أبان بن عثمان يمثل مرحلة انتقال بين دراسة الحديث ودراسة المغازي)[٤].

ويبدو من خلال قولهم (إننا لا نجد بين المؤرخين من نقل أو روى عنه) دليل على إقحامه في تدوين السيرة النبوية لأغراض تتعلق بالسلطة الأموية، لاسيما

---

(١) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: ج ٢، ص ٦٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) التهذيب لابن حجر: ج ٤، ص ٦٩.

(٤) نشأة علم التاريخ لعبد العزيز الدوري: ص ١٩.

وإن عبد الملك بن مروان قد سأله عن كتابة السيرة النبوية فأجابه: هي عنده حاضرة فلما رآها أمر بتخريقها[1].

وهذه الرواية وإن كانت تدل على بشاعة ما قام به عبد الملك بن مروان ــ كما سيمر بيانه لاحقا ـ فانها كذلك تدل على عدم تصريح أبان بن عثمان عن تصنيفه لهذه السيرة، لاسيما وهو على نهج الشيخين اللذين منعا التدوين.

ولذا: فالظاهر من الرواية أنه كان يحتفظ بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي لم يصرح عن الشخص الذي صنفها، والظاهر أيضا أنها كانت محط استدلال من قال: إن أبان بن عثمان هو أول من صنف في المغازي.

جيم ـ وقال البعض الآخر: (إن عروة بن الزبير (توفي ٩٤هـ) كان مؤسس دراسة المغازي، إذ كان أول من ألّف كتابا في المغازي، وقد وصل إلينا شيء من مغازيه في مقتبسات وردت عند بعض المؤرخين كالطبري، وابن إسحاق، والواقدي، وابن سيد الناس، وابن كثير، وهذه المقتبسات هي أقدم ما وصل إلينا في تاريخ المغازي)[2].

أما سبب اهتمامه بالمغازي والسيرة النبوية فيعود إلى (أن البلاط الأموي سأله عن حوادث تتعلق بفترة الرسالة، فأجاب عن ذلك برسائل وصل إلينا بعضها في الطبري، وهي من أقدم القطع التاريخية التي وصلت إلينا ومن أوثقها)[3].

ونستظهر من هذا القول ما يأتي:

---

(١) الموفقيات ـ الزبير بن بكار: ص٣٢٢ ــ ٣٢٣.

(٢) نشأة علم التاريخ عند العرب للدوري: ص ١٩ ـ ٢٠.

(٣) نشأة علم التاريخ عند العرب للدوري: ص ٥٥.

١ ـ إن الكتابة عن السيرة كانت من طلب البلاط الأموي الذي له ما له من العداء لأهل البيت عليهم السلام.

٢ ـ إن هذه القطع لم تكن معروفة إلا من خلال كتاب الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ، أي أنها لم تكن معروفة قبل هذا التاريخ.

٣ ـ لم يكن عروة من أهل الاختصاص بالتاريخ والسيرة.

٤ ـ إن هناك قطعاً أخرى مختلفة مع التي عند الطبري إلا أن التي عند الطبري هي الأوثق، ولا ندري من الذي وثقها.

ثالثا: لا دليل على امتلاك مدرسة المدينة التي اتبعت نهج الشيخين لكتاب مستقل في المغازي والسير

لم نحصل من خلال الدراسات في علم التاريخ الإسلامي على نصوص أو نتيجة قطعية على امتلاك مدرسة المدينة، التي اتبعت نهج الشيخين لكتاب مستقل في المغازي أو السيرة النبوية؛ كما هو حال مدرسة العترة النبوية الطاهرة عليهم السلام التي أثمرت كتابا مستقلا في المغازي والسير كـ: (كتاب سليم بن قيس الهلالي)، وكتاب المغازي والسير لابن اسحاق.

أما الخبر القائل بأن عروة بن الزبير ألف كتابا في (المغازي) فليس له مصدر قديم[1]، ـ كما أن ـ هناك قصة يتضح منها أن إجاباته عن سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ـ والتي كان قدمها مدونة ـ إنما اعتمدت على الأحاديث التي جمعها بنفسه[2].

---

(١) تاريخ التراث الإسلامي لفؤاد سزكين: مج ١، ج ٢، ص ٧٠ ـ ٧١، نقلا عن كشف الظنون لحاجي خليفة: ١٧٤٧.

(٢) تاريخ التراث الإسلامي: ج٢، ص ٧١.

وذكر السخاوي: (أن الزهري وأبا الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل (المتوفى سنة ١٣١هـ) قد رويا المغازي عن عروة)[1]، أي لم يكن لديه كتاب في السيرة قد كتبه بيده، لكي ينقل عن هذا الكتاب، وإنما هي عبارة عن حديث حدّث به. وهذا يدل على عدم اتباع هذه المدرسة منهج التدوين في علم السيرة النبوية كمدرسة أهل البيت عليهم السلام.

رابعا: أسبقية مدرسة العترة تجليل الحدث التاريخي ونقده

فضلاً عن أسبقية مدرسة العترة بتقديم كتاب مستقل في سيرة الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم من تصنيف سليم بن قيس الهلالي رحمه الله، فإن هذه المدرسة قد امتازت بتقديم الحدث، وهو خاضع للتحليل والنقد والبيان.

وهذا يكشف عن امتياز تلاميذ هذه المدرسة بالوعي التاريخي والتحليلي، أي أنهم سنوا المنهج النقدي قبل (فوستل) صاحب التاريخ النقدي بألف وثلاثمائة سنة. وقد أدى هذا المنهج التحليلي والفلسفي والتعليلي الذي انتهجته مدرسة العترة إلى نشوء التفسير التاريخي، فبدأت معه فكرة فلسفة التاريخ بشكل أولي في مدرسة المدينة.

إلا أن الفرق بين مدرسة العترة ومدرسة البلاط الأموي ــ التي أكرهت الزهري على التدوين ومن قبله طلبت من عروة بن الزبير مقاطع من سيرته صلى الله عليه وآله وسلم فكتب لها ذلك ــ الفرق هو أن مدرسة العترة كانت تحلل الحدث، وتنتقده، وتظهر علله وأسبابه ونتائجه، ثم تبني رأيها على هذه المعطيات ــ كما سيمر بيانه في كتاب سليم بن قيس ــ.

---

(١) التهذيب لابن حجر: ج ٩، ص ٣٠٧ ــ ٣٠٨.

بينما مدرسة البلاط الأموي علّلت التاريخ، وفلسفت الحدث على حيثية إرادة الله تعالى، فكانت هي محور هذه الفلسفة، ومنها نشأ الفكر الجبري[١].

(وإنا لنرى فكرة الجبر التي روج لها الأمويون واضحة في بعض أعمال عوانة بن الحكم، حيث يثبت دفاع بعض الأمويين عن حقهم ودفعهم مسؤولية بعض الأعمال عن أنفسهم، كقيام يزيد بن معاوية بقتل الإمام الحسين عليه السلام، وينسبون ذلك إلى إرادة الله، ويرون في سلطانهم أمرا إلهيا في مظاهر الجبر الإلهي، وإرادة الله الغالبة لكل شيء، ونجد بالمقابل فكرة حرية الإرادة، ومسؤولية البشر عما يقترفون ـ وهو رأي الأحزاب المعارضة للأمويين ـ نجدها واضحة في بعض ما كتب أبو مخنف، وبخاصة فيما يورده عن حركة ـ الإمام الحسين عليه السلام ـ وحركة التوابين)[٢].

خامسا: نشوء الفكر الجبري

إن أول بذرة بُذرت لنشوء الفكر الجبري كانت في زمن أبي بكر، ومنذ الأيام الأولى لتوليه الخلافة التي اتخذت ـ أي الخلافة ـ في بادئ الأمر مفهوم خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم اتخذت مفهوم خلافة المسلمين، ثم أمراء وحكام.

---

(١) الجبرية، هذه اللفظة أخذت من (الجبر) ومفهومه عند معتقديه هو نفي الفعل عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى (الملل والنحل للشهرستاني: ج ١، ص ٨٥).

ونشأ الفكر الجبري عند بعض المسلمين نتيجة لظهور الخلاف فيما بينهم في القيادة الفكرية (فحدّثت مذاهب واتجاهات ووجدت مناهج متباينة في المعارف الاعتقادية فاختلف المسلمون في هذا المجال إلى معتزلة وجبرية، وانقسمت المعتزلة إلى واصلية، هذلية نظامية، خابطية، بشرية، معمرية، مردارية، ثمامية، هاشمية، جاحظية، خياطية، وانقسمت الجبرية إلى: جهمية، نجادية، ضرارية.

(٢) التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص ٩٠ ـ ٩١.

فكانت البذرة لظهور الفكر الجبري هي عند قول أبي بكر: (إلا وإنكم إن كلفتموني أن أعمل بمثل عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم أقم به، كان رسول الله عبدا أكرمه الله بالوحي وعصمه به، ألا وإنما أنا بشر ولست بخير من أحد منكم فراعوني، فإذا رأيتموني استقمت فاتبعوني، وإن رأيتموني زغت فقوموني، واعلموا أن لي شيطانا يعتريني، فإذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني لا أوثر في أشعاركم ـ أي شعر الرأس ـ وأبشاركم ـ أي بشرة الجلد ـ[1].

وهذا القول وإن لم يكن محوره (إرادة الله) وانه مجبر على فعله إلا أنه كان البداية لنشوء فكرة التخلي عن مسؤولية الأفعال الصادرة عن الخليفة لعلتين.

١ ـ لأنه لم يكن يوحى إليه، ولذا هو غير ملزم بما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان يسدد بالوحي، ولذلك هو لا يخطئ أو إن لديه مبرراً في فعله وقوله وهو الوحي.

٢ ـ إن له شيطاناً يعتريه فإذا غضب ووقّع أمراً في قطع رؤوسهم أو أعضائهم، وهو ما كنى عنه بلفظ (أشعاركم وأبشاركم)، فهو غير مسؤول عن هذا الصنع، لأنه مجبر على فعله بسبب اعتراء الشيطان له.

ومما يدل عليه: ما روي عنه بلفظ آخر: (أفتظنون إني أعمل فيكم بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ؟ إذن: لا أقوم بها إن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان معه ملك، وإن لي شيطاناً يعتريني، فإذا غضبت فاجتنبوني لا أوثر في أشعاركم وأبشاركم، ألا فراعوني)[2]، أي التخلي عن مسؤولية الأفعال وفي نفس الوقت انه مجبر على القيام بها.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٣، ص ٢١٢.

(٢) كنز العمال للمتقي الهندي: ج ٥، ص ٥٩٠. الغدير للعلامة الأميني: ج ٧، ص ١١٨.

ثم تبلورت هذه الفكرة في خلافة أمير المؤمنين عليه السلام، حينما خرج عليه معاوية بن أبي سفيان، وتحديدا تبلور هذا الفكر في حديث السيدة عائشة؛ التي لعبت دورا أساسياً في دعم خروج معاوية بن أبي سفيان لحرب علي بن أبي طالب عليه السلام، ومما يدل عليه:

ما رواه الذهبي، وابن عساكر، وابن كثير، وغيرهم، عن الأسود بن يزيد، قال: (قلت لعائشة، ألا تعجبين لرجل من الطلقاء ينازع أصحاب رسول الله في الخلافة؟.

فقالت: وما تعجب من ذلك؟ هو سلطان الله يؤتيه البر والفاجر، وقد ملك فرعون أهل مصر أربعمائة سنة، وكذلك غيره من الكفار)[1].

ولقد أعطى هذا القول دفعا قويا فيما بعد لحكام بني أمية، كما أنه أعطى نموا للفكر الجبري الذي ظهرت ثمرته في حكم يزيد بن معاوية، الذي يبدو أنه استخدم هذا الفكر بقوة للتخلص من الجريمة التي ارتكبها في حق الإسلام والمسلمين، حينما قام بقتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته، وسبي بناته وذريته. ومما يدل عليه:

١ ـ ما رواه الطبري في أحداث سنة ٦١هـ، من قول عن يزيد بن معاوية وهو يحاول بث الفكر الجبري أمام الحاضرين في مجلسه، وهو يحادث علي بن الحسين عليهما السلام قائلا له: (أبوك نازعني سلطاني فصنع الله به ما قد رأيت)[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٣، ص ١٤٣. تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج ٥٩، ص١٤٥. البداية والنهاية لابن كثير: ج ٨، ص ١٤٠. شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي: ج٢، ص ١٥٩. الغدير للعلامة الأميني: ج ١٠، ص ١٧٣.

(٢) تاريخ الطبري: ج٥، ص ٤٦١.

٢ ـ وقوله: (إن الحسين لم يقرأ قوله تعالى:

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[1])[2].

٣ ـ ولم ينحصر الفكر الجبري بيزيد بن معاوية، وإنما هو عند ولاته أيضا مما يدل على أن هذا الفكر منتشر في الساحة الإسلامية آنذاك.

ومن الشواهد على ذلك:

قول عبيد الله بن زياد والي الكوفة للعقيلة زينب بنت علي أمير المؤمنين عليهما السلام: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك!؟.

فقالت عليها السلام:

«ما رأيت إلا جميلا، هؤلاء قوم كتب عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم، فانظر لمن يكون الفلج يومئذ، ثكلتك أمك يا ابن مرجانة»[3].

أي: إن كنت تسأل عن صنع الله تعالى فالله لا يصنع إلا جميلا، وإن كنت تسأل عن فعل قتلهم فستحاج يوم القيامة وسيخاصمك الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وعندها فانظر لمن يكون هذا الفعل الذي نزل بأخي وأهل بيتي أهو لله كما تزعم أم أن هذا الفعل فعلك يا ابن مرجانة.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٦.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٥، ص ٤٦٤.

(٣) كتاب الفتوح لابن أعثم: ج ٥، ص ١٢٢. مثير الأحزان لابن نما الحلي: ص ٧١. اللهوف لابن طاووس: ص ٩٤.

سادسا: الخلط بين الخلافة والملك

هذه الشبهة التي وقع فيها بعض الصحابة لتتبلور في حكام البلاط الأموي، أي: الخلط بين الظهور بمظهر الخلافة وإن الحاكم إنما هو (خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) وبين الظهور بمظهر الملك والسلطان وإن الله تعالى اختار لملكه هذا الحاكم أو ذاك، أدى إلى الاضطراب في السلوك، لأن الخلافة تفرض من خلال موقعها وعنوانها الشرعي المتصل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم تفرض على صاحبها السير ضمن الحدود الشرعية، وهو ما لم يتصف به الحكام والملوك، لأنهم لم يخضعوا لتلك الضوابط التي يخضع لها الخليفة، أي خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، من ثم فهم لا يعلمون أملوك هم أم خلفاء؟.

ومما يدل عليه:

١ ــ روى ابن سعد عن سفيان بن أبي العوجاء، قال: قال عمر بن الخطاب: والله ما أدري أنا خليفة أم ملك؟ فإن كنت ملكا فهذا أمر عظيم.

قال قائل: يا أمير المؤمنين أن بينهما فرقا، فإن الخليفة لا يأخذ إلا حقا ولا يضعه إلا في حق، وأنت بحمد الله كذلك، والملك يعسف الناس فيأخذ من هذا ويعطي هذا، فسكت عمر[1].

٢ ـ وعن ابن سعد ايضا، عن سلمان المحمدي (الفارسي)، أنّ عمر قال له: أملك أنا أم خليفة؟.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٣، ص ٣٠٧. الدر المنثور لجلال الدين السيوطي: ج ٥، ص٣٠٦.

فقال سلمان: إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهما أو أقل أو أكثر، ثم وضعته في غير حقه فأنت ملك غير خليفة؛ فاستعبر عمر[١].

٣ ـ روى الثعلبي في تفسيره، أن عمر بن الخطاب سأل طلحة والزبير وكعبا وسلمان: ما الخليفة من الملك؟.

فقال طلحة والزبير: ما ندري.

فقال سلمان: الخليفة الذي يعدل في الرعية، ويقسم بينهم في السوية، ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله، ويقضي بكتاب الله.

فقال كعب: ما كنت أحسب أن في المجلس أحداً يعرف الخليفة من الملك غيري، ولكن الله عز وجل ملأ سلمان حكما وعلما وعدلا[٢].

ورب سؤال يفرض نفسه في البحث: مَنْ مِنَ الذين جلسوا على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت فيه هذه الصفات، التي ذكرها الصحابي الجليل سلمان المحمدي رضوان الله تعالى عليه؟ كي نعلم من منهم كان خليفة ومن كان ملكاً.

٤ ـ قول عائشة الذي سبق، حينما سألها الأسود بن يزيد عن منازعة معاوية بن أبي سفيان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو من الطلقاء ـ أي: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أطلقه من الأسر يوم فتح مكة هو وجميع المشركين، فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء ـ فكان الأسود متعجبا من منازعة معاوية الصحابة في خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٣، ص ٣٠٦. تاريخ الطبري: ج ٣، ص ٢٧٩. الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج ٣، ص ٥٩.

(٢) تفسير الثعلبي: ج ١، ص ١٧٧.

فقالت: (وما تعجب من ذلك؟ هو سلطان الله يؤتيه البر والفاجر، وقد ملك فرعون أهل مصر أربعمائة سنة، وكذلك غيره من الكفار).

ويظهر من حديث عائشة:

أ. إمكانية أن يجلس على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويحكم المسلمين من يكون كفرعون ملك مصر أو غيره من الكفار، من ثم: ليس هناك من عجب في منازعة معاوية بن أبي سفيان؛ وهو من الطلقاء؛ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ب. الخلط واضح في الفكر السائد عند الرموز الإسلامية بين مقام خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبين الملك الذي يمكن أن يظهر في كافر من الكفار كفرعون، لأن السائل يسأل عن خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعائشة تجيب عن الملك.

ج. وجود حالة من النزاع بين صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على مقام الخلافة أو الملك كلا منهم حسب فهمه لهذا الموقع.

د. إسكات الأصوات المعارضة لهذا النزاع، والتي تُظهر نسبة من الوعي والقدرة على تميز الدخلاء على موقع خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن غيرهم.

هـ. إفراغ موقع خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من العنوان الشرعي من خلال المقارنة بينها وبين ملك مصر، في حين كان يلزم الأمر أن تكون المقارنة بين موسى عليه السلام وخليفته، وهذا يدعو إلى الاعتقاد منذ البدء بأنه ملك وليس خلافة مرتبطة بالسماء كما عنون لها القرآن:

﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةً﴾[(١)].

وهو نبي الله آدم عليه السلام.

ولذا حاول أولئك الحكام إصباغ موقعهم السلطوي بصبغة شرعية محورها إرادة الله، وأن الملك لله تعالى يهبه من يشاء، وعليه فيمكن أن يكون الحاكم أسوء من فرعون، ولا علاقة للحدود الشرعية في أمره ونهيه وفعله وتركه، وهو ما كان عليه حال المسلمين خلال القرون الماضية، وليس حالهم اليوم بأفضل من أمسهم.

إذن: لم تكن لمدرسة أهل البيت عليهم السلام الأسبقية في التدوين فقط، وإنما كان لها الأسبقية في الوعي التحليلي والفلسفي والنقدي، فقدمت مع الحدث تحليلا وبيانا يوضح الأسباب والنتائج التي كونت الحدث.

أما من حيث الأسبقية في تدوين (المغازي) فقد سجل هذا السبق إلى عبيد الله بن ابي رافع كاتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على مدة خلافته في الكوفة.

فقد قام بكتابة من شهد مع أمير المؤمنين عليه السلام ــ في حروب الجمل وصفين والنهروان من الصحابة[(٢)]، وهو (أول من صنّف في المغازي والسير والرجال في الإسلام لأنه لم يعرف من سبقه)[(٣)].

وأما من حيث تدوين سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع بيان المنهج التحليلي والفلسفي والنقدي للحدث؛ فقد برز سليم بن قيس الهلالي.

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٢) التاريخ العربي لشاكر مصطفى: ج ١، ص ١٧٠.

(٣) الذريعة للطهراني: ج ٤، ص ١٨١. التاريخ العربي لشاكر مصطفى: ج ١، ص ١٧٠.

المسألة السادسة: أهمية كتاب سليم بن قيس الهلالي رحمه الله

أولا: أقوال علماء المدارس الإسلامية فيه

حظي كتاب سليم بن قيس باهتمام أكثر المدارس الإسلامية، فمنهم من أنكره أو شكك فيه، ومنهم من اتخذ منهجا وسطا، ومنهم من أثنى عليه.

ويظهر من هذا أنّ الكتاب قد نال شهرة واسعة، وأنه معروف لدى أغلب أهل العلم، وإنْ تفاوتت الآراء فيه، وهذا لا يفقد الكتاب خاصيته العلمية وتفرده في موضوعه ومنهجه، كما لا يفقد الشمس نورها من أنكر عليها الشروق.

ألف: فمن المشككين في الكتاب

١ ـ ابن أبي الحديد المعتزلي، فقد قال: (إني قد سمعت من بعضهم من يذكر أن هذا الاسم على غير مسمى، وأنه لم يكن في الدنيا أحد يعرف بسليم بن قيس الهلالي، وأن الكتاب المنسوب إليه منحول موضوع لا أصل له، وإن كان بعضهم يذكره في اسم الرجال)[1].

٢ ـ ابن الغضائري: وقد اتهم الكتاب بالوضع، فقال: (سليم بن قيس الهلالي العامري، روى عن أبي عبد الله ـ الصادق عليه السلام ـ والحسن والحسين وعلي بن الحسين عليهم السلام، وينسب إليه هذا الكتاب المشهور وكان أصحابنا يقولون: إن سليما لا يعرف ولا ذكر في خبر، وقد وجدت ذكره في مواضع من غير جهة كتابه ولا من رواية أبان بن أبي عياش.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج ١٢، ص ٢١٧.

وقد ذكر ابن عقدة في رجال أمير المؤمنين أحاديث عنه، والكتاب موضوع لا مرية فيه، وعلى ذلك علامات فيه تدل على ما ذكرناه، منها ما ذكر أن محمد بن أبي بكر وعظ أباه عند الموت، ومنها أن الأئمة ثلاثة عشر، وغير ذلك وأسانيد هذا الكتاب تختلف تارة برواية عمر بن أذينة عن إبراهيم بن عمر الضعاني عن أبان بن أبي عياش عن سليم و(تارة) يروى عن عمر عن أبان بلا واسطة، وقال في أبان بن أبي عياش: ونسب أصحابنا وضع كتاب سليم بن قيس إليه)[١].

٣ ـ وقد قال الشيخ المفيد رحمه الله في آخر كتابه (تصحيح الاعتقاد): وأما ما تعلق به أبو جعفر رحمه الله من حديث سليم الذي رجع فيه إلى الكتاب المضاف إليه برواية أبان بن أبي عياش، فالمعنى فيه صحيح غير أن هذا الكتاب غير موثوق به، وقد حصل فيه تخليط وتدليس، فينبغي للمتدين أن يجتنب العمل بكل ما فيه، ولا يعول على جملته والتقليد لروايته، وليفزع إلى العلماء فيما تضمنه من الأحاديث، ليوقفوه على الصحيح منها والله الموفق للصواب[٢].

باء: من اتخذ من العلماء منهجا وسطا في تقييمه لكتاب سليم بن قيس

١ ـ ابن النديم (المتوفى ٣٨٥هـ)، قال: وهو كتاب سليم بن قيس المشهور[٣].

٢ ـ القاضي بدر الدين السبكي (المتوفى ٧٦٩هـ): (إن أول كتاب صنف للشيعة هو كتاب سليم بن قيس الهلالي)[٤].

---

(١) معجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ج ٩، ص ٢٢٨، برقم ٥٤٠١.

(٢) تصحيح الاعتقاد للشيخ المفيد: ص ١٥١.

(٣) الفهرست لابن النديم: ص ٢٧٥.

(٤) الذريعة للطهراني: ج ٢، ص ١٥٣.

٣ ـ الملا حيدر علي الفيض آبادي: (كأن صحة هذين الكتابين، أي كتاب سليم بن قيس، وتفسير أهل البيت عليهم السلام (تفسير القمي) وأصحّية واحد منهما على سبيل منع الخلو إجماعي عند محققي الشيعة، وعليه فمحتوى الكتابين (عند الشيعة) صادر بعلم اليقين عن لسان ترجمان الوحي النبوي، وذلك لأن جميع علوم الأئمة الصادقين تنتهي إلى هذه البحار الزاخرة)[1].

جيم ـ من أثنى من العلماء على كتاب سليم بن قيس

١ ـ قال النعماني في كتاب الغيبة في باب ما روي في أن الأئمة اثنا عشر إماما: إن كتاب سليم بن قيس الهلالي أصل من أكبر كتب الأصول التي رواها أهل العلم حملة حديث أهل البيت عليهم السلام وأقدمها، وأن جميع ما اشتمل عليه هذا الأصل إنما هو عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأمير المؤمنين عليه السلام والمقداد وسلمان الفارسي وأبي ذر ومن جرى مجراهم ممن شهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام، وسمع منهما وهو من الأصول التي ترجع الشيعة إليها وتعول عليها[2].

٢ ـ عده الشيخ الحر العاملي صاحب وسائل الشيعة: (من الكتب التي تواترت من مؤلفيها، وعلمت صحت نسبتها إليهم)[3].

٣ ـ السيد هاشم البحراني (توفي سنة ١١٠٧هـ)، قال: (وهو كتاب مشهور معتمد نقل عنه المصنفون في كتبهم)[4].

---

(١) منتهى الكلام: ج ٣، ص ٢٩.

(٢) كتاب الغيبة للنعماني: ص ٦١.

(٣) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ٢٠، ص ٣٦.

(٤) غاية المرام للسيد هاشم البحراني: ص ٥٤٩، الباب ٥٤.

٤ ـ المحدث النوري (المتوفى سنة ١٣٢٠هـ) صاحب المستدرك، قال: (كتابه من الأصول المعروفة وللأصحاب إليه طرق كثيرة)[١].

٥ ـ آغا بزرك الطهراني، صاحب كتاب الذريعة، قال: (كتاب سليم هذا من الأصول الشهيرة عند الخاصة والعامة)[٢].

٦ ـ العلامة الأميني، صاحب كتاب الغدير، قال: (كتاب سليم من الأصول المشهورة المتداولة في العصور القديمة)[٣].

دال ـ وجوه التشكيك بكتاب سليم بن قيس ومناقشتها عند السيد أبي القاسم الخوئي قدس سره

قال السيد الخوئي قدس سره: ولكن قد يناقش في صحة هذا الكتاب بوجوه:

الوجه الأول: أنه موضوع وعلامة ذلك اشتماله على قصة وعظ محمد بن أبي بكر أباه عند موته، مع أن عمر محمد وقتئذ كان أقل من ثلاث سنين، واشتماله على أن الأئمة ثلاثة عشر.

ويرد هذا الوجه: أولا أنه لم يثبت ذلك، والسند في ذلك ما ذكره ابن الغضائري وقد تقدم غير مرة: أنه لا طريق إلى إثبات صحة نسبة الكتاب المنسوب إلى ابن الغضائري، كيف وقد ذكر صاحب الوسائل في ترجمة سليم بن قيس: والذي وصل إلينا من نسخة الكتاب ليس فيه شيء فاسد، ولا شيء مما استدل به على الوضع، ولعل الموضوع الفاسد غيره، ولذلك لم يشتهر، ولم يصل إلينا (انتهى).

(١) مستدرك الوسائل للمحدث النوري: ج ٣، ص ٧٣.

(٢) الذريعة للطهراني: ج ٢، ص ١٥٣.

(٣) الغدير عبد الحسين الأميني: ج ١، ص ١٩٥، (الهامش).

وقال الميرزا الأستر آبادي في رجاله الكبير: إن ما وصل إلي من نسخة هذا الكتاب المذكور فيه أن عبد الله بن عمر وعظ أباه عند الموت وأن الأئمة ثلاثة عشر مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشيء من ذلك لا يقتضي الوضع (انتهى).

وقال الفاضل التفريشي في هامش النقد: قال بعض الأفاضل: رأيت فيما وصل إلي من نسخة هذا الكتاب أن عبد الله بن عمر وعظ أباه عند موته وأن الأئمة ثلاثة عشر من ولد إسماعيل وهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع الأئمة الإثني عشر ولا محذور في أحد هذين (انتهى).

وإني لم أجد في جميع ما وصل إلي من نسخ هذا الكتاب إلا كما نقل هذا الفاضل، والصدق مبين في وجه أحاديث هذا الكتاب من أوله إلى آخره، فكأن ما نقل ابن الغضائري محمول على الاشتباه. (انتهى كلام الفاضل التفريشي).

قال السيد الخوئي رحمه الله: ومما يدل على صحة ما ذكره صاحب الوسائل والفاضلان التفريشي والاسترابادي: أن النعماني روى في كتاب الغيبة باسناده عن سليم بن قيس في كتابه حديثا طويلا، وفيه:

(فقال علي عليه السلام:

«**ألستم تعلمون أن الله عز وجل أنزل في سورة الحج:**

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[١]».

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٨.

فقام سلمان رضي الله عنه عند نزولها فقال يا رسول الله من هؤلاء الذين أنت شهيد عليهم وهم شهداء على الناس الذين اجتباهم الله ولم يجعل عليهم في الدين من حرج ملة أبيهم إبراهيم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«عنى الله بذلك ثلاثة عشر إنسانا أنا وأخي عليا وأحد عشر من ولده (الحديث)».

أيضا بإسناده عنه قال: لما أقبلنا من صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام نزل قريبا من دير نصراني، إذ خرج علينا شيخ من الدير جميل الوجه حسن الهيئة والسمت، معه كتاب حتى أتى أمير المؤمنين عليه السلام فسلم عليه.. (إلى أن قال): وفي ذلك الكتاب ثلاثة عشر رجلا من ولد إسماعيل بن إبراهيم خليل الله من خير خلق الله.. (إلى أن قال) رسول الله اسمه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأحب من خلق الله إلى الله بعده علي ابن عمه لأمه وأبيه ثم أحد عشر رجلا من ولد محمد وولده أولهم يسمى باسم ابني هارون شبرا وشبيرا وتسعة من ولد أصغرهما واحد بعد واحد، آخرهم الذي يصلي عيسى خلفه.

وروى أيضا بإسناده عنه حديثا طويلا وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال لعلي عليه السلام:

قد سألت فافهم الجواب (إلى أن قال): قلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن شركائي؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«الذين قرنهم الله بنفسه وبي. فقال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[1].

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(الآية) (إلى أن قال): قلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سمهم لي، فقال:

«ابني هذا.

ووضع يده على رأس الحسن عليه السلام.

ثم ابني هذا.

ووضع يده على رأس الحسين عليه السلام.

ثم ابن له على اسمك يا علي عليه السلام، ثم ابن له محمد بن علي عليهما السلام.

ثم أقبل على الحسين عليه السلام وقال:

سيولد محمد بن علي في حياتك فأقرئه مني السلام».

ثم تكملة اثني عشر إماما (الحديث).

وروى بإسناده عنه أيضا أن عليا عليه السلام، قال لطلحة في حديث طويل عند تفاخر المهاجرين والأنصار:

«يا طلحة أليس قد شهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين دعا بالكتف ليكتب فيها ما لا تضل الأمة بعده ولا تختلف؟

إلى أن قال:

وسمى من يكون من أئمة الهدى الذين أمر المؤمنين بطاعتهم إلى يوم القيامة فسماني أولهم ثم ابني هذا حسن ثم ابني هذا حسين ثم تسعة من ولد ابني هذا حسين (الحديث)».

وروى بإسناده عنه أيضا حديثا طويلا فيه قال علي بن أبي طالب عليه السلام إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«فما بال أقوام يعيروني بقرابتي وقد سمعوني أقول فيهم ما أقول من تفضيل الله تعالى إياهم.

إلى أن قال:

نظر الله إلى أهل الأرض نظرة فاختارني منهم، ثم نظر نظرة فاختار عليا أخي ووزيري ووارثي ووصيي وخليفتي في أمتي وولي كل مؤمن بعدي.

إلى أن قال:

ثم أن الله نظر نظرة ثالثة فاختار من أهل بيتي بعدي وهم خيار أمتي أحد عشر إماماً بعد أخي».

وروى محمد بن يعقوب بسندين صحيحين وبسند آخر عن أبان بن أبي عياش، عن سليم بن قيس الهلالي، قال: (سمعت عبد الله بن جعفر الطيار يقول: كنا عند معاوية أنا والحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعمر بن أم سلمة فجرى بيني وبين معاوية كلام فقلت لمعاوية: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ثم أخي علي بن أبي طالب عليه السلام أولى بالمؤمنين من أنفسهم فإذا استشهد علي فالحسن بن علي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ثم ابني الحسين من بعده أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد فابنه علي بن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم وستدركه يا علي، ثم ابنه محمد بن علي، أولى بالمؤمنين من أنفسهم».

ثم تكملة اثني عشر إماما تسعة من ولد الحسين.. إلى أن قال سليم وقد سمعت ذلك من سلمان وأبي ذر والمقداد وذكروا أنهم سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)[(١)].

ورواه النعماني في كتاب الغيبة عن محمد بن يعقوب نحوه، ورواه الصدوق في الخصال في أبواب الاثني عشر، الحديث ٤١، بسندين صحيحين عن أبان بن أبي عياش، عن سليم بن قيس الهلالي نحوه، وروى أيضا فيه الحديث ٣٨ عن أبيه قال حدثنا سعد بن عبد الله بن أبي خلف، قال: حدثني يعقوب بن يزيد عن حماد بن عيسى بن أبي خلف، قال: حدثني يعقوب بن يزيد عن حماد بن عيسى عن عبد الله بن مسكان عن أبان بن تغلب عن سليم بن قيس الهلالي عن سلمان الفارسي قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإذا الحسين على فخذيه وهو يُقبّل عينيه ويلثم فاه وهو يقول:

«أنت سيد ابن سيد أنت إمام ابن إمام أبو الأئمة أنت حجة ابن حجة أبوحجج تسعة من صلبك تاسعهم قائمهم».

قال رحمه الله: وبما ذكرناه يظهر أن ما نسبه ابن الغضائري إلى كتاب سليم بن قيس من رواية أن الأئمة ثلاثة عشر لا صحة له، غاية الأمر أن النسخة التي وصلت إليه كانت مشتملة على ذلك، وقد شهد الشيخ المفيد أن في النسخة تخليطا وتدليسا، وبذلك يظهر الحال فيما ذكره النجاشي في ترجمة هبة الله بن أحمد بن محمد من أنه عمل كتابا لأبي الحسين العلوي الزيدي، وذكر الأئمة ثلاثة عشر مع زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام، واحتج بحديث في كتاب سليم بن قيس

(١) الكافي للكليني رحمه الله: ج ١، كتاب الحجة، باب ما جاء في الاثني عشر والنص عليهم، عليهم السلام: ص ١٢٦، ح ٤.

الهلالي: أن الأئمة اثنا عشر من ولد أمير المؤمنين عليه السلام. ـ ويتضح من هذا إن الشيخ المفيد لم ينف الكتاب كله بل قال فيه تخليد واليفزع إلى العلماء في ما تضمنه من الأحاديث ليوقفوه على الصحيح، والظاهر من عبارته عدم النفي بالكلية بل وجود الصحيح من الروايات يرجع فيها إلى العلماء؛ وهذا الكلام غير ظاهر في نفي الكتاب أصلاً، بل تأكيد ما فيه من غير الصحيح ـ.

وأما وعظ محمد بن أبي بكر أباه عند موته: فلو صح فهو وإن لم يكن عادة إلا أنه يمكن أن يكون على نحو الكرامة وخرق العادة. وعلى ذلك فلا وجه لدعوى وضع كتاب سليم بن قيس أصلا، وثانيا: إن اشتمال كتاب على أمر باطل في مورد أو موردين لا يدل على وضعه، كيف ويوجد ذلك في أكثر الكتب حتى كتاب الكافي الذي هو أمتن كتب الحديث واتقنها.

الوجه الثاني: أن راوي كتاب سليم بن قيس هو أبان بن أبي عياش وهو ضعيف على ما مر فلا يصح الاعتماد على الكتاب، بل قد مر عن العقيقي أنه لم يروه عن سليم بن قيس غير أبان بن أبي عياش.

والجواب على ذلك أن ما ذكره العقيقي باطل جزما فقد روي عن سليم بن قيس في الكافي وغيره من غير طريق أبان، وأما ما ذكره ابن الغضائري من انحصار راوي كتاب سليم بن قيس بأبان، فيرده ما ذكره النجاشي والشيخ من رواية حماد بن عيسى عن إبراهيم بن عمر الصنعاني عنه كتابه.

الوجه الثالث: أن راوي كتاب سليم بن قيس، أبان بن أبي عياش وهو ضعيف وإبراهيم بن عمر الصنعاني، وقد ضعفه ابن الغضائري، فلا يمكن الاعتماد على كتاب سليم بن قيس.

والجواب: أن إبراهيم بن عمر وثقه النجاشي ولا يعارضه تضعيف ابن الغضائري على ما مر الكلام في ترجمته هذا، والصحيح أنه لا طريق لنا إلى كتاب سليم بن قيس المروي بطريق حماد بن عيسى عن إبراهيم بن عمر عنه، وذلك فإن في الطريق محمد بن علي الصيرفي أبا سمينة وهو ضعيف كذاب.

الجهة الثالثة: قد عرفت أن للشيخ إلى كتاب سليم طريقين في احدهما حماد بن عيسى، وعثمان بن عيسى، عن أبان بن أبي عياش، عن سليم وفي الثاني حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن سليم، وأما النجاشي فالظاهر أن في عبارته سقطا وجملة (عن أبان بن أبي عياش، عن سليم) قد سقطت بعد قوله: (وعثمان بن عيسى). وكيف كان فلا يصح ما ذكره ابن الغضائري من اختلاف سند هذا الكتاب فتارة يروى عن عمر بن أذينة، عن إبراهيم بن عمر الصنعاني، عن أبان بن أبي عياش عن سليم، وتارة يروي عن عمر عن أبان بلا واسطة. ولذلك فإن عمر بن أذينة غير مذكور في الطريق وإبراهيم بن عمر روى عن سليم بلا واسطة.

ثم إن بعض أهل الفن[1] قد استغرب رواية إبراهيم بن عمر عن سليم بلا واسطة واستظهر سقوط الواسطة وأن الصحيح رواية إبراهيم عن ابن أذينة عن أبان، عن سليم[2]. قال السيد الخوئي قدس سره: هذا الاستغراب غريب! فإن رواية إبراهيم بن عمر، عن سليم مع الواسطة أحيانا لا ينافي روايته عنه كتابا بلا واسطة، فإن إبراهيم بن عمر من أصحاب الباقر عليه السلام، فيمكن أن يروي عن سليم بلا واسطة، ودعوى أن ما في الكافي رواية عن كتاب سليم أيضا دعوى بلا

(١) هو العلامة التستري رحمه الله في كتابه قاموس الرجال.

(٢) الكافي للكليني: ج٢، كتاب الإيمان والكفر١ في بابي دعائم الكفر وصفة النفاق، ص١٦٧ و١٦٨،ح١.

بينة وتخرص على الغيب، بل الظاهر أن لسليم أحاديث من غير كتابه، والشاهد على ذلك: ما قدمناه عن ابن شهر آشوب من أنه صاحب الأحاديث، له كتاب ويشهد له أيضا: أن النعماني بعد ما روى عدة روايات عن كتاب سليم، روى رواية عن محمد بن يعقوب بإسناده عن سليم، وقد تقدمت الروايات ويظهر من ذلك أن رواية محمد بن يعقوب لم تكن موجودة في كتاب سليم.

بقي هنا أمران:

الأول: أن ابن الغضائري ذكر في كلامه رواية سليم بن قيس عن أبي عبد الله والحسن والحسين وعلي بن الحسين عليهم السلام، وهذا غريب جدا! فإن سليم بن قيس لم يدرك الصادق عليه السلام، بل الظاهر من الرواية الأولى المتقدمة عن الكشي أنه مات في زمن علي بن الحسين عليهما السلام ولكن الرواية ضعيفة وقد صرح الشيخ في رجاله بأنه من المدركين الباقر عليه السلام.

الثاني: أن المذكور في روايتي الكشي المتقدمتين، رواية إسحاق بن إبراهيم بن عمر اليماني عن ابن أذينة، عن أبان بن أبي عياش عن سليم بن قيس وهاتان الروايتان مع أنهما ضعيفتان، ولا أقل من جهة الحسن بن علي بن عيسان فيهما تحريف لا محالة، فإن الراوي عن ابن أذينة هو إبراهيم بن عمر اليماني لابنه إسحاق، بل لا وجود لإسحاق بن إبراهيم ومن المطمئن به أن التحريف من النساخ، والصحيح فيه الحسن بن علي بن كيسان، عن أبي إسحاق إبراهيم بن عمر اليماني، عن ابن أذينة، وكيفما كان فطريق الشيخ إلى كتاب سليم بن قيس بكلا سنديه ضعيف ولا أقل من جهة محمد بن علي الصيرفي إلى سمينة[1].

---

(١) السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره: معجم رجال الحديث، ترجمة سليم بن قيس.

ثانيا: منهج التاريخ النقدي والتحليلي عند سليم بن قيس الهلالي

قال فوستيل حامل لواء التاريخ النقدي: (لا يكفي أن نقرأ النصوص، يجب أن نقرأها قبل أن نجعل من آرائنا عقيدة راسخة)[1].

من الأساليب التي اعتادها المؤرخون هو إيراد الحدث التاريخي سواء مدونا أو مرويا دون إخضاعه للنقد أو التحليل مما أعطى صورة واحدة ومتكررة لما شهده الزمن من أحداث.

لاسيما وأن هذا الأسلوب ظل متبعا إلى الآن عند الكثيرين ممن اهتموا بدراسة التاريخ، فقد لا تتعدى هذه الدراسة سوى الحديث عن هذا المؤرخ أو ذاك دون النظر إلى المكان والزمان والميول والمنهج الذي اعتمده المؤرخ.

ويبدو أنّ عزوف بعض الباحثين عن الخوض في هذه المحاور وغيرها هو لعدم وجود شيء جديد في هذه الصور المعادة على مرور الزمن.

أو لعدم وجود احتمالية أن يكون المؤرخ قد دوّن مادته التاريخية من غير مؤثرات سياسية أو عقائدية أو شخصية، ومن ثم توفر القناعة بعدم تدخل المؤرخ في كتابة الحدث التاريخي.

ولذا: قد يندر أن نجد بين المؤرخين وبالأخص كتّاب السيرة النبوية من أخضع الحدث إلى النقد والتحليل قبل التدوين، أو أنه دون مع الحدث ما قاده البحث إلى حقيقة تكون الأحداث ونشوئها وعناصرها.

هذا النوع من المنهج التاريخي وجد عند مدرسة أهل البيت عليهم السلام مع امتيازهم بالأسبقية في كتابة السيرة النبوية، ومع امتيازهم أيضا بدقة التوثيق.

---

(١) مفهوم التاريخ لعبد الله العروي: ص ٨٨.

إذ لم تشهد أي مدرسة تاريخية أن أحد أفرادها كان يعرض الحدث الذي سمعه على مصادر متعددة قبل أن يدون مادته.

كما لم تشهد أي مدرسة تاريخية أن المؤرخ مع اعتماده التوثيق وعرض المادة على مصادر متعددة كان ينتقي المصدر أيضا، وهذا منهج علمي حديث إلا أن مدرسة العترة عليهم السلام كانت قد اعتمدته قبل ١٤٠٠ سنة، وهو المنهج الذي اعتمده سليم في كتابته للسيرة.

ومن هنا: كان سليم بن قيس يعرض الحدث على علي أمير المؤمنين عليه السلام، ويعرضه على الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري وسلمان المحمدي (الفارسي) وعمار بن ياسر (رضوان الله تعالى عليهم) وعرض كتابه كذلك على الإمام الحسن بن علي وأخيه الإمام الحسين وولده الإمام زين العابدين عليهم السلام، وهو مع عرض كتابه على هذه المصادر العلمية كان يناقشهم ويبحث معهم اختلاف الأحاديث والرؤى والتفسير والتوجهات التي عليها الناس في ذلك الوقت.

أي: إن سليم بن قيس رحمه الله فضلاً عن اعتماده هذا المنهج، كان المؤرخ الأول الذي عايش الحالة العامة التي عليها الناس بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهي من أهم الفترات الزمنية التي شهدتها الأمة الإسلامية.

أما ما يدل على منهجه النقدي والتحليلي والفلسفي للتاريخ فهو الآتي:

روى الشيخ الكليني، والصدوق، والحر العاملي، والنوري، والمجلسي، وغيرهم، عَنْ أَبَانِ بْنِ أَبِي عَيَّاشٍ عَنْ سُلَيْمِ بْنِ قَيْسٍ الْهِلَالِيِّ قَالَ (قُلْتُ لأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: إِنِّي سَمِعْتُ مِنْ سَلْمَانَ وَالْمِقْدَادِ وَأَبِي ذَرٍّ شَيْئاً مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَأَحَادِيثَ عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم غَيْرَ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ، ثُمَّ

سَمِعْتُ مِنْكَ تَصْدِيقَ مَا سَمِعْتُ مِنْهُمْ وَرَأَيْتُ فِي أَيْدِي النَّاسِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَمِنَ الأَحَادِيثِ عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم أَنْتُمْ تُخَالِفُونَهُمْ فِيهَا وَتَزْعُمُونَ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ بَاطِلٌ، أَفَتَرَى النَّاسَ يَكْذِبُونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم مُتَعَمِّدِينَ وَيُفَسِّرُونَ الْقُرْآنَ بِآرَائِهِمْ؟.

قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ، فَقَالَ:

«قَدْ سَأَلْتَ فَافْهَمِ الْجَوَابَ إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقّاً وَبَاطِلًا، وَصِدْقاً وَكَذِباً، وَنَاسِخاً وَمَنْسُوخاً، وَعَامّاً وَخَاصّاً، وَمُحْكَماً وَمُتَشَابِهاً، وَحِفْظاً وَوَهَماً، وَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَلَى عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيباً فَقَالَ (أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الْكَذَّابَةُ فَمَنْ كَذَّبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) ثُمَّ كُذِبَ عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ وَإِنَّمَا أَتَاكُمُ الْحَدِيثُ مِنْ أَرْبَعَةٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ:

رَجُلٌ مُنَافِقٍ يُظْهِرُ الإِيمَانَ مُتَصَنِّعٍ بِالإِسْلاَمِ لاَ يَتَأَثَّمُ وَلاَ يَتَحَرَّجُ أَنْ يَكْذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم مُتَعَمِّداً فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَذَّابٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ وَلَمْ يُصَدِّقُوهُ وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا هَذَا قَدْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَرَآهُ وَسَمِعَ مِنْهُ وَأَخَذُوا عَنْهُ وَهُمْ لاَ يَعْرِفُونَ حَالَهُ وَقَدْ أَخْبَرَهُ اللَّهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَهُ وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾(١).

ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ فَتَقَرَّبُوا إِلَى أَئِمَّةِ الضَّلاَلَةِ وَالدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ فَوَلَّوْهُمُ الأَعْمَالَ وَحَمَلُوهُمْ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٤.

وَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَالدُّنْيَا إِلاَّ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ فَهَذَا أَحَدُ الأَرْبَعَةِ.

وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ شَيْئاً لَمْ يَحْمِلْهُ عَلَى وَجْهِهِ وَوَهِمَ فِيهِ، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً فَهُوَ فِي يَدِهِ، يَقُولُ بِهِ وَيَعْمَلُ بِهِ وَيَرْوِيهِ فَيَقُولُ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهِمَ لَمْ يَقْبَلُوهُ وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ وَهِمَ لَرَفَضَهُ.

وَرَجُلٌ ثَالِثٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم شَيْئاً أَمَرَ بِهِ ثُمَّ نَهَى عَنْهُ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ، فَحَفِظَ مَنْسُوخَهُ وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ، وَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ.

وَآخَرُ رَابِعٍ لَمْ يَكْذِبْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، مُبْغِضٍ لِلْكَذِبِ خَوْفاً مِنَ اللَّهِ وَتَعْظِيماً لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، لَمْ يَنْسَهُ، بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ فَجَاءَ بِهِ كَمَا سَمِعَ لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ وَعَلِمَ النَّاسِخَ مِنَ الْمَنْسُوخِ فَعَمِلَ بِالنَّاسِخِ وَرَفَضَ الْمَنْسُوخَ فَإِنَّ أَمْرَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم مِثْلُ الْقُرْآنِ نَاسِخٌ وَمَنْسُوخٌ (خَاصٌّ وَعَامٌّ) وَمُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ قَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم الْكَلاَمُ لَهُ وَجْهَانِ: كَلاَمٌ عَامٌّ وَكَلاَمٌ خَاصٌّ مِثْلُ الْقُرْآنِ، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ:

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[1].

فَيَشْتَبِهُ عَلَى مَنْ لَمْ يَعْرِفْ وَلَمْ يَدْرِ مَا عَنَى اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ صلى الله

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.

عليه وآله وسلم، وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم، كَانَ يَسْأَلُهُ عَنِ الشَّيْءِ فَيَفْهَمُ وَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْأَلُهُ وَلاَ يَسْتَفْهِمُهُ حَتَّى إِنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ الأَعْرَابِيُّ وَالطَّارِئُ فَيَسْأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم حَتَّى يَسْمَعُوا.

وَقَدْ كُنْتُ أَدْخُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم كُلَّ يَوْمٍ دَخْلَةً وَكُلَّ لَيْلَةٍ دَخْلَةً فَيُخَلِّينِي فِيهَا أَدُورُ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ، وَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّهُ لَمْ يَصْنَعْ ذَلِكَ بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ غَيْرِي فَرُبَّمَا كَانَ فِي بَيْتِي يَأْتِينِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم أَكْثَرُ ذَلِكَ فِي بَيْتِي وَكُنْتُ إِذَا دَخَلْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ مَنَازِلِهِ أَخْلاَنِي وَأَقَامَ عَنِّي نِسَاءَهُ فَلاَ يَبْقَى عِنْدَهُ غَيْرِي وَإِذَا أَتَانِي لِلْخَلْوَةِ مَعِي فِي مَنْزِلِي لَمْ تَقُمْ عَنِّي فَاطِمَةُ ولاَ أَحَدٌ مِنْ بَنِيَّ، وَكُنْتُ إِذَا سَأَلْتُهُ أَجَابَنِي وَإِذَا سَكَتُّ عَنْهُ وَفَنِيَتْ مَسَائِلِي ابْتَدَأَنِي، فَمَا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم آيَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ إِلاَّ أَقْرَأَنِيهَا وَأَمْلاَهَا عَلَيَّ فَكَتَبْتُهَا بِخَطِّي وَعَلَّمَنِي تَأْوِيلَهَا وَتَفْسِيرَهَا وَنَاسِخَهَا وَمَنْسُوخَهَا، وَمُحْكَمَهَا وَمُتَشَابِهَهَا، وَخَاصَّهَا وَعَامَّهَا، وَدَعَا اللَّهَ أَنْ يُعْطِيَنِي فَهْمَهَا وَحِفْظَهَا، فَمَا نَسِيتُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَلاَ عِلْماً أَمْلاَهُ عَلَيَّ وَكَتَبْتُهُ، مُنْذُ دَعَا اللَّهَ لِي بِمَا دَعَا، وَمَا تَرَكَ شَيْئاً عَلَّمَهُ اللَّهُ مِنْ حَلاَلٍ وَلاَ حَرَامٍ وَلاَ أَمْرٍ وَلاَ نَهْيٍ كَانَ أَوْ يَكُونُ وَلاَ كِتَابٍ مُنْزَلٍ عَلَى أَحَدٍ قَبْلَهُ مِنْ طَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ إِلاَّ عَلَّمَنِيهِ وَحَفِظْتُهُ، فَلَمْ أَنْسَ حَرْفاً وَاحِداً، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِي وَدَعَا اللَّهَ لِي أَنْ يَمْلأَ قَلْبِي عِلْماً وَفَهْماً وَحُكْماً وَنُوراً.

فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مُنْذُ دَعَوْتَ اللَّهَ لِي بِمَا دَعَوْتَ لَمْ أَنْسَ

شَيْئاً وَلَمْ يَفُتْنِي شَيْءٌ لَمْ أَكْتُبْهُ أَفَتَتَخَوَّفُ عَلَيَّ النِّسْيَانَ فِيمَا بَعْدُ؟.
فَقَالَ: لاَ، لَسْتُ أَتَخَوَّفُ عَلَيْكَ النِّسْيَانَ وَالْجَهْلَ»[١].

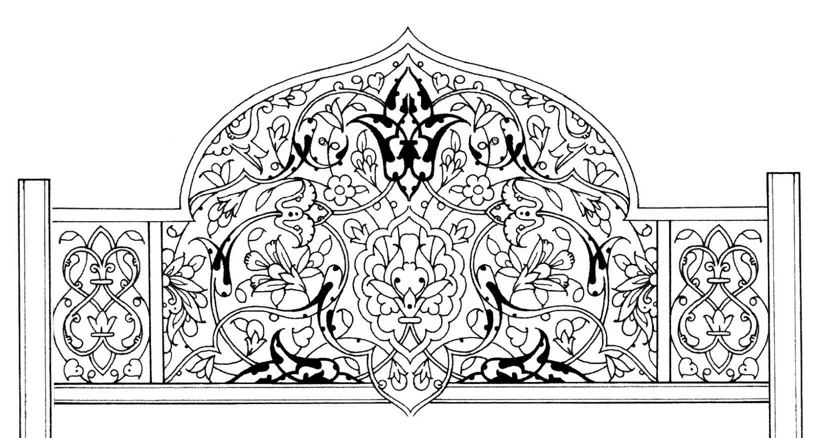
والحديث نقلناه بتمامه، لكونه يعطي صورة واضحة المعالم عن الفترة التي أعقبت وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما أنه يظهر منهاج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع الإمام علي عليه السلام في نقل العلوم القرآنية والنبوية إليه، وإنه كان يعتمد مع دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليه بالحفظ على كتابة ما كان يتعلمه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

مما أعطى منهجا لسليم بن قيس في اعتماد الكتابة في تدوين الأحداث والروايات، وأنه عرف حقيقة ما كان يسمعه من الناس وبأسلوب علمي متقن.

وعليه: فمنهج التاريخ النقدي والتحليلي والفلسفي والموثق من مصادر علمية مشهود لها على مر العصور بالتقوى والورع والعلم، دليل على امتياز مدرسة أهل البيت عليهم السلام بدقة المعلومة الممنهجة حسب الضوابط والمقاييس النبوية، أي العلمية.

وإن الوجه الحقيقي للتاريخ العربي والإسلامي هو ما خرج من هذه المدرسة، وإن نشأة علم السيرة وتطوره كان فيها، ومنها خرج إلى الناس قبل أن يوفق محمد بن إسحاق لتدوين السير والمغازي بأكثر من مائة عام.

(١) الكافي للكليني: باب اختلاف الحديث، ج ١، ص ٦٤. الاعتقادات في دين الإمامية للصدوق: ص ١١٨. الخصال للصدوق: ص ٢٥٥. وسائل الشيعة للحر العاملي: باب عدم جواز استنباط الأحكام النظرية، ج٢٧، ص ٣٠٦. مستدرك الوسائل النوري: ج ١٧، ص ٣٤٠. كتاب سليم بن قيس: ص ٢٦. كتاب الغيبة للنعماني: ص ٨٠. المسترشد لمحمد بن جرير الطبري الإمامي: ص ٢٣١. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ٢، ص ٢٣٢.



الفصل الثالث:

مراحل تطور علم السيرة النبوية خلال القرنين الأول والثاني للهجرة

المبحث الأول: نشوء المدارس الإسلامية التاريخية

مما لا ريب فيه أن تكون المدينة المنورة (أعزها الله) هي باكورة العلوم كافة، لاسيما وإنها منطلق الرسالة المحمدية إلى العالم كافة.

إلا أنّ الذي يؤسف له أن الدراسات التاريخية حينما تناولت دراسة هذا العلم لم تتعرض إلى دور مدرسة أهل البيت عليهم السلام في نشأة علم التاريخ وتطويره بشكل عام، وعلم السيرة النبوية بشكل خاص، حتى في تناولها لدور مدرسة المدينة، إذ ينحصر الحديث حول بعض الأسماء التي هي في الواقع متأخرة في معرفة هذا العلم لما يقارب المائة عام لاسيما وإنها ـ أي هذه الأسماء ـ تتبع منهج الشيخين في منع التدوين، وبالأخص السنة النبوية.

ولذلك: نجد أن المدارس الإسلامية في بعض المراكز الأقليمية كالعراق والشام واليمن وبلاد فارس ومصر وأفريقيا، والمدينة ومكة، حينما ظهر في علم السيرة لم يكن ليكتب لبعضها الدوام في هذا التخصص كما لم تكن الدوافع عند بعضها دينية. حينما ظهر فيها علم السيرة لم يكن ليكتب لبعضها الدوام في هذا التخصص. كما لم تكن الدوافع عند بعضها دينية، أي حفظ سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما تشكله من منهاج تشريعي لتنظيم الحياة الإنسانية، وضبط السلوكيات الفردية والجماعية، وإنما كانت الدوافع عند بعض هذه المدارس سياسية وإدارية وتنظيمية لمؤسسات الدولة أو المملكة الإسلامية.

(فحين انتقلت الخلافة مع بني أمية إلى الشام وحولوها ملكا مطلقا أرادوا معرفة سير الملوك السابقين، كما احتاجوا في النظام المالي والإداري للدولة، وفي ضبط أمر الجيش وعطائه وأرزاقه الدائمة إلى معرفة أمر الفتوح وعهودها والقبائل وعلاقاتها، والرجال واقطاعاتهم وقيمهم الاجتماعية والعسكرية والسياسية، وهكذا تجمع في الشام من يروي للأمويين كل ذلك)[١].

(وفي الكوفة والبصرة كان التجمع القبلي الأكبر والأهم للعرب، وفيهما توطنت الارستقراطية العربية مما ساعد على ظهور طبقة الأخباريين، التي تهتم بالأنساب والأخبار.

ولما كان لأهل اليمن تاريخهم الماضي العريق فقد أرادوا مضاهاة عرب الشمال وتاريخهم الإسلامي الطارق، الجديد فكانت لهم مدرستهم في رواية ذلك التاريخ في اليمن.

وقد اختلف الأمر بالنسبة للفرس فقد خسر الفرس ملكهم السياسي كله، كما بدأ دينهم السابق في الانحسار أمام الإسلام ولكنهم بقوا موجودين في كتلة بشرية واحدة على أرض خاصة بهم هي إيران، ويمتزجون مع العرب أيضا في العراق، ولهذا نقلوا معارفهم التاريخية؛ وهم في أرضهم؛ إلى اللغة العربية قدر ما يستطيعون وكانت لهم بذلك مدرستهم التاريخية الخاصة)[٢].

وعليه: فإن تطور علم السيرة النبوية قد انحصر في مدرستين، الأولى: مدرسة المدينة؛ والثانية: مدرسة الكوفة، وهو كما يأتي:

---

(١) التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص ١١٧.

(٢) المصدر السابق.

المسألة الأولى: دور مدرسة العراق في تطور علم السيرة النبوية

تصف بعض الدراسات التاريخية مدرسة العراق ــ أي الكوفة والبصرة ــ التاريخية بالطابع القبلي، الذي يهتم بسيرة القبيلة والأنساب وقد وجد البعض مبررات لهذا المنهج، منها:

١ ـ الاهتمام بالفعاليات والشؤون القبلية كان استمرارا مباشرا لقصص الأيام (ولروايات الأنساب) في الأسلوب والنظرة موجها إلى الأيام الجديدة، أو المعارك والفتوحات في الإسلام.

٢ ـ اعتمادها على الشعر لوثائقها وتجد فيه خير وسيلة لحفظ التراث.

٣ ـ قرب الكوفة والبصرة، وهي مراكز قبلية كبرى، وعلى صلة مباشرة ومستمرة بالصحراء، فهي مراكز فعالة لتداول هذه الروايات والأخبار(١).

في حين أن هذه المبررات لا مبرر لها، لأنها عوامل مشتركة في جميع البلاد العربية، بل هي أقدم وأقوم وأنشط في مكة والمدينة، فإن كانت القبيلة لها دورها الفعال في العراق فهي في مكة أكثر تأثيرا، وهما أكثر اهتماما بـ(الأيام) لاسيما وإنهما محطة تلاقي حضارات الشمال والجنوب واليهود والنصارى.

وأما اعتماد مدرسة العراق على الشعر، فما كانت المعلقات السبع في الكوفة أو البصرة وإنما في مكة.

وأما قرب الكوفة من الصحراء، فإن مكة هي في قلب الصحراء.

والذي يظهر من هذا أن أكثر الدراسات التاريخية لم تكن لتنظر بعينين إلى

---

(١) انظر نشأة علم التاريخ عند العرب للدوري: ص ١٠٣ ـ ١٠٤.

المادة البحثية، كما أنها لم تضع نصب عينها دور البلاط الأموي في طمس كل ما له صلة بأهل البيت عليهم السلام، فكيف بالعراق الذي أصبح في الربع الأول من القرن الأول للهجرة محطة التشيع لعترة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وعاصمة الخلافة الإسلامية ومركز انطلاق الفكر الإسلامي.

نعم، يمكن تسجيل عامل مهم في بروز مدرسة المدينة على مدرسة الكوفة في تطور علم السيرة، هو ابتعاد الكوفة والبصرة عن منبع التحرك النبوي والفعل المحمدي صلى الله عليه وآله وسلم الذي احتضنته نسيمات هواء المدينة المنورة، إلا أن هذا العامل نجده يتهافت فيما لو نظرنا إلى دور مدرسة العترة النبوية في تطور علم السيرة النبوية سواء كانت هذه المدرسة في المدينة أم في العراق.

وهو على عكس ما صوره البعض في وصف الحركة التاريخية والتدوين بأنها سارت متأثرة بـ(الحزبية والإقليمية والقبلية)، فنرى في أبي مخنف ـ وهو أحد رموز المدرسة الكوفية ـ ميولا علوية، وميولا عراقية ــ حيث يورد الرواية: (أدركت الناس وهم يقولون: أن أول ذل دخل الكوفة هو موت الحسين بن علي وقتل حجر بن عدي ودعوة زياد)[1].

وكأن الباحث قد كتب بحثه في زمن الدولة الأموية، لا القرن العشرين، فهو سائر على نهج القدامى في لصق تهمة التشيع ــ كما يسمونها تهمة ــ بكل من يروي رواية في أهل البيت عليهم السلام.

ولذلك: كيف يمكن تسجيل أي دور ولو بسيط لمدرسة الكوفة في تطور علم التاريخ والسيرة، وهي تحارب منذ قرون عديدة وإلى هذا اليوم.

---

(١) نشأة علم التاريخ عند العرب للدوري: ص ١٠٧.

ومن هنا:

فإننا لا نأخذ بهذه النظريات غير الموضوعية، كما أننا لا نسدل الستار على دور مدرسة الكوفة ممثلة بمدرسة أهل البيت عليهم السلام في تطور علم السيرة، وهي كالآتي.

أولا: دور الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في تطور علم السيرة النبوية وإنعكاس ذلك على مدرسة الكوفة

بدأ هذا الدور مع انتقال الإمام علي عليه السلام إلى الكوفة حينما بويع بالخلافة سنة ٣٦هـ أي بعد مرور خمسة وعشرين عاما على وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانتقال جل الصحابة معه إلى العراق، مما أعطى زخما علميا كبيرا لأهل العراق في الاطلاع على السيرة النبوية، ناهيك عن امتياز هذه المرحلة بظهور تيارات عقائدية ممثلة بـ:

١ ـ الناكثون: وهم طلحة والزبير وعائشة ومن اتبعهم.

٢ ـ القاسطون: وهم معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ومن تشيع لهم.

٣ ـ المارقون: وهم الخوارج أشياع عبد الرحمن بن ملجم وغيره.

وهذا يستلزم تتبع دقيق لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته وهديه كي يتمكن المسلم من النجاة وإتباع السبيل الذي ارتضاه الله تعالى، ولذلك نجده عليه السلام اتخذ منهجا لهذه المرحلة الحساسة في مصير الأمة الإسلامية فكانت من خلال الأمور الآتية:

ألف ـ تذكيره عليه السلام بسمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهديه وسيرته

أي تنقية الرواية الصحيحة من السقيمة والسنة من البدعة، مبتدئاً بعمود الدين، وهي الصلاة فنادى الصلاة جامعة، فصفهم في مسجد الكوفة وفيهم جمع من أهل بدر وحنين كعمار بن ياسر وأبي بن كعب وغيرهما مما لا حصر لهم في هذا الموضع من البحث ـ وصف معهم أهل الكوفة فصلى بهم، فكانت النتيجة لهذه الصلاة مدونة في صحاح المسلمين ومساندهم وعلى لسان مطرف بن الشخير قائلا: (كنت مع عمران بن حصين بالكوفة فصلى بنا علي بن أبي طالب عليه السلام، فجعل يكبر كلما سجد، وكلما رفع رأسه، فلما فرغ قال عمران: صلى بنا هذا مثل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)[(١)].

وفي رواية، أنه قال:

(فلما انصرفنا قال عمران: ما صليت منذ حين أو قال منذ كذا وكذا أشبه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الصلاة، يعني صلاة علي رضي الله تعالى عنه)[(٢)].

وفي لفظ آخر أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، عن مطرف، قال:

(صليت أنا وعمران صلاة خلف علي بن أبي طالب عليه السلام، فكان إذا سجد كبر، وإذا رفع كبر، وإذا نهض من الركعتين كبر، فلما سلم أخذ عمران بيدي

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: حديث عمران بن حصين، ج ٤، ص ٤٢٨.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: حديث عمران بن حصين، ج ٤، ص ٤٢٩. مصنف الصنعاني لعبد الرزاق الصنعاني: باب التكبير، ج ٢، ص ٦٣، ح ٢٤٩٨.

فقال: لقد صلى بنا هذا صلاة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أو قال: لقد ذكرني هذا صلاة محمد صلى الله عليه وآله وسلم)[١].

والسؤال الذي يفرض نفسه في ساحة البحث: إذا كان المسلمون قد نسوا كيف هي صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتي من المفروض أنها تصلى في اليوم خمس مرات، فكيف بهم يتذكرون بقية سنته وسيرته وأفعاله وأقواله!؟.

وأنى لهم ذلك وسنته قد أمر بها الشيخان أبو بكر وعمر، فأحرقت، ومحيت، ومنعت من التدوين، ولذا؛ كان لزاما على علي أمير المؤمنين عليه السلام أن يعيد السنة والسيرة النبوية إلى مسارها الصحيح، وأنْ تدون هذه السيرة الصحيحة بعد أن أحرقت ومحيت وغيرت، ومما يدل على أنها غيرت وبدلت ولم يبق منها شيء سواء التي أخرجها أهل البيت عليهم السلام إلى الناس ما يأتي:

١ ـ روى مالك بن أنس ـ إمام المذهب المالكي ـ عن عمه سهيل بن مالك، عن أبيه، أنه قال: (ما أعرف شيئا مما أدركت الناس عليه إلا النداء للصلاة، أي: الأذان)[٢].

٢ ـ أخرج الشافعي عن طريق وهب بن كيسان، قال: رأيت ابن الزبير يبدأ بالصلاة قبل الخطبة، ثم قال: (كل سنن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قد غيرت حتى الصلاة)[٣].

---

(١) صحيح البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب المكث بين السجدتين: ج ١، ص ٢٠٠. صحيح مسلم: باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، ج ٢، ص ٨. سنن أبي داود: باب تمام التكبير، ج ١، ص ١٩٢. سنن النسائي: باب الاعتدال في الركوع، ج ٢، ص ٢٠٤.

(٢) الموطأ المطبوع مع تنوير الحوالك: ج ١، ص ٩٣. شرح الموطأ للزركاني: ج ١، ص ٢٢١.

(٣) كتاب الأم للشافعي: ج ١، ص ٢٠٨.

٣ ـ قال الزهري ـ وهو الذي تنسب إليه أوائل تدوين السيرة النبوية ـ: (دخلنا على أنس بن مالك بدمش وهو وحده يبكي، قلت: ما يبكيك!؟.

قال: لا أعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة، وقد ضيعت)[1].

٤ ـ قال الحسن البصري: (لو خرج عليكم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما عرفوا منكم إلا قبلتكم)[2].

٥ ـ وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أنه قال: (لو أن رجلين من أوائل هذه الأمة خلو بمصحفيهما في بعض الأودية، لأتيا الناس اليوم، ولا يعرفان شيئا مما كانا عليه)[3].

٦ ـ وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال:

«لا والله، ما هم على شيء مما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا استقبال القبلة فقط»[4].

٧ ـ وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«لم يبق من الإسلام إلا اسمه ومن الدين إلا رسمه»[5].

ومما قام به أمير المؤمنين عليه السلام في تطوير علم السيرة هو:

---

(١) جامع بيان العلم: ج ٢، ص ٢٤٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الزهد والرقاق: ص ٦١. الصحيح من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لجعفر مرتضى: ج١، ص ١٤٢.

(٤) بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ٦٨، ص ٩١.

(٥) الصحيح من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لجعفر مرتضى العاملي: ج ١، ص ١٤٣.

باء ـ تذكيره بحال العرب قبل مبعث النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

إنّ مما قام به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو تذكير الصحابة بما قام به النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من جهود عظيمة لتغييرهم وتعليمهم، أي إعادة تسجيل هذه السيرة في أذهان الناس، وهم الصحابة الذين قدموا معه إلى الكوفة، مع أخباره أهل الكوفة بتفاصيلها، بوصفهم كانوا الأبعد جغرافيا عن المدينة المنورة، فكان من خطبه في إحياء السيرة النبوية وتذكيره بحال العرب قبل الإسلام وبعده ما يأتي:

١ ـ قال عليه السلام:

«وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ، وَفِي شَرِّ دَارٍ، مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ، وَحَيَّاتٍ صُمٍّ، تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ، وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ، الأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ، وَالآثَامُ فِيكُمْ مَعْصُوبَةٌ»[1].

٢ ـ وقال عليه السلام:

«بَعَثَهُ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وَالنَّاسُ ضُلاَّلٌ فِي حَيْرَةٍ، وَحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ، قَدِ اسْتَهْوَتْهُمُ الأَهْوَاءُ، وَاسْتَزَلَّتْهُمُ الْكِبْرِيَاءُ، وَاسْتَخَفَّتْهُمُ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلاَءُ، حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ مِنَ الأَمْرِ، وَبَلاَءٍ مِنَ الْجَهْلِ»[2].

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: من خطب الإمام علي عليه السلام، ص ٦٦. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ١٨، ص ٢٢٦، ح ٦٨. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج٢، ص١٩.

(٢) نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام، ج ١، ص ١٨٦، برقم ٩٥. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ١٨، ص ٢١٩، ح ٥١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج ٧، ص ٦٦، برقم ٩٤.

٣ ـ وقال عليه السلام:

«أَلا وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ، وَثَلَمْتُمْ حِصْنَ اللَّهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدِ امْتَنَّ عَلَى جَمَاعَةِ هَذِهِ الأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الأُلْفَةِ الَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا، وَيَأْوُونَ إِلَى كَنَفِهَا، بِنِعْمَةٍ لاَ يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيمَةً لأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ. وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ أَعْرَاباً، وَبَعْدَ الْمُوَالاَةِ أَحْزَاباً، مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ إِلاّ اسْمِهِ وَلاَ تَعْرِفُونَ مِنَ الإِيمَانِ إِلاَّ رَسْمَهُ»[1].

وفي نهجه لبيان سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنه قد اتخذ في ذلك أسلوبين:

الأسلوب الأول: إظهار منزلته وقربه ومعرفته برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أي بمعنى: إرجاع الناس إلى المصدر العلمي والدقيق والوافي عن كل ما يتعلق بحياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشريعته. فيقول عليه السلام:

«وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ، وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ وَلاَ خَطْلَةً فِي فِعْلٍ»[2].

---

(١) نهج البلاغة: من خطب الإمام علي عليه السلام، ج ٢، ص ١٥٤. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ١٤، باب ٣١، ص ٤٧٤. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج١٣، ص ١٧٩.

(٢) نهج البلاغة، من خطب الإمام علي عليه السلام، الخطبة القاصعة، ج ٢، ص ١٥٧. شرح أصول الكافي لمولى محمد صالح المازندراني: ج ٢، ص ٢٩٨. العمدة لابن البطريق: ص تقديم١٠.

وقال عليه السلام:

«وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلاَقِهِ عَلَماً وَيَأْمُرُنِي بِالاقْتِدَاءِ بِهِ»[1].

ثانيا: إظهار مايتعلق بشخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منذ أن كان فطيما، ثم تعبده في غار حراء، ثم بعثه، ثم تبليغه رسالته صلى الله عليه وآله وسلم وما جرى بينه وبين المشركين، فيقول عليه السلام:

«وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ صلى الله عليه وآله وسلم مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ وَمَحَاسِنَ أَخْلاَقِ الْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ»[2].

وقال عليه السلام:

«وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ فَأَرَاهُ وَلاَ يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الإِسْلاَمِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم وخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ صلى الله عليه وآله وسلم فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ؟.

فَقَالَ: هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ. إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى، إِلاَّ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ، وَلَكِنَّكَ وَزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ»[3].

---

(١) نهج البلاغة: من خطب الإمام علي عليه السلام، الخطبة القاصعة، ج ٢، ص ١٥٧. العمدة لابن البطريق: ص١١. الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف للسيد ابن طاووس: ص ٤١٥.

(٢) نهج البلاغة: من خطب الإمام علي عليه السلام، الخطبة القاصعة، ج ٢، ص ١٥٧. مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج ٢، ص ٢٨. الغدير للشيخ الأميني: ج ٣، ص ٢٤٠.

(٣) نهج البلاغة: من خطب الإمام علي عليه السلام، الخطبة القاصعة، ج ٢، ص ١٥٧. نهج ←

وفي جهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تبليغ الرسالة فيقول عليه السلام:

«وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ صلى الله عليه وآله وسلم لَمَّا أَتَاهُ الْمَلأُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيماً لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلاَ أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَنْتَ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ.

فَقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: وَمَا تَسْأَلُونَ؟

قَالُوا: تَدْعُو لَنَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ.

فَقَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟

قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وَإِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لاَ تَفِيئُونَ إِلَى خَيْرٍ، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلِيبِ[(١)]، وَمَنْ يُحَزِّبُ الأَحْزَابَ[(٢)].

ثُمَّ قَالَ صلى الله عليه وآله وسلم: يَا أَيَّتُهَا الشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ.

← السعادة للشيخ المحمدي: ج ٧، ص ١٤٥. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج ١٣، ص ١٩٧. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ١٤، ص ٤٧٥، باب ٣١.

(١) القليب: البئر، وقد أشار صلى الله عليه وآله وسلم إلى ما ستؤول إليه نهايتهم في معركة بدر الكبرى، فقد أسّر المسلمون منهم مجموعة فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بـ(٢١) مشركا فقتلوا وألقوا في القليب، أي البئر، ومنهم عقبة بن أبي معيط.

(٢) وهو أشار إلى أبي سفيان الذي حزّب الأحزاب في معركة الخندق.

فَوَ الَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لانْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ وَقَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم مُرَفْرِفَةً وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صلى الله عليه وآله وسلم، فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذَلِكَ قَالُوا ـ عُلُوّاً واسْتِكْبَاراً ـ فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَيَبْقَى نِصْفُهَا، فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدِّهِ دَوِيّاً، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم. فَقَالُوا ـ كُفْراً وَعُتُوّاً ـ فَمُرْ هَذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ، فَأَمَرَهُ صلى الله عليه وآله وسلم فَرَجَعَ.

فَقُلْتُ أَنَا: لاَ إِلَهَ إِلاّ اللَّهُ، إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَصْدِيقاً بِنُبُوَّتِكَ وَإِجْلالاً لِكَلِمَتِكَ.

فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ ساحِرٌ كَذَّابٌ، عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلاَّ مِثْلُ هَذَا (يَعْنُونَنِي) وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لاَ تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لائِمٍ سِيمَاهُمْ سِيمَا الصِّدِّيقِينَ، وَكَلامُهُمْ كَلامُ الأَبْرَارِ، عُمَّارُ اللَّيْلِ وَمَنَارُ النَّهَارِ، مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ، يُحْيُونَ سُنَنَ اللَّهِ وَسُنَنَ رَسُولِهِ، لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ولاَ يَعْلُونَ، ولاَ يَغُلُّونَ ولاَ يُفْسِدُونَ، قُلُوبُهُمْ فِي الْجِنَانِ وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ»[1].

---

(١) نهج البلاغة: من خطب الإمام علي عليه السلام، الخطبة القاصعة، ج ٢، ص ١٥٨ ــ ١٥٩، برقم ١٩٢، ط دار الذخائر، قم ــ إيران. الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف للسيد ابن طاووس: ص ٤١٥، ط مطبعة الخيام، قم ــ إيران. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج٣٨، ص ٣٢١، ح ٣٣، ط مؤسسة الوفاء، بيروت ــ لبنان.

إذن؛

لم تكن مدرسة الكوفة تمثل ثقافة القبيلة والأنساب فقط، وإنما شهدت مرحلة متقدمة من مراحل تطور علم السيرة النبوية مما شكل مفاجأة للمدارس الإسلامية الأخرى، ولاسيما مدرسة الشام، فحينما ألف محمد بن الحسن الشيباني العراقي في السير، وعلم الأوزاعي الدمشقي بذلك صاح محتجا ومعترضا: (ما لأهل العراق والتصنيف في هذا الباب؟ فإنه لا علم لهم بالسير!!)[(١)].

وحينما علم الشيباني بالكلمة وكان كتابه (السير) صغيرا، وهو أساس في الفقه، فكتب كتاب (السير الكبير) الذي حوى مع الفقه الأخبار والمغازي والفتوح، ويمكن أن يعد أول كتاب في بحث العلاقات الدولية[(٢)].

ولقد لعبت الأوضاع السياسية والمذهبية دورها في حجب دور مدرسة الكوفة وقدرتها العلمية في جميع العلوم؛ ولاسيما علم السيرة، مما شكل نقطة فراغ في المادة البحثية للعديد من الدراسات التاريخية.

ثانيا: دور عبيد الله بن أبي رافع (صاحب أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام) في تطور علم السيرة وإنعكاس ذلك على مدرسة الكوفة

نستطيع أن نجني ثمار المنهج الذي قام به الإمام علي عليه السلام سريعا في تطور علم السيرة من خلال بعض الأعمال التي قام بها أصحابه عليه السلام في هذا المجال، ومنهم عبيد الله بن أبي رافع كاتب أمير المؤمنين عليه السلام على مدة خلافته في الكوفة.

---

(١) التاريخ والمؤرخون لشاكر مصطفى: ج ١، ص ١٧١.

(٢) التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ج ١، ص ١٧١.

فقد كتب تسمية من شهد مع أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه الثلاثة الجمل وصفين والنهروان من الصحابة رضي الله عنهم[١].

وهو يعد بذاك أول مصنف في علم السير والمغازي والرجال في الإسلام؛ لأنه لم يعرف من سبقه في هذا التخصص[٢]، وكان قد كتبه في عصر أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة وهو ما أعطى زخماً كبيراً لحركة وتدوين المغازي والسير في مدرسة الكوفة.

المسألة الثانية: دور مدرسة المدينة في تطور علم السيرة

يمكن لنا أن نستظهر من خلال الفترة التي أعقبت استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام وحتى نهاية القرن الأول الهجري وجود حالة من السبات لتطور علم السير والمغازي، أي أن هذه الستين سنة لم تشهد حركة متميزة لتطور علم السيرة.

والسبب في ذلك يعود إلى الأوضاع الخطيرة التي عصفت بالإسلام ابتداء من الكوفة حيث شهدت استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام وما تبعه من استظهار لدولة معاوية بن أبي سفيان التي شهدت تتبعا لحملة العلوم وتصفيتهم جسديا أو فكريا فتمت تصفية الصحابة الذين شايعوا علي بن أبي طالب عليه السلام كحجر بن عدي الكندي وأصحابه[٣]، وقتل الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام

(١) الفهرست للطوسي: ص ١٠٧. رجال النجاشي: ص ٣. رجال البرقي: ٤. أخبار معرفة الرجال للطوسي: ج ١، ص ٣، المقدمة.

(٢) التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ج ١، ص ١٧٠.

(٣) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج١٢، ص٢٢٢.

مسموماً، وعمرو بن الحمق الخزاعي ومحمد بن أبي بكر ومالك الأشتر، ثم توليته ولده يزيد للحكم الذي جهز الجيوش، وأمر بقتل الإمام الحسين بن علي عليهما السلام، وأهل بيته سنة ٦١هـ، ثم ما تبع هذه الفاجعة من ظلام وجهل وسبات لجميع العلوم التي يمكن لنا أن نتصور آثارها المدمرة من خلال بعض الروايات التي شهدت هذه الأجواء.

١ ـ فقد روي: (إن الناس في زمن الإمام السجاد علي بن الحسين عليهما السلام المتوفى سنة ٩٥هـ، كانوا لا يعرفون كيف يصلون، ولا كيف يحجون)[1].

٢ ـ أخرج أحمد بن حنبل، عن سالم بن أبي الجعد، عن أم الدرداء قالت: دخل عليَّ أبو الدرداء وهو مغضب فقلت من أغضبك.

فقال: (والله لا أعرف فيهم من أمر محمد صلى الله عليه ــ وآله ــ وسلم شيئا إلا أنهم يصلون جميعا)[2].

٣ ـ ومما روي أيضا في آثار نشوب الحرب بين عبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان: إن عبد الله بن الزبير منع أهل الشام من القدوم إلى مكة لتأدية فريضة الحج.

فقام عبد الملك بن مروان بردٍ على هذه الخطوة أن أمر ببناء قبة فوق صخرة بيت المقدس ـ عوضا وبديلا عن الحجر الأسود والكعبة المشرفة ـ ثم أمر المسلمين بالذهاب إلى بيت المقدس لتأدية الحج فطافوا حولها، ونحروا يوم العيد، وحلقوا رؤوسهم[3].

---

(١) الصحيح من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لجعفر مرتضى العاملي: ج ١، ص ١٤٥.

(٢) مسند احمد بن حنبل، من حديث أم فروة: ج ٦، ص ٤٤٣.

(٣) البداية والنهاية لابن كثير: ج ٨، ص ٢٨٣.

٤ ـ وخير وصف لهذه المرحلة التي أعقبت عاشوراء عام ٦١هـ ما روي عن الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وهو يبث شكواه إلى ربه تعالى، قال عليه السلام:

«وكيف بهم وقد خالفوا الآمرين؟ وسبقهم زمان الهادين، ووكلوا إلى أنفسهم، يتنسكون في الضلالات في دياجير الظلمات»[1].

«وقد انتحلت طوائف من هذه الأمة بعد مفارقتها أئمة الدين، وشجرة النبوة، إخلاص الديانة، وأخذوا أنفسهم في مخائل الرهبانية، وتغالوا في العلوم، ووصفوا الإسلام بأحسن صفاتهم، وتحلوا بأحسن السنة، حتى إذا طال عليهم الأمد، وبعدت عليهم الشقة، وامتحنوا بمحن الصادقين، رجعوا على أعقابهم ناكصين عن سبيل الهدى وعلم النجاة»[2].

«وذهب آخرون إلى التقصير في أمرنا، واحتجوا بمتشابه القرآن فتأولوه بآرائهم، واتهموا مأثور الخبر مما استحسنوا، يقتحمون في أغمار الشبهات، ودياجير الظلمات بغير قبس نور من الكتاب ولا أثرة علم من مظان العلم، بتحذير مثبطين وزعموا أنهم على الرشد من غيرهم.

وإلى من يفزع خلف هذه الأمة!؟ وقد درست أعلام الملة والدين بالفرقة والاختلاف يكفر بعضهم بعضا والله تعالى يقول:

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ﴾[3].

---

(١) بلاغات الإمام علي بن الحسين عليهما السلام لجعفر عباس الحائري: ص ٧٥.

(٢) بلاغات الإمام علي بن الحسين عليهما السلام لجعفر عباس الحائري: ص ٦٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٥.

فمن الموثوق به على إبلاغ الحجة؟ وتأويل الحكمة؟ إلا إلى أهل الكتاب، وأبناء أئمة الهدى، ومصابيح الدجى الذين احتج بهم على عباده، ولم يدع الخلق سدى من غير حجة.

هل تعرفونهم؟ أو تجدونهم إلا من فروع الشجرة المباركة، وبقايا صفوة الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرا، وبرأهم من الآفات وافترض مودتهم في الكتاب، هم العروة الوثقى، وخير حبال العالمين وثيقها»[1].

فهذه الأسباب وغيرها فرضت حالة من السبات على تطور علم السيرة في مدرسة الكوفة والمدينة، وحينما نقول (حالة من السبات) فهذا يعني توجه مدرسة أهل البيت عليهم السلام واهتمامها بالعلوم القرآنية والحديث والفقه والعقائد لأهميتها ولخطورة المرحلة التي كانت الأمة الإسلامية تمر بها.

ولكن هذا لا يعني العزوف عن دفع علم السيرة إلى الأمام، وإلى خلق نماذج متميزة وفاعلة في حركة علم السيرة وتطوره، فكان عمل مدرسة أهل البيت عليهم السلام ممثلا بثلاثة من أئمة العترة النبوية وهم (الإمام زين العابدين، والإمام الباقر والإمام الصادق عليهم السلام) في إرجاع المسلمين إلى سنة رسول الله وشريعته وإلى هديه وسيرته فأخذوا يروون لهم كل ما له علاقة بحياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولولا هذه المدرسة لما عرف الناس شيئا عن الإسلام ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم. قال الإمام الباقر عليه السلام:

«بَلِيَّةُ النَّاسِ عَلَيْنَا عَظِيمَةٌ إِنْ دَعَوْنَاهُمْ لَمْ يستجِيبُو لنَا وَإِنْ تَرَكْنَاهُمْ لَمْ يَهْتَدُوا بِغَيْرِنَا»[2].

---

(١) الصحيفة السجادية، جمع الأبطحي: ص ٥٢٣و٥٢٤.

(٢) الأمالي للصدوق: ص٧٠٨. الإرشاد للمفيد: ج٢، ص١٦٨. كنز الفوائد لأبي الفتح الكراجكي: ص١٩٧.

ولذا: نجدهم عليهم السلام قد أسسوا المدارس وعلموا الناس العلوم المختلفة، ويكفي من الشواهد على ذلك مدرسة الإمام الصادق عليه السلام في الكوفة التي احتوت على أكثر من (٤٠٠٠) شيخ، أدرك منهم حسن الوشاء تسعمائة رجل كل يقول حدثني جعفر بن محمد[١].

كما يمكن للباحث أو القارئ الاطلاع على كتب مدرسة أهل البيت عليهم السلام كـ(بحار الأنوار للمجلسي رحمه الله) الأجزاء المتعلقة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمعرفة دور أئمة أهل البيت عليهم السلام في حفظ علم السيرة وتطوره ولاسيما الكم الهائل في الروايات التي نقلها الرواة عن الإمام الصادق عليه السلام، وهذا يكشف عن دور الأئمة الثلاثة في نهوض مدرسة المدينة والكوفة.

وعليه: يمكن لنا أن نسجل هنا بعض الأسماء التي اهتمت برواية المغازي والسير أو تدوينهما خلال القرن الأول والثاني للهجره والتي أسهمت في نشأة علم السيرة النبوية وتطوره.

أولا: دور مدرسة أهل البيت عليهم السلام في تعليم ونشر العلوم الشرعية، فضلا عن علم المغازي والسير

أشارت بعض الدراسات التاريخية[٢] إلى أن أهمية مدرسة المدينة تكمن في تصدّرها التخصص في علم التاريخ، وعُزي ذلك إلى بعض الأسباب:

١ ـ إن المدينة كانت عاصمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والخلفاء من بعده.

---

(١) رجال النجاشي: ص ٤٠. معجم رجال الحديث للسيد الخوئي قدس سره: ج ٦، ص ٣٨. ترجمة الحسن بن علي الوشاء.

(٢) التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ج ١، ص ١٥٠.

٢ ـ إنها مركز تجمع الصحابة.

٣ ـ إنها البلد الأساس للدين الجديد صاحب الدولة والفتوح.

ثم أشارت هذه الدراسة إلى أن السبب في توجه المسلمين إلى مدرسة المدينة هو احتياجهم إلى (معرفة أوسع بالدين وصاحب الرسالة وبالأحكام والحديث والسنن والتفسير وأحاديث الدعوة الإسلامية الأولى وتفاصيل الهجرة والمغازي وقد تصدى لإيضاح ذلك أبناء الصحابة أنفسهم خاصة)[1].

ثم تذهب هذه الدراسة إلى (أن مؤسس المدرسة العلمية لمختلف فروع العلم في المدينة هو عبد الله بن عباس).

وكان قد ولد قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بثلاث عشرة سنة، وتوفي سنة ٧٨ بالطائف، وكان أبرز فقهاء المدينة، وأوسعهم إطلاعا وعلما، وكان يسمى البحر لا لكثرة علمه في الفقه فحسب، ولكن في الأخبار الماضية أيضا، والنسب، بجانب الشعر واللغة وتفسير القرآن والحساب والفرائض.

وقد روى ابن سعد في الطبقات: (إن عبد الله بن عباس كان يجلس يوما ما يذكر فيه إلا الفقه ويوما التأويل ويوما المغازي، ويوما الشعر ويوما أيام العرب)[2].

وهذه الدراسة وإن كانت أنصفت ابن عباس رحمه الله إلا أنها لم تنصف أستاذه ومعلمه ومصدر علمه وهو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الذي لزمه ابن عباس أكثر من نصف قرن.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٢، قسم ٢، ص ١٢١ و١٢٢.

وخير ما يستدل به العاقل على مستوى الطالب العلمي هو وثيقة تخرجه أو حديثه هو عن معلمه، والمدرسة التي تعلم بها ونهل علومه منها، وفي هذا الصدد فإن عبد الله بن عباس رحمه الله له رأي آخر غير الذي جاءت به الدراسة وذلك من خلال الروايات الآتية:

١ ـ روى الشيخ المفيد رحمه الله، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، قال: (سمعت رجلا يسأل عن علي بن أبي طالب عليه السلام فقال له ابن عباس: إن علي بن أبي طالب صلى القبلتين وبايع البيعتين، ولم يعبد صنما، ولا وثنا، ولا يضرب على رأسه بزلم ولا قدم، ولد على الفطرة، ولم يشرك بالله طرفة عين.

فقال الرجل: إني لم أسألك عن هذا، وإنما سألتك عن حمله سيفه على عاتقه يختال به حتى أتى البصرة فقتل بها أربعين ألفا، ثم سار إلى الشام فلقي مواجب العرب فضربهم ببعض حتى قتلهم، ثم أتى النهروان وهم مسلحون فقلتهم عن آخرهم؟.

فقال ابن عباس: علي أعلم عندك أم أنا؟.

فقال: لو كان علي أعلم عندي منك لما سألتك!.

قال: فغضب ابن عباس حتى اشتد غضبه، ثم قال: ثكلتك أمك علي علمني، كان علمه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علمه الله من فوق عرشه، فعلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلم علي من النبي، وعلمي من علم علي وعلم أصحاب محمد كلهم في علم علي عليه السلام كالقطرة الواحدة في سبعة أبحر)[1].

---

(١) أمالي المفيد: ص ٢٣٦. أمالي الشيخ الطوسي: ص ١٢. مناقب آل أبي طالب لابن شهر ←

٢ ـ وروى ابن عبد البر عن الضحاك بن مزاحم، عن عبد الله بن عباس، قال: (والله لقد أعطى علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شارككم في العشر العاشر)[١].

٣ ـ وروى طاووس عنه أيضا قال: (كان علي والله قد ملئ علما وحلما)[٢].

٤ ـ وعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: (كنا إذا أتانا الثبت عن علي لم نعدل به)[٣].

أما ما روي من شهادات في رجوع مدرسة المدينة إلى معلمها الأول بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكثيرة هي، منها:

ألف ـ علمه عليه السلام بالسنة

عن جابر، عن عائشة زوج النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، قالت: من أفتاكم بصوم عاشوراء؟.

قالوا: علي.

قالت: أما إنه أعلمكم بالسنة[٤].

آشوب: ج ١، ص ٣١٠. سعد السعود لابن طاووس: ص ٢٨٥. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ٣٢، ص ٣٥٠. ينابيع المودة لذوي القربى للقندوزي الشافعي: ج ١، ص ٢١٥.

(١) الاستيعاب لابن عبد البر: ج ٣، ص ١١٠٥. دلائل الإمامة للطبري الإمامي: ص ٢٢. المناقب لابن شهر آشوب: ج ١، ص ٣١١. فتح الملك العلي للمغربي: ص ٧٢.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر: ج ٣، ص ٤٠. فتح الملك العلي لأحمد بن الصديق المغربي: ص٧٢.

(٣) فتح الملك العلي للمغربي: ص ٧٣. الغدير للأميني: ج ٣، ص ٩١.

(٤) الاستيعاب لابن عبد البر: ج ٣، ص ١١٤، فتح الملك العلي للمغربي: ص ٧٣.

باء ـ علمه عليه السلام بالفرائض

عن سعيد بن وهب قال: قال عبد الله بن مسعود: (أعلم أهل المدينة بالفرائض علي بن أبي طالب عليه السلام)[١].

جيم ـ علمه عليه السلام بالقرآن

عن شقيق، عن عبد الله بن مسعود قال: (إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلا له ظهر وبطن، وإن علي بن أبي طالب عنده علم الظاهر والباطن)[٢].

دال ـ علمه عليه السلام بالقضاء

عن ابن أبي ملكية، عن ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب: (علي أقضانا)[٣]، وفي لفظ آخر أخرجه البخاري عنه، أنه قال: (أقرؤنا أُبي، وأقضانا علي)[٤]، وقد اشتهر عنه قوله: (لولا علي لهلك عمر)[٥].

هاء ـ علمه عليه السلام بجميع العلوم

١ ـ عن الأسود بن يزيد النخعي، قال: لما بويع علي بن أبي طالب على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال خزيمة بن ثابت وهو واقف بين يدي المنبر:

---

(١) فتح الملك العلي للمغربي: ص ٧٢. الغدير للأميني: ج ٣، ص ٩١.

(٢) حلية الأولياء للإصفهاني: ج ١، ص ٦٥. فتح الملك العلي للمغربي: ص ٧٢.

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر: ج ٢، ص ٤٦١، ط حيدر آباد.

(٤) صحيح البخاري: ج ٦، ص ١٨٧، ط بولاق.

(٥) الاستيعاب: ج ٣، ص ٣٩. الرياض النظرة للطبري: ص ١٩٤. فتح الملك العلي للمغربي: ص ٧١. الغدير للعلامة الأميني: ج ٣، ص ٩١.

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا أبو حسن مما نخاف من الفتنْ
وجدناه أولى الناس بالناس انه أطب قريش بالكتاب وبالسننْ[١]

٢ ـ ذكر ابن عبد البر: أن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص، قال: قلت لعبد الله بن عياش بن أحمد بن أبي ربيعة، يا عم لم كان صفو الناس إلى علي؟.

قال: يا ابن أخي إن عليا عليه السلام كان له ما شئت من ضرس قاطع في العلم، وكان له البسطة في العشرة، والقدم في الإسلام، والصهر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والفقه في السنة، والنجدة في الحرب، والجود في الماعون.

٣ ـ وذكر ابن عبد البر أيضا: أن معاوية بن أبي سفيان كان يكتب فيما ينزل به ليسأل علي بن أبي طالب عليه السلام فلما بلغه قتله قال: (ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب).

فقال له عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام.

فقال له معاوية: دعني عنك[٢].

واو ـ شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له في حيازة العلوم كافة

ويكفي الباحث في الدراسات التاريخية وغيرها من الأدلة على أن مؤسس مدرسة المدينة لمختلف العلوم ومعلمها أن يرجع إلى شهادة سيد الأنبياء والمرسلين ومعلم الإنسانية الأول صلى الله عليه وآله وسلم فيه، فقال:

---

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: ج٣، ص١١٤. فتح الملك العلي للمغربي: ص٧٣.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر: ج ٢، ص ٤٦٣.

١ ـ أخرج أحمد بن حنبل من حديث معقل بن يسار، أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قال لابنته فاطمة عليها السلام:

«أما ترضين أنّي زوجتك أقدم أمتي سلما، وأكثرهم علما، وأعظمهم حلما»[١].

٢ ـ سُئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن علي عليه السلام؟.

فقال:

«قسمت الحكمة عشرة أجزاء فأعطي علي تسعة أجزاء، والناس جزءا واحدا»[٢].

ناهيك عن حديث (أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد المدينة فلْيأتِ الباب)[٣].

وقوله عليه السلام عن نفسه:

«علمني رسول الله ألف باب من العلم»[٤].

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج ٥، ص ٢٦. المعجم الكبير للطبراني: ج ١، ص ٩٤.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب: ج ١، ص ٣١٢. العمدة لابن البطريق: ص ٣٧٩. فيض القدير للمناوي: ج ٣، ص ٦٠. فتح الملك العلي للمغربي: ص ٦٩. شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ج ١، ص ١٣٥. تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج ٤٢، ص ٣٨٤. مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي: ص ١٧٢. حلية الأولياء للأصفهاني: ج ١، ص ٦٥. ينابيع المودة للقندوزي: ج ١، ص ٢١٥.

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: ج ٣، ص ١٢٦. الاستيعاب لابن عبد البر: ج٣، ص١١٠٣. الفايق في غريب الحديث للزمخشري: ج٢، ص١٦. المعجم الكبير للطبراني: ج١١، ص ٥٥. مجمع الزوائد للهيثمي: ج ٩، ص ١١٤. ينابيع المودة: ج ٢، ص٧٤.

(٤) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج ١، ص ٣١٥. وأخرجه الكافي عن الإمام الصادق ←

ثانيا: دور مدرسة الصحابة في حيرة الناس في معرفة دينهم! ونفي! وتعذيب من يسأل عن دينه!!

أما ما ذهبت إليه الدراسة التاريخية في بيانها للأسباب التي دفعت المسلمين بالتوجه إلى مدرسة المدينة دون غيرها من المدارس هو (لاحتياجهم إلى معرفة أوسع بالدين وصاحب الرسالة وبالأحكام والحديث والسنن والتفسير وأحاديث الدعوة إلى الإسلام الأولى وتفاصيل الهجرة والمغازي، وقد تصدى لايضاح ذلك أبناء الصحابة أنفسهم خاصة)[1].

فإن الشطر الأخير ليس بدقيق، والسبب في ذلك يعود إلى امتناع أكثر الصحابة عن الفتيا، كما صرح البعض بذلك، وحسبك من هذه الحقية المؤلمة ما يلي:

١ ـ عن عطاء بن السائب قال: سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلى يقول: أدركت في هذا المسجد عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. إذا سُئل أحدهم عن المسألة أحب أن يكفيه غيره[2].

٢ ـ وذكر الدارمي عن داود، أنه قال: سألت الشعبي كيف كنتم تصنعون إذا سُئلتم؟ قال: على الخبير وقعت كان إذا سُئل الرجل قال لصاحبه أفتهم فلا يزال حتى يرجع إلى الأول[3].

عليه السلام: ج ١، ص ٢٣٩. الأمالي للصدوق: ص ٧٣٧. تاريخ الإسلام للذهبي: ج ١١، ص ٢٢٦. ينابيع المودة: ج ١، ص ٢٣١. الفضائل لابن شاذان: ص ١٠٢.

(١) التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ج ١، ص ١٥٠.

(٢) الطبقات لابن سعد: ج ٦، ص ١١٠. سنن الدارمي: ج ١، ص ٥٣. تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج ٣٦، ص ٨٦.

(٣) سنن الدارمي: ج ١، ص ٥٣. تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج ٢٥، ص ٣٦٦.

فهذا هو حال الصحابة في تعليم الناس وإرشادهم إلى أمور دينهم.

أما حال من يقدم للمدينة من المسلمين لكي يتعلم ويسأل عن أمور دينه فان حاله يرثى له، بل إنه ليحرم على نفسه ألا يعود إلى المدينة حتى يلقى ملك الموت!!؟ كما دلت عليه الحادثة الآتية:

أخرج الدارمي في سننه عن سليمان بن يسار: (أن رجلا قدم المدينة يقال له ضبيع ـ وهو من أهل البصرة ـ فجعل يسأل عن تشابه القرآن، فأرسل إليه عمر ـ بن الخطاب ـ فأعد له عراجين النخل، فقال: من أنت؟.

قال: أنا عبد الله، ضبيع. قال: وأنا عبد الله، عمر.

فضربه حتى دمى رأسه، فقال ـ ضبيع ـ: حسبك يا أمير المؤمنين، فقد ذهب الذي كنت أجده في رأسي، ثم نفاه إلى البصرة)[1].

وعن سعيد بن المسيب: (فأمر به عمر فضرب مائة سوط، فلما برئ دعاه فضربه مائة أخرى، ثم حمله على قتب، وكتب إلى أبي موسى: حرّم على الناس مجالسته)[2]. وذكر السائب بن يزيد: (وكتب ـ عمر ـ إلى أبي موسى، يأمره أن يحرم على الناس مجالسته، وإن يقوم في الناس خطيبا، ثم يقول: إن ضبيعاً قد ابتغى العلم فأخطأه.

فلم يزل ـ الرجل ـ وضيعا في قومه حتى هلك)[3]!.

---

(١) سنن الدارمي: ج ١، ص ٥٤. نصب الراية للزيلعي: ج ٣، ص ١١٨. الدراية لابن حجر: ج٢، ص ٩٨. الدر المنثور للسيوطي: ج ٢، ص ٧. فتح القدير للشوكاني: ج ١، ص ٣١٩. تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج ٢٣، ص ٤١١.

(٢) الإصابة لابن حجر: ج ٣، ص ٣٧١.

(٣) كنز العمال للمتقي الهندي: ج ٢، ص ٣٣٤. الغدير للأميني: ج ٦، ص ٢٩٢.

إذن: إذا كان هناك دور لمدرسة المدينة المنورة في نشر العلوم المختلفة، ولاسيما علم المغازي والسير فإنها قد اكتسبته ـ أي: هذا الدور ـ من خلال مدرسة أهل البيت عليهم السلام والتي كانت لها منهجية خاصة في تعليم المسلمين العلوم الدينية والطبيعية ونشرها؛ إذ تعتمد هذه المنهجية على تثقيف الناس على طلب العلم وتعليمه مع بسط في البيان وعمق في المعرفة، وهي مع ذلك تولي طلابها عناية خاصة ممثلا في تكريمهم والاهتمام بأحوالهم وحثهم على المشاركة وطرح الأسئلة، مستندين في ذلك إلى تعاليم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

١ ـ فقد أوصى صلى الله عليه وآله وسلم أحد طلاب هذه المدرسة بقوله:

«**يا أبا ذر، لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة، ولأن تغدو فتعلم بابا من العلم عمل به أو لم يعمل خير من أن تصلي ألف ركعة**»[1].

٢ ـ وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«**ما من متعلم يختلف إلى باب العالم إلا كتب له بكل قدم عبادة سنة**»[2].

٣ ـ وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«**طالب العلم حبيب الله**»[3].

٤ ـ وقال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«**إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم من شيعتنا**»[4].

---

(١) سنن ابن ماجة: ج ١، ص ٧٩. العهود المحمدية للشعراني: ص ٢٥. ميزان الحكمة لمحمد الريشهري: ص ٢٢٠.

(٢) منية المريد: ص ١٠٠.

(٣) جامع الأخبار: ص ١١٠.

(٤) الاختصاص للمفيد: ص ٢٣٤.

٥ ـ وقال الباقر عليه السلام:

«ما من عبد يغدو في طلب العلم أو يروح إلاّ خاض الرحمة وهتفت به الملائكة: مرحبا بزائر الله، سلك من الجنة مثل ذلك السالك»[١].

وغير ذلك من الأحاديث التي تظهر منهاج أئمة العترة عليهم السلام في تعليم العلوم المختلفة ونشرها ولاسيما علم المغازي والسير سواء كان هذا العلم ظهر في المدينة أو الكوفة إلاّ أن الحرب التي أعلنت على أهل البيت عليهم السلام منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والهجمات التي تلقتها هذه المدرسة مع طلابها حالت دون ظهور أسماء الذين رووا أو صنفوا في السير والمغازي، هذا فضلاً عن أن الذين تصدوا لرواية والسيرة النبوية ونشرها في مدرسة أهل البيت عليهم السلام هم أئمة العترة ابتداءً من الإمام علي عليه السلام وإلى الإمام الثاني عشر عليهم السلام؛ بل لولا هذه السيرة التي نقلها أئمة أهل البيت عليهم السلام لما استطاع القارئ ان يميز بين الصحيح والسقيم مما كتبه المخالفون لمدرسة العترة النبوية.

وعليه:

فإننا سنورد أسماء الذين رووا أو دونوا في السير والمغازي في المدارس الإسلامية الأخرى خلال القرن الأول للهجرة والذي يعرف بالعصر الأموي دون الإشارة إلى ذكر أسماء أئمة أهل البيت عليهم السلام ومن روى عنهم؛ لكثرة ما روي عنهم في هذا الصدد. لاسيما وان العلامة المجلسي قد أفرد لسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في موسوعة البحار البالغة (١١١) جزءاً ـ أفرد ـ ثمانية أجزاء مما يتعذر علينا فرز الأحاديث التي تعود إلى الأئمة المعصومين عليهم السلام كلاً على حده.

---

(١) ثواب الأعمال: ص ١٦٠.

المبحث الثاني: أسماء الذين رووا أو كتبوا في المغازي والسير خلال القرن الأول للهجرة[١]

١ ـ ذكرنا فيما مضى أن أول مصنف في المغازي والسير بالنظر إلى عصر التدوين في هذا العلم كان عبيد الله بن أبي رافع الذي صنف كتابا في أسماء الصحابة الذين خرجوا مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في حرب الجمل وصفين والنهروان[٢]، وهذا يعني أنه دوّن هذا الكتاب قبل وفاة أمير المؤمنين سنة ٤١هـ. ولم تعرف سنة وفاته.

٢ ـ سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجي[٣]

هو سعيد بن سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج. قال ابن سعد: «أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي بعض الرواية سمع منه وكان ثقة قليل الحديث»[٤]. وقد اختلف في صحبته ولاسيما عند احمد بن حنبل[٥]، في حين

(١) اعتمدنا في ذكر تسلسل هذه الأسماء على سنة الوفاة لكل منهم، ولم نعتمد السبق في الرواية أو التدوين. كما أننا اعتمدنا في إيراد هذه الأسماء على كتاب: تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج ١، ج ٢، ص ٦٥ ـ ٨٦، بالدرجة الأولى لتتبعه الدقيق والواسع.

(٢) تاريخ التراث العربي، سزكين: ج ٢، ص٦٦، وجاء فيه: الفهرست للطوسي: ص ١١٣. الذريعة للطهراني: ج ٤، ص ١٨١. التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ج ١، ص١٧٠.

(٣) أنظر ترجمته: الطبقات لابن سعد: ج ٥، ص ٨٠ ـ ٨١. المحبّر لابن حبيب: ص ٤٢٣ و٤٣١ و٤٣٢. المعارف لابن قتيبة ص ١٣٢. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: ج ٤، ص ٢٤، باب السين، برقم ٩٨.

(٤) الطبقات لابن سعد: ج٥، ص٨١.

(٥) الاستيعاب: ج٢، ص٦٢٠.

نص عليها ابن عبدالبر، قائلاً: «صحبته صحيحة»[1]. وهو ما ذهب إليه أيضاً ابن حجر[2] والذهبي[3].

وقد نص الشافعي على وجود كتب عند سعيد بن سعد بن عبادة مدون فيها شيء من سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما روى عن سعيد بن عمرو بن شرحبيل وهو حفيد سعيد بن سعد بن عبادة قائلاً: «وجدنا في كتب سعيد بن عبادة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قضى باليمين مع الشاهد»[4].

ويروي العيني الرواية بلفظ: «كتاب وجدته في كتب سعيد بن سعد بن عبادة»[5].

وهذا يدل على أن هذا الكتاب دوّن فيه سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضلاً عن أنه يعد من أصحاب مدرسة أهل البيت عليهم السلام التي التزمت منهج التدوين، والأمر الملفت في ترجمته أن البخاري ومسلماً لم يخرجا له حديثاً واحداً تبعهما في ذلك الترمذي وأبو داود، في حين أخرج له النسائي[6]، وابن ماجة[7] رواية واحدة!.

---

(١) الاستيعاب: ج٢، ص٦٢٠. الإكمال في أسماء الرجال للتبريزي: ص٨٦.

(٢) الاصابة لابن حجر: ج٣، ص٨٨ برقم ٣٢٧٢، تقريب التهذيب لابن حجر: ج١، ص٣٥٤.

(٣) الكاشف في معرفة من له حديث في الكتب الستة، الذهبي: ج١، ص٣٥٤.

(٤) كتاب الأم، الشافعي: ج٦، ص٢٧٤. معرفة السنن والآثار، البيهقي: ج٧، ص٤٠٣.

(٥) عمدة القاري، العيني: ج١٣، ص٢٤٧.

(٦) سنن النسائي، باب: إذا أوصى لعشيرته الأقربين: ج٦، ص٢٥٠، عن ابن القاسم عن مالك عن سعيد بن عمرو بن شرحبيل بن سعيد بن سعد بن عبادة عن أبيه عن جده قال: خرج سعد بن عبادة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم.... .

(٧) سنن ابن ماجة، باب: الكبير والمريض يجب عليه الحد، ج٢، ص٨٥٩، حديث (٢٥٧٤).

وقد علل الحاكم النيسابوري ذلك بعد أن عدّ سعيد بن سعد بن عبادة في التابعين الذين ليس لهم في الصحيح رواية، بقوله: «هؤلاء التابعون على علو محالهم في التابعين ومحال آبائهم في الصحابة ليس لهم في الصحيح ذكر لفساد الطريق إليهم لا لجرح فيهم فقد نزههم الله عن ذلك»[1].

والظاهر أن العلة التي منعت البخاري ومسلماً من إخراج رواية لسعيد بن سعد بن عبادة هي موالاته لعلي بن أبي طالب عليه السلام فقد كان أحد ولاته على اليمن[2] وهو أحد رواة حديث الغدير عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[3].

وقد ترجم له سزكين قائلاً: «يعده أكثر المؤلفين صحابيا كأبيه، وكان أبوه قد عرف في الجاهلية بثقافته وخلقه، فَلُقِّبَ لذلك بالكامل.

ويبدو أن سعيدا من أوائل من دونوا أشياء عن حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وربما نظر فيها معدلا ما كتبه أبوه.

وكان كتابه موجودا في نسخته الأصلية في أوائل العصر العباسي عند حفيده سعيد بن عمرو[4]. ويبدو أن قسما مما كتب قد وصل إلينا في كتب المساند مثل مسند ابن حنبل[5]، وأبي عوانة[6].

(١) معرفة علوم الحديث، الحاكم النيسابوري: ص٢٥٥.

(٢) الاستيعاب لابن عبدالبر: ج٢، ص٦٢٠. سبل السلام للكحلاني: ج٤، ص١٢. الإكمال للتبريزي: ص٨٦.

(٣) الطرائف لابن طاووس: ص١٤١. البحار للمجلسي: ج٣٧، ص١٨٢. الغدير: ج١، ص٤٤. الولاية للحافظ ابن عقدة: ص١٥١، برقم ٥٥.

(٤) انظر التهذيب لابن حجر: ج ٤، ص ٦٩.

(٥) مسند ابن حنبل: ج ٥، ص ٢٢٢.

(٦) انظر الإصابة: ج ٢، ص ١٢٢٣.

كما وصلت إلينا نصوص منه ـ فيما يبدو ـ عند الطبري وغير ذلك.

ولا تعرف سنة وفاته غير أن ابنه شُرحْبيل، وهو أحد مؤلفي (المغازي) قد توفي ـ فيما يقال ـ وقد ناهز المائة عام سنة ١٢٣ هـ/٧٤٠م»[١].

٣ ــ سهل بن أبي خثيمة (توفي سنة ٤١هـ)

ترجم له سزكين، قائلاً: «وهو سهل بن أبي خيثمْة[٢] المدني الأنصاري، ويكنى أبا يحيى، أو أبا محمد، ولد سنة (٣هـ/٦٢٤م).

ويبدو أنه من شباب الصحابة الذين دونوا عن حياة الرسول ومغازيه، «ويتضح من بعض القطع التي وصلت إلينا في جلاء أن حفيده أو حفيد حفيده محمد بن يحيى بن سهل ـ الذي روى عنه الواقدي كثيرا ــ كان يملك نسخة مما دوّنه.

ولما كان محمد بن يحيى بن سهل هذا لم يحصل على إجازة بروايتها كان يقول: (وجدتُ في كتاب آبائي)[٣].

وربما نستطيع أن نجد قسما كبيرا من هذا في المخطوط الكامل لكتاب الواقدي[٤].

---

(١) تاريخ التراث العربي، سزكين: ج٢، ص ٦٦.

(٢) مصادر ترجمته: تاريخ التراث العربي، سزكين: ج٢، ص٦٦، وجاء فيه: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: ٢/١/٢٠٠. الإصابة لابن حجر: ج ٢، ص٢٧٦. التهذيب لابن حجر: ج٤، ص ٢٤٨ و٢٤٩. جامع الرواة للأردبيلي: ج١، ص٣٩٢.

(٣) انظر الإصابة لابن حجر: ج ١، ص ٦٣٠ ــ ٦٣١. الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ١، ص٣٣٢، ط بيروت ـ لبنان.

(٤) انظر المغازي: ص ٩٥ و١٠٨ ـ ١٠٩ و١٩٧.

وقد وصلت إلينا منه بعض قطع[(١)].

ويروى أنه توفي في عهد معاوية سنة (٤١هـ/٦٦١م ـ ٦٠هـ/٦٨٠م).

وروى عن محمد بن سهل ابنه محمد، وابن أخيه محمد بن سليمان، وبشير بن يسار الأنصاري الذي روى عنه ابن إسحاق[(٢)]، ونافع بن جبير بن مطعِم، وعروة، ولم يستطع الزّهري أن يروي عنه رواية مباشرة، ولذا فقد كانت رواياته عنه من المرسل.

ومن آثاره، ما أخرجه أحمد بن حنبل له في المسند من أحاديث»[(٣)].

٤ ـ سَعِيد بن المسَيّب[(٤)] (المتوفى سنة ٩٤هـ)

هو أبو محمد، سَعِيد بن المُسَيِّب بن حَزْن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ، المخزومي، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب[(٥)] وكان نسابة ومؤرخا ومحدثا وفقيها، وتوفي بالمدينة سنة ٩٤هـ/٧١٣م.

---

(١) انظر أنساب الأشراف للبلاذري: ج ١، ص ٥٠٩. تاريخ الطبري: ج ١، ص ١٢٦٤ و١٦٠٩ و١٧٥٧ و١٧٨٢ ـ ١٧٨٣. الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ١، ص ٣٣٢ و٤٨٩ و١٩٠ و٥٠٢ وج ٣، ص ٢١٢.

(٢) انظر التهذيب لابن حجر: ج ١، ص ٤٧٢.

(٣) تاريخ التراث، سزكين: ج ٢، ص ٦٧.

(٤) أنظر ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٥، ص ١١٩ ـ ١٤٣، ط بيروت ـ لبنان. الحيوان للجاحظ: ج٣، ص٢١٠. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: ٥٩/١/٢ ـ ٦١. حلية الأولياء لأبي نعيم: ج٢، ص١٦١ ـ ١٧٥. التهذيب لابن حجر: ج٤، ص٨٤ ـ ٨٨. الأعلام للزركلي: ج٣، ص١٥٥.

(٥) التمهيد لابن عبد البر: ج٦، ص٣٠١.

قال سزكين:

«ويتضح من القطع التي وصلت إلينا عند الطبري، أن الطبري، أفاد على نحو مباشر، مما كتبه سعيد بن المسيب عن حياة الرسول ـ دون مغازيه ـ ومما كتبه عن الفتوح»[١].

عده الشيخ الطوسي رحمه الله من أصحاب الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام، وقال:

«سمع منه وروى عنه»[٢].

وقال ابن داود الحلي: «من الصدر الأول رباه أمير المؤمنين»[٣].

وترجم له السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره في المعجم وتوقف في أمره، فقال:

«فتخلّص مما ذكرناه أن الصحيح هو التوقف في أمر الرجل لعدم تمامية سند المدح والقدح، ولقد أجاد المجلسي رحمه الله حيث اقتصر على نقل الخلاف في حال الرجل في دون ترجيح»[٤].

ويظهر من ذلك أنه من أصحاب مدرسة أهل البيت عليهم السلام بقرينة عدم التزامه بنهج عمر بن الخطاب في منع التدوين؛ فضلاً عن منهج التقية التي كان يعمل بها اتباع أهل البيت عليهم السلام.

(١) تاريخ التراث العربي: ج ٢، ص ٦٨.

(٢) رجال الطوسي: ص١١٤.

(٣) رجال ابن داود: ص١٠٣.

(٤) معجم رجال الحديث، السيد الخوئي قدس سره: ج٩، ص١٣٨ ـ ١٤٦.

٥ ـ عُروة بن الزبَير[(١)] (المتوفى سنة ٩٤هـ)

ترجم له سزكين: «هو عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، ولد بين عام ٢٣هـ/٦٤٣م، و٢٩هـ/٦٤٩. كان حفيد أخ لخديجة، وهو أخو عبد الله بن الزبير وكان أصغر من عبد الله بثلاثين عاما تقريبا، ولم يشترك في وقعة الجمل.

عاش في مصر من سنة ٥٨هـ إلى سنة ٦٥هـ، وكان إلى جانب أخيه عبد الله بن الزبير عندما حاصر الأمويون مكة المكرمة.

وبعد هزيمة عبد الله بن الزبير اتجه عروة إلى عبد الملك بن مروان، وتوفي سنة ٩٤هـ ويُعَدُّ عروة أحد فقهاء المدينة السبعة.

ولقد روى هشام بن عروة أن أباه أحرق عددا من كتب الفقه في يوم الحَرَّة سنة ٦٣هـ، ثم ندم على ذلك ندما شديدا[(٢)].

كان محدثا علّم تلاميذه الحديث وقدم لهم أيضا معارفه عن حوادث صدر الإسلام.

وقد وصلت إلينا بعض كتب له في كتب ابن إسحاق والواقدي والطبري، ولنا أن نعدها أقدم ما وصل إلينا مدونا عن سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) أنظر ترجمته في الطبقات لابن سعد: ج ٥، ص ١٣٢. المعارف لابن قتيبة ص ١١٤. التاريخ الكبير للبخاري: ٤/١/ ٣١ ـ ٣٢. حلية الأولياء لأبي نعيم: ج ٢، ص ١٧٦ ـ ١٨٣. الوفيات لابن خلكان: ج ١، ص ٣٩٨ ـ ٤٠٠، ط القاهرة سنة ١٢٩٩هـ. التهذيب لابن حجر: ج ٧، ص ١٨٠ ـ ١٨٥. الأعلام للزركلي: ج ٥، ص ١٧. معجم رجال الحديث، السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره: ج٩، ص١٣٨ ـ ١٤٦. علم التاريخ للدوري: ص ٦١ ـ ٧٦. تاريخ التراث العربي، سزكين: ج٢، ص٧٠ ـ ٧١.

(٢) انظر الطبقات لابن سعد: ج ٥، ص ١٣٣.

أما الخبر القائل بأن عروة ألف كتابا في (المغازي) فليس له مصدر قديم[١].

وهناك قصة يتضح منها أن إجاباته عن سيرة الرسول ـــ والتي كان يقدمها مدونة ـ إنما اعتمدت على الأحاديث التي جمعها هو بنفسه[٢]، وذكر السخاوي أن الزهري وأبا الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل (المتوفى سنة ١٣١هـ/٧٤٨م) قد رويا المغازي عن عروة[٣].

وقد جمع كل من هوروفتس والدوري قطعا من آثاره[٤].

وحول رواته ألّف مسلم: (رجال عروة ابن الزبير)[٥].

أما كتبه إلى عبد الملك بن مروان[٦]، فقد ترجمها شبرنجر إلى اللغة الألمانية في كتابه تاريخ وتعاليم محمد»[٧].

ولنا وقفة أخرى مع عروة بن الزبير في مبحث دور محمد بن إسحاق في تطور علم السيرة.

---

(١) انظر كشف الظنون لحاجي خليفة: ص ١٧٤٧.

(٢) تاريخ التراث العربي: ج٢، ص٧٠.

(٣) انظر التهذيب لابن حجر: ج ٩، ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨. الإصابة لابن حجر: ج ١، ص ٢٥٥. الإعلان للسخاوي: ص ٨٨.

(٤) انظر الإصابة: ج ٨/٢، ص ٨٢١.

(٥) تاريخ التراث، سزكين: ج٢، ص٧٠، وجاء فيه: المكتبة الظاهرية مجموع ٥٥ (الأوراق من ١٣٩ ـ ١٤٧و ٤٦٣هـ، بخط الخطيب البغدادي. انظر العش: ص ٢٢٥.

(٦) انظر تاريخ الطبري ج ١، ص ١١٨١ و١٢٨٤ ـ ١٢٨٨.

(٧) تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين: ج ٢، ص ٧٠ و٧١.

٦ ــ عُبَيد الله بن كَعْب (المتوفى سنة ٩٧هـ)[1]

هو أبو فَضالة عُبَيْد الله بن كَعْب بن مالك بن أبي كعب بن القين المدني الأنصاري، وثقه ابو زرعة[2] وابن سعد وقال: «إنه قليل الحديث، وهو أحد قدامى التابعين، ولا تعلم سنة ميلاده»[3].

روى عن أبيه، وروى عنه الزهري وأخوه معبد وغيرهم وقال أبو أحمد الحاكم:

«كان أعلم قومه وأوعاهم لأحاديث الصحابة»[4]، «ولقد وصفه محمد بن إسحاق بأنه أحد كبار علماء الأنصار»[5].

«واعتمد عليه بوصفه أحد مؤلفي المغازي المرموقين، ويبدو من القطع الباقية عند الطبري[6] أن كتابه في المغازي كان صغيرا، وقد أفاد منه ابن إسحاق ــ كما يبدو عند الطبري ــ برواية راوٍ لم يذكر اسمه، وقد قدم لأخباره بالإسناد التالي: «عمن لا يُتَّهم عن عُبَيْد الله...»[7].

---

(١) أنظر ترجمته: الطبقات لابن سعد (ليدن): ج ٥، ص ٢٠١، ط بيروت ــ لبنان ٢٧٣. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: ٣٣١/٢/٢ــ٣٣٢. التهذيب لابن حجر: ج ٧، ص ٤٤ ــ ٤٥. تقريب التهذيب لابن حجر: ج ١، ص ٥٣٨. تاريخ التراث العربي: ج٢، ص٦٨.

(٢) الجرح والتعديل، الرازي: ج٥، ص٣٣١.

(٣) الطبقات لابن سعد: ج٥، ص٢٧٣.

(٤) تهذيب التهذيب: ج٧، ص٤٠.

(٥) انظر تاريخ الطبري: ج ١، ص ١٣٦٤.

(٦) تاريخ الطبري: ج ١، ص ١٣٦٤ و١٤٦٣ و١٤٧٩ و١٥٠١ ـ ١٥٠٨ و١٥٠٩ ـ ١٥١٠.

(٧) تاريخ التراث العربي: ج ٢، ص ٦٨.

٧ ـ أبان بن عثمان بن عفّان (المتوفى سنة ٩٦هـ)[١]

أبو سعيد، ويقال: أبو عبدالله، روى عن أبيه، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد، وعنه الزهري، وعمر بن عبدالعزيز[٢].

«كان مع عائشة وهو في السادسة عشرة من عمره في (وقعة الجمل) سنة ٣٦هـ/٦٥٦م، ولم يكن له دور سياسي يذكر وكان والياً لعبد الملك بن مروان على المدينة واستمرت سبع سنين»[٣].

وتتفاوت الروايات حول عام وفاته بين ٩٦هـ، ١٠٥هـ ويُعَدُّ أبان بن عثمان من فقهاء المدينة[٤].

وهو من أقدم مَن ألّفوا كتباً في المغازي، والأخبار الخاصة بها[٥].

وروى عنه المغيرة بن عبد الرحمن[٦]، ولم يقتبس عنه من المؤلفين في المغازي أو المؤرخين إلا اليعقوبي.

وعلى العكس من هذا فقد روت عنه كتب الحديث»[٧].

---

(١) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج ١، ج ٢، ص ٦٩ ـ ٧٠.

(٢) الإكمال، التبريزي: ص١٦١.

(٣)الطبقات الكبرى، ابن سعد: ج ٥، ص ١٥٢.

(٤) انظر التهذيب لابن حجر: ج ١، ص ٩٧.

(٥) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج ١، ج ٢، ص ٧٠، عن مقال يوسف هوروفتس (Horovitz, Isl. Cult. ١/١٩٢٧/٥٣٦).

(٦) الطبقات لابن سعد: ج ٥، ص ١٥٦. تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج ١، ج ٢، ص٦٩ ـ ٧٠، عن Fuck فِكْ في كتابه عن محمد بن إسحاق بالألمانية ص ٨.

(٧) انظر علم التاريخ للدوري: ص٢١.

المبحث الثالث: أسماء الذين رووا أو دونوا في علم المغازي والسير في القرن الثاني للهجرة

١ ـ الشعبي (المتوفى سنة ١٠٣هـ)[١]

ترجم له فؤاد سزكين: «هو أبو عمرو، عامر بن شَرَاحِيل، الشّعْبِي، ولد بالكوفة سنة ١٩هـ/٦٤٠م، فيما بعد اتصل بعبد الملك بن مروان. «كان محدثا وعالما في الفقه والمغازي عارفا بالشعر راوية له»[٢].

كان سفير عبد الملك بن مروان إلى ملك الروم، وعينه عمر بن عبد العزيز قاضيا. ذكرت له الكتب التالية[٣]:

ألف ـ (المغازي)[٤].

---

(١) أنظر ترجمته في: معجم رجال الحديث، السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره: ج١٠، ص٢١٠ ـ ٢١١. الطبقات الكبرى لابن سعد (ليدن): ج ٦، ص ١٧١ ـ ١٧٨، بيروت ـ لبنان. ٢٤٦ ـ ٢٥٦. المعارف لابن قتيبة: ص ٢٢٩. تاريخ بغداد للخطيب: ج ١٢، ص٢٢٧ ـ ٢٣٣. سِمْط اللآلي للبكري: ص ٧٥١. حلية الأولياء لأبي نعيم: ج ٤، ص٣١٠ ـ ٣٣٨. التهذيب لابن عساكر: ج ٧، ص ١٣٨، وما بعدها. وفيات الأعيان لابن خلكان (بولاق): ج١، ص٣٠٦ ـ ٣٠٧. تذكرة الحفاظ للذهبي: ص ٧٩ ـ ٨٨. التهذيب لابن حجر: ج ٥، ص ٦٥ ـ ٦٩. تقريب التهذيب لابن حجر: ج ١، ص ٣٨٧. الأعلام للزركلي: ج ٤، ص١٨ ـ ١٩. معجم المؤلفين لكحالة: ج ٥، ص ٥٤. تاريخ التراث العربي، سزكين: مج١، ج٢، ص٦٨ و٦٩.

(٢) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج ١، ج ٢، ص ٦٩.

(٣) تاريخ التراث العربي: مج ١، ج ٢، ص ٦٩.

(٤) تاريخ بغداد للخطيب: ج ١٢، ص ٢٣٠.

باء ـ (الفرائض والجراحات)[١].

جيم ـ (الكفاية في العبادة والطاعة).

دال ـ وله كذلك كتاب في الفتوح أملاه من حفظه أمام قتيبة بن مسلم[٢].

وهناك قطع منه وصلت إلينا عند الطبري[٣]، أخذها عن كتبه: (المبتدأ) و(المغازي) و(الفتوح).

هاء ـ (كتاب الشورى ومقتل عثمان).

وتوجد قطعة كبيرة منه برواية عَوانة بن الحكم ـ إسماعيل بن أبي خالد وذلك في (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد، وقد يكون نص القطعة من كتابين مختلفين»[٤].

وقد عرف الشعبي بعدائه لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو معروف أيضا بمشايعته للبلاط الأموي.

وقد ترجم له السيد الخوئي قدس سره في رجاله، بقوله:

(من الغرائب أن يعده ابن داود في القسم الأول، وهو الخبيث الفاجر الكذاب المعلن بعدائه لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام)[٥].

وكان يعادي من يحب علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد ذكر ابن حجر في ترجمة الحارث بن عبد الله الهمداني:

(١) تاريخ بغداد للخطيب: ج ١٢، ص ٢٣٢.

(٢) انظر تذكرة الحفاظ للذهبي: ص ٨٦.

(٣) انظر الفهرس: ص ٢٧١.

(٤) تاريخ التراث، سزكين: ج٢، ص٦٨ ـ ٦٩.

(٥) معجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ج ١٠، ص ٢١٠ ـ ٢١١.

(قال ابن عبد البر في كتاب العلم، عن السر في طعن الشعبي على الحارث: إنما نقم عليه لإفراطه في حب علي عليه السلام وأظن أن الشعبي عوقب على تكذيبه الحارث لأنه لم تبن منه كذبة)[١].

أي: أن الحارث لم تظهر منه كذبة أبدا وعليه يكون الشعبي الذي افترى على الحارث بالكذب هو الكذاب.

وقال ابن شاهين في الثقات:

«الحارث الأعور ثقة ما أحفظه وما أحسن ما روى عن علي وأثنى عليه! قيل له: فقد قال الشعبي كان يكذب؟!.

قال: لم يكن يكذب في الحديث، إنما كان كذبه في رأيه»[٢].

أي: أن رأيه في علي عليه السلام هو الذي كان سببا لهذه التهمة!.

وقال الذهبي في ترجمة الحارث:

(وحديث الحارث في السنن الأربعة، والنسائي مع تعنته في الرجال، ــ أي مع تعنت النسائي ــ فقد احتج به وقوى أمره،...، وكان من أوعية العلم)[٣].

وهذا التعنت والتعصب للبلاط الأموي أدى إلى تشويه السيرة النبوية بسبب ما لديهم من عداء لآل أبي طالب مما انعكس سلبا على حركة علم المغازي والسير وتطوير علم السيرة النبوية ــ كما سيمر علينا بيانه في الفصل القادم.

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر: ج ٢، ص ١٢٨.

(٢) تاريخ أسماء الثقات ابن شاهين: ص ٧٢.

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي: ج ١، ص ٤٣٧.

٢ ــ القاسم بن محمد (المتوفى سنة ١٠٧هـ/٧٢٥م)[(١)]

«هو أبو محمد، القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، ولد حوالي سنة ٣٧هـ/٦٥٧م».

عده الشيخ الطوسي: من أصحاب الإمامين علي بن الحسين زين العابدين وولده محمد الباقر عليهما السلام. وهو جد الإمام الصادق لأمه أم فروة[(٢)].

وقال الحافظ النووي: «أجمعوا على وثاقته وهو أحد الفقهاء السبعة في المدينة»[(٣)].

وقد تتبع فؤاد سزكين آثاره[(٤)]، فقال:

«يمكن تقسيم القطع التي ذكرها له الطبري إلى مجموعات ثلاث:

ألف ـ قطع حول سيرة النبي، ترجع إلى القاسم، أخذها الطبري من كتاب لعبد الله بن وهب الفهري (المتوفى ١٩٧هـ/٨١٣م)[(٥)].

---

(١) أنظر ترجمته في: معجم رجال الحديث، السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره: ج١٥، ص٤٨. الطبقات لابن سعد: ج ٥، ص ١٨٧ ـ ١٩٤، بيروت ـ لبنان. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: ١١٨/٢/٣. حلية الأولياء لأبي نعيم: ج ٢، ص ١٨٣. صِفَة الصفوة للجوزي: ج ٢، ص٤٩. نكت الهميان للصفدي: ص ٢٣٠. التهذيب لابن حجر: ج ٨، ص ٣٣٣ ــ ٣٣٥. تقريب التهذيب لابن حجر: ج ٢، ص ١٢١. الأعلام للزركلي: ج ٦، ص ١٥. تاريخ التراث العربي، سزكين: ج٢، ص٧٣.

(٢) رجال الطوسي: ص١١٩. نقد الرجال للتفرشي: ج٤، ص٤٣.

(٣) المجموع، محي الدين النووي: ج٥، ص١٧٠.

(٤) تاريخ التراث العربي: مج ١، ج ٢، ص ٧٣.

(٥) تاريخ الطبري: ج ١، ص ١٥١ و١٥٣ و١٧٤ و٣٥٠ و٥٢٨.

باء ـ قطع مختلفة[١].

جيم ـ وهناك خمسة وعشرون موضعا[٢]، بها بقايا كتاب في المغازي، يتضمن بضع أخبار عن أبي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وعن وقعة الجمل، وترجع هذه القطع عند الطبري إلى سيف بن عمر، وكان قد أفاد من كتاب القاسم برواية سهل بن يوسف السلمي، وهناك قطع أخرى نجدها عند الواقدي والبلاذري»[٣].

٣ ـ عاصم[٤] (المتوفى سنة ١٢٠هـ/٧٣٧م)

«هو عاصم بن عمر بن قَتَادة المدني أبو عمرو أو عمر، تابعي روى عن بعض الصحابة مثل جابر بن عبد الله وأنس بن مالك. وروى عنه ابنه الفضل، وروى عنه كذلك زيد بن أسلم وأبو الأسود (ربيب عروة) ومحمد بن إسحاق، وغيرهم، كان عالما مشهورا بالمغازي. وأمره الخليفة عمر بن عبد العزيز بأن يقرأ في الجامع الأموي قصص المغازي ومناقب الصحابة»[٥].

---

(١) تاريخ الطبري: ج ١، ص ١١٧٤ و١٧٥١ و١٨١٢.

(٢) فهرس تاريخ الطبري: ص ٤٥٧، من ص ١٨٧٣ حتى ص ٣١٠٦.

(٣) تاريخ التراث العربي، سزكين: ج٢، ص٧٣.

(٤) أنظر ترجمته: المعارف لابن قتيبة: ص ٢٣٦. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: ج ٣، ص ٣٤٦. التاريخ الكبير، البخاري: ج٦، ص٤٧٨، برقم ٣٠٤٠. الثقات لابن حبان: ج٥، ص٢٣٤. الرجال للقيسراني: ص ٣٨٣. التهذيب لابن حجر: ج ٥، ص ٥٣ ـ ٥٤. الإصابة لابن حجر: ج ٣، ص٤٤٧. تاريخ التراث العربي، سزكين: ج٢، ص٧٣، نقلاً عن مقال هوروفتس في مجلة الحضارة الإسلامية عدد ٢(١٩٢٨): (Horovitz, Isl. Cult. ١/١٩٢٨/٣١-٣٣) انظر ما كتبه فيشر عن التراجم تحت رقم (A. Fischer, Biographien ٢٢..٢٢). مستدركات علم رجال الحديث للشاهرودي: ص٣١٢.

(٥) تاريخ التراث العربي: ج٢، ص٧٣.

٤ ـ شرحبيل بن سَعيد[١] بن سعد بن عبادة الأنصاري (المتوفى سنة ١٢٣هـ)

عدّه ابن حجر من الطبقة الخامسة، وقال:

«انه من المقبولين[٢] روى عن أبيه وجده، وعنه ابنه عمرو، وعبدالله بن عقيل»[٣].

وقال سزكين:

«كان أحد المؤلفين الأوائل في ميدان المغازي، عرف علي بن أبي طالب عليه السلام[٤]، ويقال إنه توفي سنة ١٢٣ هـ بعد أن جاوز مائة عام.

وعَدَّه سفيان بن عينية (المتوفى سنة ١٩٨هـ/٨١٤م) أحسن من عرف المغازي[٥].

ولم يرو عنه ابن إسحاق والواقدي، بينما أخذ عنه ابن سعد في طبقاته[٦]، خبرا عن هجرة الرسول»[٧].

---

(١) أنظر ترجمته في:
الجرح والتعديل، الرازي: ج٤، ص٣٣٩، برقم ١٤٨٩. الثقات، ابن حبان: ج٦، ص٤٤٨. معجم البلدان لياقوت: ج ١، ص ٢٦٩. علم التاريخ للدّوري: ص ٢٢؛ تاريخ التراث العربي، سزكين: ج٢، ص٧٣.

(٢) تقريب التهذيب، ابن حجر: ج١، ص٤١٥.

(٣) تهذيب التهذيب، ابن حجر: ج٤، ص٢٨٣. اسعاف المبطأ برجال الموطأ، السيوطي: ص٤٦.

(٤) التهذيب لابن حجر: ج ٤، ص ٣٢٢.

(٥) التهذيب لابن حجر: ج ٤، ص ٣٢١.

(٦) طبقات ابن سعد: ١٦٠/١/١، ط ليدن.

(٧) تاريخ التراث العربي، من مقال يوسف هوروفتس في مجلة الحضارة الإسلامية عدد (١٩٢٨): (Horovitz, Isl.Cult. ١/١٩٢٧/٥٥٣).

٥ ــ الزُهري[1] (المتوفى سنة ١٢٤هـ/٧٤٢م)

من الشخصيات التي أثارت اهتمام الباحثين في علم التاريخ والسيرة والحديث الشريف، هي شخصية ابن شهاب الزهري. ففي الوقت الذي قدمت فيه هذه الشخصية من رصيد علمي في المجال الروائي والتدويني فزوده الرواة والحفظة بأحاديث كثيرة في السنة والتاريخ والسيرة فقد شغلت اهتمامهم أيضاً لكونها ارتادت المدرستين، أي مدرسة الصحابة ومدرسة أهل بيت النبوة عليهم السلام. ولذلك احتاجت هذه الدراسة إلى تخصيص حيزٍ أكبر من البحث لمعرفة حقيقة هذه الشخصية.

(١) أنظر ترجمته في: معجم رجال الحديث، السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره: ج١٧، ص٩٠ ـ ٩٣. التاريخ الكبير للبخاري: ٢٢١/١/١. التاريخ الصغير للبخاري (ط الله أبادي): ص ٩٣ و١٠٤ و١٤٤، سنة ١٣٢٥هـ. المعارف لابن قتيبة: ص ٢٣٩، ط القاهرة ــ مصر، ٤٧٢. معجم الشعراء للمرزباني: ص ٤٢٣. الأغاني (بولاق): ج ٤، ص ٤٨، وما بعدها، ٢٤٥، وما بعدها. حلية الأولياء لأبي نعيم: ج ٣، ص ٣٦٠ ــ ٣٦١. صِفَة الصفوة لابن الجوزي: ج٢، ص ٧٧ ـ ٧٨. البداية والنهاية لابن كثير: ج ٩، ص ٣٤٠ ــ ٣٤٨. غاية النهاية لابن الجزري: ج ٢، ص ٢٦٢. الكامل لابن الأثير: ج ٧، ص ٢٨٩. تاريخ الإسلام للذهبي: ج٥، ص ١٣٦ ـ ٦٥٢. علم التاريخ للدوري: ص ٢٠ ـ ٣٢ و٧٦ ـ ١٠٢ و١٤٣ ـ ١٥١. الأعلام للزركلي: ج ٧، ص ٣١٧. معجم المؤلفين لكحالة: ج ١٢، ص ٢١. بروكلمان: ج١، ص٦٥. تاريخ التراث العربي، سزكين: ج٢، ص٧٧، وجاء فيه: «ساخاو في مقدمة تحقيق طبقات ابنس عد: ج٣ ، وج١٣، وج١٩.

(Sachau, Einl. Zu Lbn Sa'd III, XIII, XIX. Sachau, in: MSOS As. VII, ١١ff.).

هوروفتيس، في دائرة المعارف الإسلامية (الألمانية) (Horovitz, Ei, IV, ١٣٤٢-١٣٤٣. ١٣٤٣-١٣٤٢/٤).

كتب عنه جولد تسيهر: في مجلة المستشرقين الألماني: (Goldziher, in: ZDMG ٥٠/٤٧٤)

كتب عنه ساخاو: في مجلة الدراسات الشرقية لجامعة برلين (Sachau, in: MSOS As. VII, ١١ ff).

كتب عبد العزيز الدّوري دراسة باللغة الإنجليزية عن الزهري وبدايات التدوين التاريخي في الإسلام في مجلة مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية (ABDAL'A Z ADDURL, al-Zuhri: A study on the)».

أولا: الزهري في نظر كتب الرجال والدراسات التاريخية

ترجم له ابن عبدالبر بقوله: «هو أبو بكر، محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شِهاب بن عبدالله بن الحارث الزُّهري.

بن زهرة بن كلاب، هكذا نسبه مصعب الزبيري وغيره ليس في ذلك اختلاف وكان ــ ابن شهاب ــ من علماء التابعين وفقهائهم مقدماً في الحفظ والإتقان والرواية والاتساع، أدرك جماعة من الصحابة وروى عنهم، منهم: أنس بن مالك وسهل بن سعد وعبدالرحمن بن أزهر الزهري وسنين أبو جميلة السلمي ومنهم عبدالله بن عمر، وسمع ابن شهاب من جماعة أدركوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهم صغار مثل محمود بن الربيع، وعبدالله بن عام بن ربيعة وأبي الطفيل والسائب بن يزيد ونظرائهم»[1]. وقال ابن حبان: «رأى عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان من أحفظ أهل زمانه وأحسنهم سياقاً لمتون الأخبار، وكان فقيهاً فاضلاً روى عنه الناس، مات ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة أربع وعشرين ومائة في ناحية الشام، وقبره بـ(بدا وثغب) مشهور يزار على قارعة الطريق أوصاه أن يدفن على قارعة الطريق حتى يمر به مار فيدعو له»[2].

ترجم له الذهبي بقوله: «أعلم الحفاظ، حديثه الفان ومائتان نصفها مسند ونقل الذهبي عن ابن الزناد ــ: كنا نطوف مع الزهري على علماء ومعه الألواح والصحف يكتب كلما سمع»[3].

---

(١) التمهيد، ابن عبدالبر: ج١٦، ص١٠١.

(٢) الثقات، ابن حبان: ج٥، ص٣٤٩.

(٣) تذكرة الحفاظ، الذهبي: ج١، ص٣٤٩.

أقول: وان كان ابن الزناد لم يصرح عن هوية هؤلاء العلماء الذين كان يذهب إليهم الزهري ويكتب ما يسمعه منهم، إلا اننا سنوقف القارئ الكريم على سير هؤلاء العلماء.

وترجم له سزكين بقوله:

«كان الزهري محدثا، ومؤرخا عارفا بالشعر وينسب إليه محدثا أنه قام بعملين هامين:

فهو أول من أسند الحديث[1]، وهو كذلك أول من دون الحديث[2]، ويتضح لنا من فحص سلاسل أسانيد الأحاديث أن اسم الزهري يحتل عند معظمهم في الورود المكان الثاني بعد اسم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهذا يجعلنا نقرر له دوره الكبير في تاريخ الحديث، ولم يكن الإسناد غير معروف عند من درس عليهم الزهري، إلاّ أنه اهتم بسلاسل الأسانيد لعدد كبير من الأحاديث التي لم يكن إسنادها ضروريا قبل ذلك، وكانت هذه الأحاديث مدونة أو تروى رواية شفوية منتشرة في العالم الإسلامي آنذاك، وكان عليه وهو أحد التابعين أن يبحث عن أوائل التابعين، وكذلك عن الصحابة الذين أدركوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسمعوا أحاديثه منه أو كانوا أصحاب هذه الأحاديث التي كانت في عصر الزهري تتداول شفويا أو تحريريا.

وكان ذلك ممكنا في ذلك الوقت المبكر نسبيّا لرجل كالزهري، وقد استطاع أن يكتب أسماء هؤلاء في نصوصه، وأن يجعلها تروى بعد ذلك»[3].

---

(١) انظر التقدمة لابن أبي حاتم: ص ٢٠.

(٢) انظر جامع بيان العلم لابن عبد البر: ج ١، ص ٧٣.

(٣) انظر سزكين في كتابه عن مصادر البخاري (Sezgin, Buh, Kayn. S. ٢٠).

وفوق هذا فقد حضر إليه قوم بكراريس تضم أحاديث أرادوا أن يثبتوا لها أسانيد حتى يستطيعوا روايتها، ولما كان من الصعب عمليا أن تلبى كل الرغبات بشأن كل هذه النصوص للراغبين فيها أو الاستماع إلى مضمونها، فقد اتجه الزهري إلى حل عملي، فكان يجيز للتلميذ أن يروي النص دون سماع على شيخ أو قراءة عليه، وهذا ما أطلق عليه في علم أصول الحديث فيما بعد اسم (الإجازة والكتابة)، وتذكر كتب الحديث بعض أمثلة لهذا توضح منهج الزهري في هذا[١]، وقد أُسيء فهم هذا؛ إذ وجد (جولد تسيهر) في ذلك دليلا على أن الزهري أراد بذلك أن يتيح للحكام الأمويين إيجاد مادة دينية تخدم مصالح أسرة بني أمية[٢].

ويرتبط بهذا اللبس خبر آخر أسيء فهمه كذلك، يقول الخبر: (كنا نكره كتاب العلم، حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء فرأينا ألا نمنعه أحدا من المسلمين[٣].

وقد تُرجم هذا النص ترجمة خطأ مؤداها: أنهم رغبوا عن تدوين العلم ولكن الأمراء أجبروهم على ذلك[٤].

---

(١) انظر الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي: ص ٣١٨.

(٢) انظر جولد تسيهر في كتابه الدراسات الإسلامية (Goldziher, Muh. Study. ١١ . ٣٨).

وقارن: هوروفتس في المرجع السابق ص ٧٤ (Horovitz).

(٣) الطبقات لابن سعد: ج ٢، ص ١٣٥. حلية الأولياء لأبي نعيم ج ٣، ص ٣٦٣.

(٤) هوروفتس، في دائرة المعارف الإسلامية ــ الطبعة الألمانية: ج ٤، ص ١٣٤٢ . النهر الأيمن الأسطر: ص ١٣ ــ ١٥. جولد تسيهر: (لقد أجبر هؤلاء الأمراء الناس على تدوين الحديث (Goldziher, Muh. Study. ١١, ٣٨).

انظر كذلك بحث شبرنجر في (Sprenger, JASB ١٨٥٦،٣٢٢, Nr. ٧١).

وموير (Muir. The Life of Mahomet. I.P. XXXIII)، على أن هوروفتس قد توصل في مقاله في (Isl. Cult. ٢, ١٩٢٨/٤٧ - ٤٨) إلى رأي أفضل.

وفي رأيي[١]: أن هذه العبارة معناها: رغبنا عن رواية الأحاديث بطريق الكتابة[٢]، أي بنسخ النصوص نسخا وروايتها دون أن تكون قد قرئت على شيخ أو سمعت منه حتى أجبرنا هؤلاء الأمراء على ذلك فقررنا ألا نحجب هذا عن أحد[٣].

أما دوره الثاني فهو أنه: أول من دون الحديث، فالمقصود به أنه يمثل مرحلة تالية من مراحل تدوين الحديث، وليس المقصود أنه أول من أثبت الأحاديث في صورة مكتوبة[٤].

ويتضح من المعلومات الخاصة بأول تدوين للأحاديث، ومن البقايا التي وصلت إلينا منها: أن تدوين الأحاديث إنما يرجع إلى وقت مبكر، وأنه لم يكن على الزهري إلا أن يجمع هذه النصوص المدونة المتناثرة في كراريس مختلفة والتي نظر فيها، وسبقه إلى ذلك أبو بكر بن حزم، إذ كلفه عمر بن عبد العزيز بذلك[٥].

وتدلنا[٦] عبارة تلميذ الزهري وهو الليث بن سعد (ولد سنة ٩٢هـ/٧١١م) وتوفي سنة (١٧٥هـ/٧١٩م).

---

(١) فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي: مج ١، ج ٢، ص ٧٥.

(٢) تدريب الراوي للسيوطي: ص ١٤٦.

(٣) تعيننا الحقيقة التاريخية على فهم المعنى الحقيقي لهذه الكلمة، ولم يكن المقصود بهذا إلا رغبة الخليفة هشام أن تعد لابنه نسخة لعدد من الأحاديث بنسخها كُتّابٌ له (الذهبي، أنظر: Horovitz, p. ٤٧, Fischer, Biographien, s. ٦٩).

(٤) انظر: هوروفتس في دائرة المعارف الإسلامية (الألمانية): ج ٤، ص ١٣٤٢.

(٥) الطبقات لابن سعد: ج ٢، ص ١٣٤ ــ ج ٨، ص ٥٥٣. تاريخ البخاري: ج ١، ص ٣١. وجولد تسيهر، دراسات إسلامية: ج ٢، ص ٣٨: (Goldzriher, Muh. Stud. II, ٣٨) وسزكين. مصادر البخاري ١٤: (Sezgin, Buh, Kay. S . ١٤).

(٦) تاريخ التراث العربي: مج ١، ج ٢، ص ٧٦.

وتثبت لنا ذلك في وضوح، ونص العبارة: (يا أبا بكر لو وضعت للناس هذه الكتب ودونتَ فتفرغتَ).

فأجاب الزهري: (ما نشر أحد من الناس هذا العلم نشري)[١].

ويقول الطبري عن الزهري انه كان مؤرخا ورائدا في (علم المغازي) وفي (أخبار قريش والأنصار)، وهو كذلك راوية لأخبار الرسول والصحابة[٢].

وقد عرّف الزهري كذلك مصطلح السيرة»[٣].

ثانيا: علاقة الزهري بالبلاط الأموي وتأثير ذلك على حركة علم السيرة وتطوره

اختلفت الدراسات التاريخية في بيان دور البلاط الأموي وتأثيره على حركة ابن شهاب الزهري العلمية، فمنها ما ذهبت إلى امتثاله لرغبات البلاط الأموي في (إيجاد مادة دينية تخدم مصالح أسرة بني أمية)[٤]. وقد استندوا في ذلك إلى أمرين:

أ ـ أن الزهري كان يجيز للتلميذ أن يروي النص دون سماع على شيخ أو قراءة عليه[٥].

---

(١) انظر: تراجم رجال روى عنهم محمد بن إسحاق تحقيق فيشر لنصوص الذهبي، (Fischer, Biographien ٦٩).

(٢) انظر: المنتخب من ذيل المذيّل: ص ٩٧، ط الحسينية، القاهرة ـ مصر، سنة ١٣٣٦هـ. علم التاريخ للدوري: ص ٨١.

(٣) تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين: مج١، ج٢، ص٧٥ ـ ٧٧.

(٤) تاريخ التراث: ج٢، ص٧٥، نقلاً عن: الدراسات الإسلامية لجولد تسهير: (Goldziher, Muh. Stud. ١١ . ٣٨).

(٥) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج ١، ج ٢، ص ٧٥.

ب ـ ما صرح به الزهري في قوله: (كنا نكره كتاب العلم، حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء فرأينا ألا نمنعه أحدا من المسلمين)[١].

وقد حاولت بعض الدراسات التاريخية الأخرى الدفاع عن الزهري وتبرئة ساحته من الانخراط في رغبات السلطة الأموية ومساعدتها في تثبيت الحكم، فرأت هذه الدراسة:

ألف ـ أن ما ذهب إليه جولد تسيهر في كتابه الدراسات الإسلامية في مساعدة الزهري للأسرة الأموية هو مجرد لبس في فهم النص سببه الترجمة الخاطئة للنص[٢].

باء ـ في حين رأى السيوطي وغيره أن معنى قول الزهري هو: (رغبنا عن رواية الأحاديث بطريق الكتابة، أي بنسخ النصوص نسخا وروايتها دون أن تكون قد قرئت على شيخ أو سمعت منه حتى أجبرنا هؤلاء الأمراء على ذكر ذلك فقررنا ألا نحجب هذا عن أحد)[٣].

في حين أننا وجدنا من خلال بعض النصوص: أن الزهري قد عمل لصالح البلاط الأموي، وقد وفر لهم الأجواء الدينية التي أسهمت في تثبيت حكمهم، وتوجه كثير من المسلمين إليهم، وأنه كوفئ على هذا الصنيع لفترة ليست بالقصيرة من حياته.

ولكنه؛ وبسبب قيامه بمعاقبة أحد المسلمين وتعذيبه حتى الموت حينما كان عاملا لبني أمية؛ انقلب الرجل، وخرج هائما، وترك أهل بيته وصحبه حتى لقي الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، فتحول عن تلك الميول الأموية، وتوجه إلى صحبة الإمام زين العابدين عليه السلام.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٢، ص ١٣٥. تاريخ التراث، سزكين: ج٢، ص٧٥.

(٢) تاريخ التراث العربي: مج ١، ج ٢، ص ٧٥.

(٣) تدريب الراوي للسيوطي: ص ١٤٦، تاريخ التراث العربي: مج ١، ج ٢، ص ٧٦.

ومما يدل على هذه الحقيقة ما يأتي:

١ ـ يكشف الزهري عن هذه الحقيقة ويصرح بأعماله التي خدمت البلاط الأموي على رغم علمه أنها أعمال كانت مخالفة للشريعة الإسلامية، فيقول في حديثه لمعمر: (حدثني عكرمة عن عبد الله بن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن الله عز وجل منع بني إسرائيل قطر السماء بسوء رأيهم في أنبيائهم واختلافهم في دينهم، وأنه أخذ هذه الأمة بالسنين ومانعهم قطر السماء ببغضهم علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال معمر: حدثني (به) الزهري في مرضة مرضها، ولم أسمعه يحدث عن عكرمة قبلها ـ أحسبه ولا بعدها ـ فلما بل من مرضه ندم فقال لي: يا يماني أكتم هذا الحديث وأطوه دوني فإن هؤلاء ـ يعني بني أمية ـ لا يعتذرون أحداً في تقريظ علي وذكره!!.

(قال معمر: فقلت له): فما بالك أوعبت مع القوم وقد سمعت الذي سمعت؟ قال حسبك يا هذا انهم أشركونا في لهاهم فانحططنا لهم في أهوائهم»[1].

٢ ـ وانحطاط الزهري لأهواء حكام بني أمية ـ كما صرح بذلك ـ دفع بعمر بن عبد العزيز أن يكتب إلى الآفاق: (عليكم بابن شهاب، فإنكم لا تجدون أحدا أعلم بالسنة الماضية منه)[2].

(١) مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام للحافظ ابن المغازلي: ص ١٤٢، ح ١٨٦ ط المكتبة الإسلامية، سنة ١٣٩٤هـ.

(٢) الجرح والتعديل للرازي: ج ٢، ص ١٨ ـ ج ٨، ص ٧٢. تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج ٥٥، ص ٣٤٤. سير أعلام الذهبي: ج ٥، ص ٣٣٦. الأعلام للزركلي: ج ٧، ص ٩٧. وفيات الأعيان لابن خلكان: ج ٤، ص ١٧٧.

وأنه لم يزل مع عبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك، ويزيد بن عبد الملك وكان قد استقضاه[(١)].

٣ ـ قضاء ديونه التي أعابه البعض على كثرتها، وقد تكرر من الحكام الأمويين قضاء ديون الزهري فبلغ بعضها (ألف ألف)[(٢)] وأخرى (سبعة آلاف دينار)[(٣)].

إلاّ أن هذا الحال لم يستمر، فقد برهن ابن شهاب الزهري على تحوله من خدمة البلاط الأموي وعدم الانقياد لأهوائهم وعدائهم لعلي بن أبي طالب عليه السلام.

ومما يدل عليه:

ما رواه ابن عساكر، والذهبي في السير، قائلا: (دخل سليمان بن يسار على هشام بن عبد الملك، فقال: يا سليمان من الذي تولى كبره منهم؟ فقال: هو عبد الله بن أبي سلول، قال: كذبت هو علي!.

فدخل ابن شهاب، فسأله هشام؟.

فقال: هو عبد الله بن أبي سلول، قال: كذبت هو علي، فقال: أنا أكذب لا أبالك، فو الله لو نادى مناد من السماء، أن الله أحل الكذب ما كذبت، حدثني سعيد، وعروة، وعبيد، وعلقمة بن وقاص، عن عائشة أن الذي تولى كبره عبد الله بن أبي سلول.

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان: ج ٤، ص ١٧٧.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٥، ص ٣٣٩.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٥، ص ٣٤٠.

قال ـ سليمان بن يسار ــ: فلم يزل القوم ــ أي هشام بن عبد الملك وحاشيته يغرون به ـ إلا أنه لم ينغر ولم يرضخ لهم، فقال له هشام: (إرحل فو الله ما كان ينبغي لنا أن نحمل على مثلك).

قال ـ الزهري ـ: ولِمَ؟ أنا اغتصبتك على نفسي، أو أنت اغتصبتني على نفسي فخل عني.

فقال له: لا، ولكنك استدنت ألفي ألف.

فقال ـ الزهري ـ: قد علمت، وأبوك من قبلك أني ما استدنت هذا المال عليك ولا على أبيك.

فقال هشام: إنا إن نهج الشيخ يهج الشيخ، فأمر فقضى عنه ألف ألف؛ فأخبر ـ الزهري ـ بذلك، فقال: الحمد لله هذا هو من عنده)[1].

ومن البديهي أن الله عز وجل يؤيد الذين يقفون بوجه الظلم وينصرون آل بيت نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم.

ومما يدل على تأثر حركة علم السيرة وتطوره من خلال تدخل البلاط الأموي في عمل ابن شهاب الزهري في رواية السيرة وكتابتها، هو ما يأتي:

١ ـ قال المدائني في خبره: وأخبرني ابن شهاب، قال: (قال لي خالد بن عبد الله القسري ـ أحد عمال بني أمية ـ: أكتب لي النسب، فبدأت بنسب مضر، وما أتممته.

فقال: اقطعه، اقطعه، قطعه الله مع أصولهم، وأكتب لي السيرة.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج ٥٥، ص ٣٧١. سير الأعلام للذهبي: ج ٥، ص ٣٣٩. تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٨، ص ٢٤٦.

فقلت له: فإنه يمر بي الشيء من سير علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، فأذكره؟.

فقال: لا، إلا أن تراه في قعر الجحيم، ـ قال الزهري ـ لعن الله خالدا ومن ولاه، وصلوات الله على أمير المؤمنين)[١].

ولذلك لم يكتب ابن شهاب لبني أمية أحاديث في فضائل أهل البيت عليهم السلام، وهذا يدل في الواقع على تقديم الزهري لسيرة ناقصة وغير حقيقية، لأنها فقدت أحد أهم أركانها، واختفت معها فصول كبيرة ومهمة من حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي ارتبطت بأهل بيته ولاسيما بعلي بن أبي طالب عليه السلام، ناهيك عن الانجازات التي تلازمت مع وجود علي عليه السلام في حركة التبليغ النبوية في مكة والمدينة، بل منذ اتخذه النبي الأكرم ربيبا في صغره يغدو عليه ليلا ونهارا حتى آخر لحظات عمره المقدس حينما تولى غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتكفينه ومواراته في حفرته[٢].

وعليه: فأي سيرة نبوية يمكن أن تكتب للأجيال المسلمة التي خلفت الزهري، وهي تخلو من ذكر علي بن أبي طالب عليه السلام، كما أراد خالد القسري وأسياده؟!!.

٢ ـ روى المعتزلي في النهج، قائلا: (روى عبد الرزاق عن معمر، قال: كان عند الزهري حديثان عن عروة عن عائشة في علي عليه السلام، فسألته عنهما

(١) الأغاني للاصفهاني: ج ٢٢، ص ٢١، ط دار الفكر. الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ج١، ص ٥٣. أعلام الورى للطبرسي: ج ١، ص ٩.

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني: ج٨، ص١٠٧. عمدة القاري للعيني: ج١٨، ص٧١. الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٢، ص٢٦٣.

يوما. فقال: ما تصنع بهما وبحديثهما! الله أعلم بهما، إني لأتهمهما في بني هاشم)[١]!؟.

وفي الواقع لو ذكر أحدنا هذا القول وصرح بأن عروة وعائشة متهمان في بني هاشم لحكم عليه بالتكفير من أهل تكفير المسلمين!؟ لكن الحمد لله الذي جعل كثيرا من الحقائق تجري على لسان السلف من الصحابة والتابعين. وهكذا يسير ابن شهاب الزهري في نهجه في كتابة السيرة النبوية الذي اعتمد فيه إخفاء ذكر علي بن أبي طالب عليه السلام لعلمه بعدم رضا آل بني أمية ولاحتياجه إليهم لم يستطع الزهري أن يدون كثيرا من الحقائق التي كانت من أسس السيرة النبوية، ولطالما كان يصرح بتدخل أولئك الحكام وأشياعهم في تغيير حقيقة السيرة النبوية.

ولعل من الشواهد التي تظهر تذمر الزهري أو سخريته من الزمن الذي أصبح فيه بنو أمية حكاماً وولاة على المسلمين، هو ما يتعلق بحقيقة من حقائق السيرة النبوية، ألا وهي صلح الحديبية، حيث ثبت في النصوص التاريخية ومن طرق عدة أن كاتب الكتاب في صلح الحديبية هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام[٢]، إلا أن هذا الأمر لو عرض على بني أمية لقالوا غير علي عليه السلام،

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج ٤، ص ٦٤. الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ج ١، ص ٥٣. كتاب الأربعين للقمي الشيرازي: ص ٢٩٠. بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٣٠، ص ٤٠٢. النص والاجتهاد لسيد شرف الدين: ص ٥١٣. شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي النجفي: ج ٦، ص ٢١٩. قاموس الرجال للتستري: ج ٩، ص ٥٨٤.

(٢) خصائص أمير المؤمنين عليه السلام للنسائي: ص ١٥٠. المصنف لعبد الرزاق: ج ٥، ص٣٤٣، ح ٩٧٢١. تفسير مقاتل بن سليمان: ج ٣، ص ٣٥٤. الدر المنثور للسيوطي: ج ٦، ص ٧٨. الفصول المهمة لابن الجصاص: ج ٤، ص ٣٥. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ٣٨، ص ٣٢١. الفصول المهمة لابن الصباغ: ج ١، ص ٥٣.

وهذا يكشف كما قلنا عن تأثر حركة علم السيرة وتطوره في العصر الأموي ولاسيما في دور ابن شهاب فيه.

فقد روى الصنعاني في المصنف، قائلا: (أخبرنا معمر، قال: سألت عنه، ــ أي كتاب صلح الحديبية من الذي كتبه ــ؟. فضحك الزهري، وقال: هو علي بن أبي طالب، ولو سألت عنه هؤلاء، قالوا: عثمان، يعني بني أمية)[1].

فهذه الحادثة، كشفت عن عدة أمور ارتبطت بحركة علم السيرة النبوية وتطوره خلال العصر الأموي وهي كالآتي:

ألف ــ تدخل البلاط الأموي في رواية السيرة النبوية وكتابتها التي عرفت في بادئ الأمر بـ(المغازي والسير).

باء ــ بسبب هذه السياسة الأموية تم إخفاء كثير من الحوادث والمواقف والأدوار وتغييرها في حياة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وما ارتبط به من حياة الصحابة ولاسيما بني هاشم والأنصار.

جيم ــ تأثر ابن شهاب الزهري بهذه السياسة من حيث استجابته لإخفاء جوانب كثيرة من السيرة النبوية والتي انحصرت بدور بني هاشم في تكون فصول هذه السيرة، أي أننا لم نحصل اليوم على سيرة كاملة عن حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل إنها سيرة مخلوطة وتحتوي على كثير من الصور غير الحقيقية ــ والتي يطول شرحها ولاسيما حقيقة سرية الدعوة النبوية[2].

---

(١) المصنف لعبد الرزاق الصنعاني: ج٥، ص٣٤٣، ح٩٧٢٢. الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ج١، ص٥٣.

(٢) انظر كتاب (أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم لنبيل الحسني): حديث سرية الدعوةالنبوية بين حقيقة الواقع ووهم الرواة.

دال ــ إن هذا النهج الذي انتهجه ابن شهاب الزهري في التعامل مع السيرة النبوية؛ فجعلها بين المطرقة والسندان بين إرضاء بني أمية وعدم الاستجابة لهم، انعكس على شخصية ابن شهاب مما جعل البعض يصنفه في قائمة أعداء أهل البيت عليهم السلام، والبعض الآخر أعاب عليه مكوثه في البلاط الأموي، والآخر ركز على دوره العلمي في المدينة.

ثالثاً: علاقة الزهري بالإمام علي بن الحسين عليه السلام وأثر ذلك على حركة علم السيرة وتطوره

في حين أنني وجدت أن من الإنصاف لدور الزهري في حركة السيرة وعدم تنازله عن التنصر لأهل البيت عليهم السلام أن أورد ما كتبه سماحة آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره من ترجمة لهذه الشخصية.

فيقول قدس سره في المعجم ــ الذي انتهج فيه نهجاً خاصاً بحيث كان يأتي بأقوال علماء الرجال ثم يناقشها ــ فيقول قدس سره: «عدّوه، من أصحاب السجاد عليه السلام رجال الشيخ. وعدّ البرقي محمد بن شهاب، من أصحاب علي بن الحسين عليهما السلام. أقول: هو محمد بن مسلم الزهري الآتي، فإن شهاباً جد محمد بن مسلم، كما صرح به الصدوق ــ قدس سره ــ في طريقه إلى الزهري، حيث قال: وما كان فيه عن الزهري: فقد رويته عن أبي رضي الله عنه، عن سعد بن عبد الله، عن القاسم بن محمد الأصبهاني، عن سليمان بن داود المنقري، عن سفيان بن عينيه، عن الزهري، واسمه محمد بن مسلم بن شهاب، عن علي بن الحسين عليهما السلام.

قال ابن شهرآشوب: (وكان الزهري عاملا لبني أمية فعاقب رجلا، فمات الرجل في العقوبة، فخرج هائما وتوحش، ودخل إلى غار، فطال مقامه تسع سنين.

قال: وحج علي بن الحسين عليهما السلام فأتاه الزهري، فقال له علي بن الحسين عليهما السلام: إني أخاف عليك من قنوطك ما لا أخاف عليك من ذنبك، فابعث بدية مسلمة إلى أهله، واخرج إلى أهلك ومعالم دينك، فقال له: فرجت عني يا سيدي (الله أعلم حيث يجعل رسالته) ورجع إلى بيته ولزم علي بن الحسين، وكان يعد من أصحابه، ولذلك قال له بعض بني مروان: يا زهري ما فعل نبيك، يعني (علي بن الحسين) عليهما السلام[(١)].

أقول[(٢)]: الزهري وإن كان من علماء العامة، إلا أنه يظهر من هذه الرواية وغيرها، أنه كان يحب علي بن الحسين عليهما السلام ويعظمه.

وقد روى الصدوق بإسناده، عن عمران بن سليم، قال: كان الزهري إذا حدث عن علي بن الحسين عليهما السلام، قال: حدثني زين العابدين علي بن الحسين فقال له سفيان بن عينيه: ولم تقول له زين العابدين؟ قال: لأني سمعت سعيد بن المسيب يحدث عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال:

«إذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين زين العابدين، فكأني أنظر إلى ولدي علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام يخطو بين الصفوف»[(٣)].

وروى بإسناده، عن سفيان بن عينيه، قال: قيل للزهري: من أزهد الناس في الدنيا؟ قال: علي بن الحسين عليهما السلام[(٤)].

---

(١) المناقب: ج ٤، باب إمامة أبي محمد علي بن الحسين عليهما السلام، فصل في علمه وحلمه وتواضعه.

(٢) السيد الخوئي قدس سره.

(٣) العلل: ج ١، باب ١٤٥، العلة التي سمي علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، ح ١.

(٤) العلل: ج ١، باب ١٤٥، العلة التي سمي علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، ح ٣.

وعنه، قال: قلت للزهري: لقيت علي بن الحسين عليهما السلام؟ قال: نعم، لقيته وما لقيت أحدا أفضل منه[١].

وعنه قال: رأى الزهري علي بن الحسين عليهما السلام ليلة باردة مطيرة، وعلى ظهره دقيق وحطب، وهو يمشي، فقال له: يا بن رسول الله ما هذا؟ فقال عليه السلام:

«**أريد سفرا أعد له زادا أحمله إلى موضع حريض**».

فقال الزهري: وهذا غلامي يحمله عنك، فأبى، قال: أنا أحمله عنك فإني أرفعك عن حمله، فقال علي بن الحسين عليهما السلام:

«**لكني لا أرفع نفسي عما تنجيني في سفري**».

(إلى أن قال): قال له: يا بن رسول الله لست أدري لذلك السفر الذي ذكرته أثرا، قال:

«**بلى يا زهري، ليس ما ظننت، ولكنه الموت، وله كنت أستعد، إنما الاستعداد للموت تجنب الحرام، وبذل الندى والخير**»[٢].

وللزهري عدة روايات مذكورة في الكافي، والفقيه، والتهذيب.

وفيما ذكرنا يظهر أن نسبة العداوة إليه على ما ذكره الشيخ لم تثبت، بل الظاهر عدم صحتها، بقي هنا شيء، وهو أن ابن داود ذكر مسلم بن شهاب الزهري (١٥٢٩) من القسم الأول، قال: «أحد أئمة الحديث (بن ــ جخ) يكنى أبا بكر»، وما ذكره سهو جزما، فإن الزهري اسمه محمد بن مسلم بن شهاب على ما عرفت من الصدوق، وكذلك صرح به في بعض نسخ الكافي.

---

(١) العلل: ج ١، باب ١٤٥، العلة التي سمي علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، ح ٤.

(٢) العلل: ج ١، باب ١٤٥، العلة التي سمي علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، ح ٥.

فقد روى محمد بن يعقوب بإسناده، عن معمر بن راشد، عن الزهري محمد بن مسلم بن شهاب، قال: سئل علي بن الحسين عليهما السلام، أي الأعمال أفضل عند الله عز وجل؟[١]. وفيه محمد بن مسلم بن عبيد الله. روى عن علي بن الحسين عليهما السلام، وروى عنه معمر[٢]»[٣].

وبهذا يتضح لنا ما أخفاه ابن الزناد في قوله: «كنا نطوف مع الزهري على علماء ومعه الألواح والصحف يكتب كل ما سمع»[٤] ان سيد العلماء في زمان الزهري هو سليل النبوة الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام.

أقول[٥]: بقي هنا أن نذكر ما لابن شهاب الزهري من آثار علمية أسوة بأقرانه من رجال علم السيرة النبوية وقد جمعها سزكين[٦] فيما يلي:

ألف ـ (المغازي)

قال سزكين: «ذكره حاجي خليفة[٧]، وقال السخاوي: إن الزهري روى المغازي عن عروة[٨]، ويبدو أن البخاري قد أفاد من هذا الكتاب برواية موسى بن عقبة[٩].

---

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج ٢، باب ذم الدنيا والزهد فيها ٦١، ح ١١ ـ وباب حب الدنيا والحرص عليها ١٢٦، ح ٨.

(٢) التهذيب للطوسي: ج ٤، باب علامة أول شهر رمضان وآخره، ح ٤٦٣ ـ وباب فضل صيام يوم الشك، ح ٥١١. الاستبصار للطوسي: ج ٢، باب صوم يوم الشك، ح ٢٤٣.

(٣) معجم رجال الحديث للسيد الخوئي قدس سره: ج ١٧، ص ٩٠ ـ ٩٣.

(٤) تذكرة الحفاظ، الذهبي: ج١، ص١٠٨.

(٥) عبارة المؤلف.

(٦) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج ١، ج ٢، ص ٧٧ ـ ٧٩.

(٧) إستانبول: ص ١٧٤٧.

(٨) انظر: الإعلان بالتوبيخ: ص ٨٨. روزنتال: (Rosenthal, Histiry ٣٢٣).

(٩) صحيح البخاري: ج ٥، ص ٨٦. علم التاريخ للدوري: ص ٧٩.

وقد ذكر السخاوي (في المرجع السابق) كتاب (المغازي) رواية عن الحجاج بن أبي مَنِيع (المتوفى بعد سنة ٢١٦هـ/٨٣١م)[١].

وقد وصلت إلينا[٢] مقتبسات منه جمعها الدوري[٣]، وهناك إشارة إلى رواية الكتاب عن إسحاق بن إبراهيم تلميذ الزهري[٤].

وتوجد له مخطوطة في مجموعة، محفوظة بالظاهرية، مجموع ٩٢، ١٧٤أ»[٥].

باء ـ (نسب قريش)[٦]

ذكر قُرَّةُ بن عبد الرحمن ـ وهو أحد معاصري الزهري ـ أنه لم يؤلف إلا هذا الكتاب[٧].

ويبدو أن مصعب الزبيري قد اعتمد في كتابه: (نسب قريش) على كتاب الزهري[٨]، ولذا فنكاد نقول[٩] بأنه قد وصلتنا في هذا الكتاب مقتبسات كثيرة منه[١٠].

---

(١) الطبقات لابن سعد: ج٧، ص١٧٥، ط بيروت ـ لبنان. التاريخ الكبير للبخاري: ٣٨٠/٢/١.

(٢) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج ١، ج ٢، ص ٧٧ ـ ٧٩.

(٣) نشأة علم التاريخ: ص ٨٢ ـ ٩٢ و١٤٣ ـ ١٥١.

(٤) لسان الميزان لابن حجر: ج ١، ص ٣٤٧

(٥) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج ١، ج ٢، ص ٧٧ ـ ٧٩.

(٦) المصدر السابق.

(٧) فيشر: (Fischer, Biographien).

(٨) نسب قريش للزبيري: ص ٣.

(٩) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج ١، ج ٢، ص ٧٧ ـ ٧٩.

(١٠) الجمهرة لابن حزم: ص ٥. الإصابة: ج ١، ص ١٠٢١.

جيم ـ (أسنان الخلفاء)[١]

هو سجل زمني، احتفظ الطبري لنا في تاريخه بقطعتين منه[٢].

دال ـ (الناسخ والمنسوخ في القرآن)[٣]

هذبه الحسين بن محمد اللُّمي (المتوفى سنة ٤١٢هـ/١٠٢١م)[٤]، ويوجد مخطوطا في بايزيد ص ٤٤٥ (١٦ ورقة، القرن السابع الهجري[٥].

هاء ـ (أحاديث)[٦]

رواها أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن الحسن الجوهري (المتوفى سنة ٤٥٤هـ/١٠٦٢م)، ويوجد مخطوطا في ليبزج[٧]، ومنه مختارات في الظاهرية[٨].

واو ـ (تنزيل القرآن)[٩]

زاي ـ (مشاهد النبي)[١٠]

---

(١) تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين: مج١، ج٢، ص٧٨.

(٢) تاريخ الطبري: ج ٢، ص ٤٢٨.

(٣) تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين: مج١، ج٢، ص٧٨.

(٤) ترجمة الحسين بن محمد اللّمي في الجزء الخاص بالتصوف. تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج١، ج٢، ص٧٨.

(٥) تاريخ التراث العربي: مج١ ج ٢، ص ٧٧ ـ ٧٩. فهرس معهد المخطوطات ج ١، ص ٤٨. برنستون، مجموعة يهوذا: ج ٢، ص ٢٢٨.

(٦) تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين: مج١، ج٢، ص٧٨.

(٧) ليبزج: ج ٢، ص ٣٢٠، (من ٤١أ ـ ١٢٣ ب، ٤٥٤هـ).

(٨) المجموع: ج١٠، ص٨٣. الإصابة: ج١، ص١٦٦؛ ج٢، ص١٢١و٧٢٥و٨٢١؛ ج٣، ص١٥١.

(٩) تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين: مج١، ج٢، ص٧٨.

(١٠) المصدر السابق: ج٢، ص٧٩.

رواه يونس بن يزيد الأيلي (المتوفى سنة ١٥٩هـ/٧٧٥م)[١]، وذكره السخاوي في الإعلان بالتوبيخ[٢]، ويبدو أن الطبري قد احتفظ ببعض مقتبسات منه.

حاء ــ وله مقطوعة من أربعة أبيات ترجع إلى عبد الملك بن مروان، ذكرها المرزباني في معجم الشعراء[٣].

٦ ــ السَّبيعي[٤] (المتوفى سنة ١٢٧هـ/٧٤٥م)

احتج به أصحاب الصحاح الستة وأخرج له البخاري ومسلم في صحيحيهما وهو أحد أعلام الشيعة في الكوفة، وفيه قال المدايني: دار علم الثقات على ستة، اثنين في الحجاز واثنين بالكوفة واثنين بالبصرة. فأما اللذان بالحجاز فالزهري وعمرو بن دينار واللذان بالكوفة أبو إسحاق السبيعي والأعمش وأما اللذان في البصرة قتادة ويحيى بن أبي كثير[٥].

وعرفه ابن سعد فقال: «عمرو بن عبدالله بن علي بن أحمد بن ذي يحمد بن السبيع الهمداني، ولد أبو إسحاق السبيعي في سلطان عثمان لثلاث سنين بقين،

---

(١) التاريخ الكبير للبخاري: ٤/٢/٤٠٦.

(٢) الإعلان للسخاوي: ص ٨٨.

(٣) معجم الشعراء للمرزباني: ص ٤١٣.

(٤) أنظر ترجمته: تاريخ التراث العربي: ج٢، ص٧٩. وجاء فيه: الطبقات الكبرى لابن سعد (ليدن): ج ٦، ص١٢٣، ط بيروت ــ لبنان ١٧٨. المعارف لابن قتيبة: ص٢٢٩. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: ج٣، ص٢٤٢. تذكرة الحفاظ للذهبي: ص١١٤ ــ ١١٦. التهذيب لابن حجر: ج٨، ص٦٣ ــ ٦٧. تقريب التهذيب لابن حجر: ج ٢، ص ٧٣. الأعلام للزركلي: ج ٥، ص٢٥١.

(٥) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبدالبر: ج٢، ص١٦٨. تاريخ بغداد، البغدادي: ج٩، ص١١.

ومات وهو ابن مائة سنة، وقال أبو نعيم: بلغ أبو إسحاق ثمانياً أو تسعاً وتسعين سنة ومات سنة ثمان وعشرين ومائة سنة»[١].

وذكره ابن حجر في التقريب بقوله: «أبو إسحاق السبيعي بفتح المهملة وكسر الموحدة ثقة مكثر عابد من – الطبقة – الثالثة»[٢].

وعدّه الشيخ الطوسي من أصحاب أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام[٣].

وهو أحد رواة حديث الثقلين عن زيد بن أرقم[٤].

ترجم له العلامة السيد عبدالحسين شرف الدين رحمه الله بقوله:

«عمرو بن عبدالله، أبو إسحاق السبيعي الهمداني الكوفي الشيعي بنص كل من ابن قتيبة في معارفه والشهرستاني في كتاب الملل والنحل. وكان من رؤوس المحدثين الذين لا يحمد النواصب مذاهبهم في الفروع والأصول؛ إذ نسجوا فيه على منوال أهل البيت، وتعبدوا باتباعهم في كل ما يرجع إلى الدين، ولذا قال الجوزجاني ــ كما في ترجمة زبيد من الميزان ــ كان من أهل الكوفة قوم لا يحمد الناس مذاهبهم هم رؤوس محدثي الكوفة، مثل أبي إسحاق ومنصور، وزبيد اليامي، والأعمش، وغيرهم من أقرانهم، احتملهم الناس لصدق ألسنتهم في الحديث، وتوقفوا عندما أرسلوا.

قلت: ومما توقف النواصب فيه من مراسيل أبي إسحاق ما رواه عمرو بن إسماعيل الهمداني ــ كما ترجمته في الميزان ــ عن أبي إسحاق قال: قال رسول الله

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد: ج٦، ص٣١٣.

(٢) تقريب التهذيب، ابن حجر: ج١، ص٧٣٩.

(٣) رجال الطوسي: ص٩٦.

(٤) حديث الثقلين، نجم الدين العسكري: ص٦٧.

صلى الله عليه وآله وسلم: علي كشجرة أنا أصلها، وعلي فرعها والحسن والحسين ثمرها، والشيعة ورقها، وما قال المغيرة إنما أهلك أهل الكوفة أبو إسحاق، وأعمشكم. إلا لكونهما شيعيين مخلصين لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم حافظين ما جاء في السنة من خصائص عليهم السلام، وقد كانا من بحار العلم قوامين بأمر الله، احتج بكل منهما أصحاب الصحاح الستة وغيرهم، ودونك حديث أبي إسحاق في كل من الصحيحين عن البراء بن عازب، ويزيد بن أرقم، وحارثة بن وهب وسليمان بن صرد، والنعمان بن بشير، وعبدالله بن يزيد الخطمي، ـ وغيرهم ـ.

روى عنه في الصحيحين كل من شعبة، والثوري، وزهير، وحفيده يوسف ابن إسحاق بن أبي إسحاق»[١].

وترجم له سزكين بقوله: «سمع من ثمان[٢] وثلاثين صحابياً، وكان مشهورا بمعرفة المغازي[٣].

آثاره[٤]:

يتضح من القطع التي وردت عنه عند الطبري[٥] أنه استخدم كتبه في المغازي والفتوح استخداما مباشرا، ويبدو أن الواقدي كذلك أخذ عنه نصوصا كثيرة[٦].

---

(١) المراجعات، السيد شرف الدين: ص١٦٠.

(٢) وردت هكذا في المصدر، والصحيح ثمانية وثلاثين صحابيّاً.

(٣) فتوح مصر للواقدي: سراي أحمد الثالث سنة ١٣٨٩، ٩ ب).

(٤) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج ١، ج ٢، ص ٧٩.

(٥) فهرس تاريخ الطبري: ص ٣٢.

(٦) تاريخ التراث: ج٢، ص٧٩، نقلاً عن المعارف لابن قتيبة: ص٩١ و١٠٦.

٧ـ يعقوب بن عُتبَة[(١)] (المتوفى سنة ١٢٨هـ/٧٤٥م)

ترجم له ابن حجر:

«هو يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شريف الثقفي المدني، رأى السائب بن يزيد؛ روى عن عمر بن عبدالعزيز وسليمان بن يسار وأبان بن عثمان، وأبي غطفان بن طريف المري وغيرهم؛ وروى عنه ابنه محمد والحسن بن الحر ومحمد بن إسحاق وغيرهم.

وقال ابن سعد: كان ثقة له أحاديث كثيرة ورواية وعلم بالسيرة وغير ذلك»[(٢)].

وتتبع سزكين آثاره[(٣)] فقال:

يتضح لنا من القطع التي وصلت إلينا عنه عند الطبري[(٤)] أن كتابه في (السيرة) لم يكن يتضمن (المغازي) ويبدو كذلك أنه لم يكن يذكر رواة أخباره إلا نادرا، وقد أخذ الطبري مقتبساته عن يعقوب عن طريق ابن إسحاق ـــ وهناك قطعتان ذكرهما الطبري في تاريخه يبدو أنهما مأخوذتان عن كتاب للواقدي[(٥)].

---

(١) أنظر ترجمته: التهذيب لابن حجر: ج١١، ص٣٩٢. تقريب التهذيب لابن حجر: ج٢، ص٣٧٦. الجرح والتعديل، الرازي: ج٩، ص٢١١. الثقات لابن حبان: ج٧، ص٦٣٩.

(٢) تهذيب التهذيب، ابن حجر: ج١١، ص٣٤٤.

(٣) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج ١، ج ٢، ص ٨٠.

(٤) فهرس تاريخ الطبري: ص ٦٤٦.

(٥) تاريخ التراث، سزكين: ج٢، ص٨٠.

٨ـ عبد الله بن أبي بكر[1] (المتوفى سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م)

هو عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم بن زيد الأنصاري المدني، ولد سنة ٥٦ أو ٦٠هـ/٦٧٩م في المدينة.

عده الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام علي بن الحسين عليه السلام[2] وذكر ابن حجر انه من رواة حديث الإمام محمد الباقر عليه السلام[3].

وترجم له قائلاً: «روى عن أبيه وحميد بن نافع، وعبدالملك بن أبي بكر بن عبدالرحمن ـ والإمام ـ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ وعروة بن الزبير وغيرهم. وروى عنه الزهري وابن أخيه عبدالملك بن محمد وقد وثقه ابن معين، وأبو حاتم، والنسائي؛ وقال ابن سعد: كان كثير الحديث، ثقة، عالماً»[4].

وترجم له سزكين: «كان أبوه مؤرخا ومحدثا وفقيها، وروى كذلك عن الصحابي أنس بن مالك وغيره.

وروى عنه مالك وابن جُرَيْج وهشام بن عُروة وغيرهم، وكان عبد الله مؤرخا ومحدثا مثل أبيه، ولكنه ظل في منطقة الظل أثناء حياة أبيه فقد طغت شخصيته الممتازة عليه، وأخذ؛ من القطع التي وصلت إلينا؛ عند ابن إسحاق والواقدي وابن سعد والطبري وغيرهم ما لاحظه هوروفتس أن عبد الله مؤلف

---

(١) أنظر ترجمته: الطبقات لابن سعد: ج ٧، ص ٦٨. التاريخ الكبير للبخاري: ٥٤/١/٣. التهذيب لابن حجر: ج ٥، ص ١٦٤ – ١٦٥. رجال الطوسي: ص٩٦ و٢٢٤ وفيها أسند عنه. تنقيح المقال: ج٢، ص٦٢. معجم رجال الحديث، السيد الخوئي: ج١١، ص٩١.

(٢) رجال الطوسي: ص٢٣٠، برقم٣١٢١. معجم رجال الحديث، السيد الخوئي: ج١١،ص٩١.

(٣) تهذيب التهذيب، ابن حجر: ج٥، ص١٤٤.

(٤) المصدر السابق.

كتاب (المغازي) الذي رواه فيما يبدو ابن أخيه عبد الملك بن محمد القاضي (المتوفى ١٧٦هـ/٧٩٢م)، وقد ألف هذا ـ بدوره ـ في (المغازي) كذلك[١].

وروى عبد الله كذلك بعض كتب الرسول إلى معاصريه، ومنها كتبه إلى ملوك حِمْيَر»[٢].

٩ ـ يزيد بن رُومَان[٣] (المتوفى سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م)

ترجم له سزكين: «هو يزيد بن رومان الأسدي المدني، أبو رَوْح، مولى آل الزبير بن العوام، عاصر متأخري التابعين ولكنه لم يرو عن الصحابة، كان محدثا ومؤلفا في المغازي، وكان يعتمد في المقام الأول على عروة والزهري، وروى عنه محمد بن إسحاق، ومالك بن أنس وهشام بن عروة وغيرهم.

ويبدو أن كتابه في المغازي قد وصل إلى الواقدي في معظمه برواية محمد بن صالح بن دينار (المتوفى سنة ١٦٨هـ/٧٨٤م)، وكان أيضا مؤلف كتاب في المغازي[٤]، وبذلك وصل إلينا في الطبقات لابن سعد، وتوفي سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م.

آثاره[٥]: هناك مقتبسات منه عند الطبري أخذها عن ابن سعد والواقدي وابن إسحاق»[٦].

---

(١) الفهرست لابن النديم: ص ٢٢٦.

(٢) تاريخ التراث، سزكين: ج٢، ص٨٠.

(٣) أنظر ترجمته: الرجال للقيسراني: ص ٥٧٣. غاية النهاية لابن الجزري: ج ٢، ص ٣٨١. تاريخ الإسلام للذهبي: ج ٥، ص ١٨. التهذيب لابن حجر: ج١١، ص ٣٢٥. الأعلام للزركلي: ج ٩، ص ٢٣٤.

(٤) التهذيب لابن حجر: ج ٩، ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

(٥) تاريخ التراث العربي: مج ١، ج ٢، ص ٨١.

(٦) المصدر السابق.

١٠ ــ أبو الأسود[1] (المتوفى سنة ١٣١هـ/٧٤٨م)

ترجم له ابن حجر: «هو أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل بن الأسود بن نوفل بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى الأسدي، يتيم عروة بن الزبير، لأن أباه كان أوصى إليه، روى عن عروة وعلي بن الحسين ــ عليه السلام ــ وسليمان بن يسار، روى عنه الزهري وهو من أقرانه وابن إسحاق، ومالك، وثقه النسائي وأبو حاتم وابن حبان، ومات في آخر سلطان بني أمية سنة إحدى وثلاثين ومائة»[2].

وترجم له سزكين قائلاً: «كان تابعيا في عمر الزهري، ويبدو أنه لم يرو عن صحابي قط، وكان عروة في مقدمة شيوخه، روى عنه الزهري وعبيد الله بن أبي جعفر ــ مؤرخ مصر ــ وعبد الله ابن لهيعة وشعبة والليث وغيرهم، تعد مروياته موضع ثقة، أما كتابه في (المغازي) فيمكن بحثه بحثا دقيقا اعتمادا على ما وصل إلينا من اقتباسات في الإصابة لابن حجر، وهو يقوم في معظمه على عروة.

آثاره[3]: توجد مقتبسات من كتابه في (المغازي) ذكرها البلاذري في: أنساب الأشراف[4] والطبري[5].

وربما كان هذا الكتاب برواية مصعب بن ثابت، ونديّن لابن حجر بما حفظ لنا من هذا الكتاب في كتابه الإصابة[6].

(١) أنظر ترجمته: التقدمة لابن أبي حاتم: ص ١٢٠. التهذيب لابن حجر: ج ٩، ص ٣٠٧ ــ ٣٠٨. التاريخ الكبير، البخاري: ج١، ص١٤٥. الطبقات الكبرى، ابن سعد: ج٤، ص١٢٠.

(٢) تهذيب التهذيب، ابن حجر: ج٩، ص٢٧٣.

(٣) تاريخ التراث العربي: مج ١، ج ٢، ص ٨٢.

(٤) أنساب الأشراف ج ١، ص ١١٢ و٣٥١.

(٥) تاريخ الطبري: ج ١، ص ١١٦٧ و١١٩٦ و١٢٦٤.

(٦) تاريخ التراث العربي: ج٢، ص٨٣ وجاء في: الإصابة: ج ١، ص٣٢٣ و٤٠٥ و٤٣٢ و٤٤٨ ←

١١ ـ داود بن الحسين[1] (المتوفى سنة ١٣٥هـ/٧٥٢م)

ترجم له سزكين: «هو أبو سليمان داود بن الحسين الأموي، كان تلميذ عِكْرِمَة ونافع وغيرهما وهو شيخ مالك وابن إسحاق، وكان مثل أستاذه عكرمة يميل إلى الخوارج. ضعف بعض المحدثين رواياته، واعتبرها بعضهم جديرة بالثقة. ويبدو أنه قصر اهتمامه على تدوين حياة الرسول وصحابته.

آثاره[2]:

أفاد عبد الله بن محمد بن عُمارة الأنصاري (المتوفى حوالي سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م) من كتاب لأبي سليمان بخطه[3]، والمرجّح أن الواقدي أخذ هذا الكتاب برواية إبراهيم بن أبي حبيبة[4].

أما المقتبسات التي وصلت إلينا منه عند الطبري[5] فيبدو أنها أخذت عن طريق مؤلفات ابن إسحاق والواقدي»[6].

و٤٥٩ و٤٧١ و٥٦٤ و٥٦٧ و٥٧٤ و٥٩٥ و٥٩٦و٥٩٧ و٦٠٨ و٦٠٩ و٦٥٩ و١٠١٣ و١٠١٥ و١٠٣٠ و١٠٥٧ و١٠٦١ و١٠٦٢ - ج٢، ص١٣٤ و١٤٣ و١٨٧ و١٨٩ و٢٠٠ و٢٤٥ و٢٨٣ و٦٣٥ و٧٣٠ و٧٩٧ و٨٥٧ و٨٥٩ و١٠٩٠ و١١٣٨ و١١٤٧ و١٢٨٢- ج٣، ص٧١ و٥٠٢ و٥٨٣ و٦٠٥ و٧٨٧ و٧٩٥ و١١٧٠ و١١٧٤ و١٢٣٣ و١٢٤٥ و١٣٠٨. الطبقات الكبرى لابن سعد: ج١، ص٢١٣ و٢١٥ - ج٣، ص١٣٦ و١٦٤.

(١) أنظر ترجمته: المعارف لابن قتيبة: ص ٢٣٢. علل الحديث لابن أبي حاتم: ج ١، ص ٣٨٠. الرجال للقيسراني: ج ١، ص ١٢٩. التهذيب لابن حجر: ج ٣، ص ١٨١ ــ ١٨٢.

(٢) تاريخ التراث العربي: مج ١، ج ٢، ص ٨٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) فهرس تاريخ الطبري: ص ١٧٦.

(٦) تاريخ التراث: مج١، ج٢، ص٨٣.

١٢ ـ موسى بن عُقبة[١] (المتوفى سنة ١٤١هـ/٧٥٨م)

ترجم له ابن حجر قائلاً: «هو موسى بن عُقْبة بن أبي عَيّاش الأسدي مولى آل الزبير ويقال مولى أم خالد بنت سعيد بن العاص زوج الزبير، روى عن أم خالد ولها صحبة وجده لأمه، وحمزة وسالم ابني عبدالله بن عمر وغيرهم. وقال ابن سعد: كان ثقة ثبتاً كثير الحديث.

وقال مالك: عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنه ثقة»[٢]. وعدّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام[٣]. وذكر الياس سركيس أن أحاديث منتخبة من مغازي موسى بن عقبة طبعت في أوربا سنة ١٩٠٤»[٤].

وترجم له سزكين قائلاً: «لا تعرف سنة ميلاده، إلا أنه التقى وهو غلام سنة ٦٨هـ/٦٨٧م، بعبد الله بن عمر في طريقه حاجا إلى مكة[٥].

وعلى ذلك فإنه على أبعد تقدير ولد سنة ٥٥هـ[٦]، وهو من تلاميذ الزهري وعاش في المدينة، وكانت له في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حلقة درس.

---

(١) أنظر ترجمته: رجال الطوسي: ص٣٠٠. قاموس الرجال، التستري: ج١٠، ص٢٨٨. الثقات، ابن حبان: ج٥، ص٤٠٤. معجم المؤلفين، عمر كحالة: ج١٣، ص٤٣. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: ١٥٥/٢/٤. تذكرة الحفاظ للذهبي: ١٤٨. علم التاريخ للدوري: ص٢٧. الأعلام للزركلي: ج ٨، ص ٢٧٦. معجم المؤلفين لكحالة: ج ١٣، ص٤٣. تاريخ التراث العربي، سزكين: ج٢، ص٨٤ ـ ٨٦.

(٢) تهذيب التهذيب، ابن حجر: ج١٠، ص٣٢١.

(٣) رجال الطوسي: ص٣٠٠.

(٤) معجم المطبوعات العربية، سركيس: ج٢، ص١٨١٦.

(٥) التهذيب لابن حجر: ج ١٠، ص ٣٦٢. تاريخ الطبري: ج ٢، ص ٧٨٢.

(٦) تاريخ التراث العربي: مج١، ج٢، ص٨٤. نقلا عن هوروفتس (Horovitz, Isl. Cult. ٢،١٩٢٨/١٦٤-١٦٥).

وكان جل اهتمامه ـ مؤرخا ـ مُتّجها إلى مغازي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والخلفاء وسيرة أبي بكر وعمر وعثمان والإمام علي عليه السلام، وقد دون كذلك أسماء المهاجرين إلى الحبشة وأسماء المشتركين في بيعتي العقبة، ويبدو من بعض مواضع أنه ذكر الأمويين[١].

وكان يعرض مادته التاريخية وفق السنين، وهو منهج يبدو أنه كان قد استخدم قبل ذلك عند عدد من أسلافه، منهم: عبد الله بن أبي بكر بن حزم (المتوفى سنة ١٢٠هـ/٧٣٧م)[٢].

وقلما كان موسى بن عقبة يستشهد في تاريخه بالشعر[٣].

آثاره[٤]:

(كتاب المغازي)

قرظه الإمام مالك كثيرا[٥]، وقد اعتمد موسى اعتمادا أساساً على الزهري، غير أن موسى لم يكن قد تلقى فيما يبدو إجازة برواية (مغازي) الزهري، فإنه كان يأخذ عنه مقدما لذلك بعبارة: قال ابن شهاب أو (زعم ابن شهاب) وذكره مرة واحدة بعبارة: (حدّثني الزهري) مشيرا بذلك إلى اقتباس ـ أغلب الظن أنه ـ ليس من كتابه (المغازي) بل هو من كتاب آخر في (المغازي) رواه الزهري[٦].

---

(١) الطبقات لابن سعد: ج ٥، ص ٢٨٣.

(٢) تاريخ التراث العربي: مج١، ج٢، ص٨٤. نقلا عن هوروفتس (Horovitz, Isl. Cult. ٢/١٩٢٨ ٢٧-٢٨, ١٦٧).

(٣) الطبقات لابن سعد: ج ٣، ص ٢٤١.

(٤) تاريخ التراث العربي: مج ١، ج ٢، ص ٨٥.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

وقد استخدم كذلك كتب عبد الله بن عباس التي كان كُرَيْب مولى ابن عباس قد أودعها لديه، وكانت حمل بعير[(١)].

وقد روى كتابه في (المغازي) ابن أخيه إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة (المتوفى سنة ١٥٨هـ/٧٧٤م)[(٢)]، وقد استخدم ياقوت نسخة منه بخط أبي نعيم الاصفهاني[(٣)].

ويبدو أن أصل الكتاب قد ضاع ولم تبق منه نسخ، وهناك قطعة من نص منه هذبه يوسف بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة (المتوفى ٧٨٩هـ/١٣٨٧م) في برلين ١٥٥٤ (الأوراق ٧٤ـ٧٧، سنة ٧٨٢)، وقد حقق ساخاو هذه القطعة وترجمها إلى الألمانية[(٤)].

وكتب شاخت عن أهمية هذه القطعة[(٥)].

واختصره يوسف بن عبد الله بن عبد البر النَّمَرِي (المتوفى سنة ٤٦٣هـ/١٠٧١م)[(٦)]، بعنوان (كتاب الدُرر في /اختصار المغازي والسير)، وقد وصَلت إلينا قطعة منه في (أمالي ابن معروف) محمد بن عُبَيْد الله بن أحمد (المتوفى سنة ٣٩٠هـ/٩٩٩م)[(٧)].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الطبقات لابن سعد: ج ٥، ص ٢٨٣. القطعة الباقية في برلين.

(٣) معجم البلدان: ج ٤، ص ١٠٠٨ ـ ج ٣، ص ٨٧٢.

(٤) تاريخ التراث العربي: مج١، ج٢، ص٨٥، نقلاً عن: (Sachacht, in SBBA ١١/١٩٠٤/٤٤٥-٤٧٠).

(٥) المصدر السابق نقلاً عن:

(J. Schach, On Musa b. Oqba's K. al-M.in: Acta Or (Kopenhagen) ٢١/١٩٥٣/٢٨٨-٣٠٠).

وانظر كذلك: (Oriens ٧ /١٩٥٤/١٥٤).

(٦) بروكلمان: ج ١، ص ٣٦٨.

(٧) الوافي بالوفيات للصفدي: ج ٤، ص ٦ ـ ٧.

ويوجد مخطوطا في الظاهرية، حديث ٣٨٧ (من ٣١ ب ــ ٣٢أ، في القرن السابع الهجري). وقد استخدم ابن حجر نسخا مختلفة متباينة من كتاب المغازي[١]، واحتفظ لنا بقطع تمثل قسما كبيرا منه فوق هذا، فهناك مقتبسات عديدة منه في: (عيون الأثر) لابن سيد الناس الذي أفاد من (مغازي) ابن عقبة، برواية محمد بن فُلَيْح (المتوفى سنة ١٩٧هـ/٨٨٢م»[٢].

١٣ ـ سليمان بن طرخان التيمي[٣] (المتوفى سنة ١٤٣هـ/٧٦٠م)

أبو المعتمر (سليمان بن طَرْخَان التَّيْمي) القيسي البصري من أعلام مدرسة أهل البيت عليهم السلام وقد نص على تشيعه ابن قتيبة[٤] وقال ابن سعد: وكان سليمان مائلا إلى علي بن أبي طالب عليه السلام[٥]، وعده الطوسي من أصحاب الإمام الحسن عليه السلام[٦].

ترجم له الذهبي بقوله: سليمان بن طرخان الإمام شيخ الإسلام، أبو المعتمر التيمي البصري[٧].

---

(١) الإصابة : ج ٣، ص ١٣٤٩.

(٢) تاريخ التراث العربي: ج٢، ص٨٤ ـ ٨٦.

(٣) أنظر ترجمته في: الطبقات لابن سعد: ج ٧، ص ٢٥٢ ــ ٢٥٣، ط بيروت ــ لبنان. تاريخ الكبير للبخاري: ٢٢/١/٢ ـ ٢٣. المعارف لابن قتيبة: ص ٢٤٠. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: ١٢٤/١/٢ ـ ١٢٥. التهذيب لابن حجر: ج ٤، ص ٢٠١، ٢٠٣. الإعلان بالتوبيخ للسخاوي: ص ٨٨.

(٤) المعارف: ص ٦٢٤. تاريخ التراث العربي: ج٢، ص٨٣.

(٥) الطبقات لابن سعد: ج ١، ص ٢٥٢.

(٦) رجال الطوسي: من ٤٠ الرقم ٢٥٥ و٢ص ٦٦ الرقم ٥٩٧.

(٧) سير أعلام النبلاء: ج ٦، ص ١٩٥، برقم ٩٢.

وقال أحمد بن حنبل: هو ثقة[١].

وقال البخاري: وكان عندنا من أهل الحديث[٢].

وقال ابن سعد: وكان ثقة، كثير الحديث، وكان من العباد المجتهدين[٣]، وقد أخرج له أصحاب الصحاح الستة أحاديث كثيرة.

وروى عن الإمام الحسن بن علي عليهما السلام[٤]، وأنس بن مالك وعدد من قدامى التابعين مثل الحسن البصري، وكان بصفة عامة موضع ثناء لدقة مروياته، وتوفي بالبصرة سنة ١٤٣هـ/٧٦٠م.

وقد تتبع سزكين آثاره، فكان من أهمها (كتاب المغازي)[٥].

وقد حصل الخطيب البغدادي في دمشق على إجازة بروايته[٦].

ويبدو أن الطبري قد أفاد منه بالرواية التالية: (حدّثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدّثنا معتمِر بن سليمان التّيمي، قال: حدثنا أبي)[٧].

وهناك قطعتان مهمتان منه في تاريخ الطبري[٨]. وهناك مقتبسات منه في صحيح البخاري وخصوصا في المجلد الخامس (القسم الخاص بالمغازي).

(١) الجرح والتعديل للرازي: ج ٤، ص ١٢٥، برقم ٥٣٩.

(٢) التاريخ الكبير للبخاري: ج ٤، ص ٢٠.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج ٧، ص ٢٥٢.

(٤) التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ج ١، ص١٧٧.

(٥) تاريخ التراث العربي: مج ١، ج ٢، ص ٨٣ ـ ٨٤.

(٦) مشيخة للخطيب البغدادي، في الظاهرية: مجموع ١٨ و١٢٦ ب).

(٧) فهرس تاريخ الطبري: ص ٢٥٠ و٥٦٠ عن ابنه معتمر.

(٨) تاريخ الطبري: ج ١، ص ٢٩٦٣ ـ ٢٩٦٥ و٣٠٠٦ ـ ٣٠٠٧.

١٤ ـ مَعْمَر بن رَاشِد[1] (المتوفى سنة ١٥٤هـ/٧٧٠م)

عدّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام[2] وهو أحد رواة حديث الغدير في القرن الثاني للهجرة[3]. واحد أصول كتاب سليم بن قيس الهلالي[4]. ترجم له ابن سعد فقال: «يكنى أبا عروة مولى للأزد وراشد، كان من أهل البصرة، فأنتقل فنزل اليمن وكان معمر رجلا له حلم ومروءة ونبل في نفسه»[5]. وترجم له العلجي بقوله: «ثقة رجل صالح، يروي عنه ابن المبارك، سكن صنعاء وتزوج بها، رحل إليه سفيان الثوري وسمع منه هناك»[6].

وترجم له الذهبي في التذكرة، قائلاً: «أحد الأعلام وعالم اليمن حدث عن الزهري وقتادة وعمرو بن دينار وغيرهم، وقال يحيى بن معين هو من أثبت الناس

---

(١) أنظر ترجمته: رجال الطوسي: ص٣٠٧. معجم رجال الحديث للسيد الخوئي قدس سره: ج١٩، ص٢٨٨. الطبقات لابن سعد (ليدن): ج ٥، ص ٣٩٧، ط بيروت ـ لبنان، ج ٥، ص٥٤٦. التاريخ الكبير للبخاري: ٣٧٨/١/٤ ـ ٣٧٩. المعارف لابن قتيبة: ص ٢٥٣. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: ٢٥٥/١/٤ ـ ٢٥٧. فقهاء اليمن للجعدي: ص ٦٦. التهذيب للنووي: ج ٢، ص ١٠٧. تذكرة الحفاظ للذهبي: ج ١، ص ١٧٨. ميزان الاعتدال للذهبي: ج ٣، ص ١٨٨. عمدة القاري للعيني: ج ١، ص ٨١. الإعلان بالتوبيخ للسخاوي: ص١٤٠. الأعلام للزركلي: ج ٨، ص ١٩٠. معجم المؤلفين لكحالة: ج ١٢، ص ٣٠٩. معرفة الثقات، العجلي: ج٢، ص٢٩٠. مشاهير علماء الأمصار، ابن حبان: ص٣٠٥.

(٢) رجال الطوسي: ص٣٠٧.

(٣) الغدير، الشيخ عبدالحسين الأميني قدس سره: ج١، ص٧٥. كتاب الولاية، ابن عقدة: ص١٩٨.

(٤) الذريعة، الطهراني: ج٤، ص٢٥١. كتاب الولاية، ابن عقدة: ص١٩٨.

(٥) الطبقات الكبرى، ابن سعد: ج٥، ص٥٤٦.

(٦) معرفة الثقات، العجلي: ج٢، ص٢٩٠.

في الزهري وقال عبدالرزاق ــ بن همام بن نافع، وهو أحد الحفاظ والمصنفين المشهورين ومن أعلام الشيعة وثقة أئمة الحديث عند أبناء العامة ــ قال: كتبت عن معمر بن راشد عشرة آلاف حديث»[1].

وقال أبو طالب المكي: «سمع في شبابه قتادة بن دعامة (المتوفى ١١٨هـ/٧٣٦م) والزهري وهمّام بن منبّه، ثم رحل بعد ذلك إلى صنعاء، وزار البصرة عدة مرات وتوفي سنة ١٥٤هـ/٧٧٠م في صنعاء، وكان معمر مؤرخا ومحدثا مرموق المكانة، كما كان مفسرا، وأكثر مروياته في كل هذه المجالات ترجع عن الزهري، وألف كتابا في (المغازي)، ولم يرتب مادته ترتيبا زمنيا كما فعل معاصره موسى بن عقبة، بل رتبها ترتيبا موضوعيا على نحو ما فعله في علم الحديث.

ويعتبر من أوائل المحدثين الذين رتبوا الأحاديث في أبواب»[2].

قال سزكين: «وكان عبد الرزاق بن همام (المتوفى ٢١١هـ/٨٢٦م) راوية معظم كتبه، ولم يكتف بروايتها بل أضاف إليها بعض التعليقات، وهكذا ظهر اسمه مؤلفا ثانيا مشتركا فيما رواه».

وكتب عنه هوروفتس: (J. Horovitz, Islam Cult. ٢/١٩٢٨/١٦٧–١٦٩).

وكتب عنه روزنتال في كتابه عن المؤرخين العرب: (F. Rosenthal, History ٤٨٣).

كتبت نبيهة عبود عنه في دراسات عن البرديات العربية:

(Nabia Abbott, Studies in Arabic Lit. Pap., S. ٧٦).

وكتب عنه فؤاد سزكين في كتابه عن مصادر البخاري:

(F. Sezgin, Buh. Kayn. ٤١–١٣٢, ٤٣–٢٧٢, ٢٤٨, ٢٣٥, ١٣٤).

---

(١) تذكرة الحفاظ، الذهبي: ج١، ص١٩٠. سير أعلام النبلاء، الذهبي: ج٧، ص١٢.

(٢) قوت القلوب لأبي طالب المكي القاهرة، سنة ١٣١٠: ج ١، ص ١٥٩.

وفي دراسته لمصنفات الحديث وبدايتها ومعمر بن راشد وكتاب الجامع:
F.Sezgin. Hadis musannafatinin mebdei ve Ma mecb-Rasid, in)
Gami'i, in: Turkiyat ١٢. ١٩٥٥/٢١٥–٢٣٤)[١].

آثاره[٢]:

ألف ـ (كتاب المغازي)

يبدو أن معمرا لم يخصص هذا الكتاب للمغازي وحدها، بل تناول أيضا سير الأنبياء الآخرين، ويبدو أن الطبري نقل مادة هذا الكتاب[٣].

وقد وصلت إلينا قطعة من هذا الكتاب مكتوبة على جلد قديم جدا، محفوظ في معهد الدراسات الشرقية بشيكاغو، ونشرها نبيهة عبود[٤].

باء ـ (الجامع)

هو كتاب في الحديث مرتب وفق الموضوعات، غير مبوب على أبواب الفقه الأساسية ولكنه يتناول قضايا في السنة ذات أهمية ثانوية، وقد روى هذا الكتاب تلميذه عبد الرزّاق، فأضاف إليه أحاديث أخرى، وجعل الكتاب ملحقا بكتابه (المصنف)، ويوجد مخطوطا في: صائب بأنقرة ٢١٦٤ (٧٩ ورقة، سنة ٣٦٤هـ، وبه ١٥ ورقة ناقصة) فيض الله ٥٤١ (من ١٩٢أ ـ ٢١٣أ، سنة ٦٠٦هـ)[٥]، فيض الله ١٢/٥٠٧ (١١٢أ ـ ١٢١ ب القرن التاسع الهجري، قسم واحد فقط)،

---

(١) تاريخ التراث العربي لسزكين: مج ١، ج ٢، ص ٩٣، نقلا عن هوروفتس (Horovitz, Isl. ٢/١٩٢٨/١٦٨–١٦٩).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) تاريخ التراث العربي، نقلاً عن: (Turkiyat eb S. ١٢٨–١٣٤).

الظاهرية، حديث ٣٦٧ (١٧ ورقة، قبل ٥٥٨هـ)[١].

جيم ـ (تفسير)

وصل إلينا بتهذيب عبد الرزاق[٢].

١٥ ـ الحُنيفِي[٣] (المتوفى سنة ١٦٢هـ/٧٧٨م)

من خواص أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ومن فضلاء محدثي الإمامية[٤].

ترجم له ابن حجر، قائلاً:

«هو أبو محمد عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الله بن عثمان بن حنيف الأنصاري الأوسي المدني ويقال له الإمامي، روى عن الزهري وعبدالله بن أبي بكر بن محمد، وعنه فليح بن سليمان وخالد بن مخلد والواقدي وغيرهم وثقه ابن شبة وذكره ابن حبان في الثقات.

وروى له مسلم حديثاً واحداً في النكاح، وقال ابن سعد: كان كثير الحديث وكان عالماً بالسيرة وغيرها»[٥].

---

(١) فهرست معهد المخطوطات العربية: ج ١، ص ٧٢. الكناني بالرباط ٣٣٢ (ص ٣٥٦ ـ ٦٠٩، نسخة حديثة). ومنه مقتبسات في الإصابة: ج ٤، ص ٣١١ و٦٠٣.

(٢) تاريخ التراث العربي، سزكين: ج٢، ص٩٣.

(٣) أنظر ترجمته: الفائق في رواة وأصحاب الإمام الصادق عليه السلام، الشبستري: ج٢، ص٢١٦. التاريخ الكبير للبخاري: ٣١٨/١/٣ ـ ٣١٩. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: ٢٦٠/٢/٢. الإكمال لابن ماكولا: ج ٣، ص ٣. التهذيب لابن حجر: ج ٦، ص ٢٢٠. تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج ١، ج ٢، ص ٩٢ ـ ٩٣. مستدركات علم الرجال، علي النمازي: ج٤، ص٤٠٤. نقد الرجال، التفرشي: ج٣، ص٥١.

(٤) الفائق في رواة وأصحاب الإمام الصادق عليه السلام، الشبستري: ج٢، ص٢١٦.

(٥) تهذيب التهذيب، ابن حجر: ج٦، ص١٩٩.

عدّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام[(١)].

ترجم له سزكين، قائلاً:

«أصله من المدينة ولد حوالي سنة ٩٠هـ/٧٠٨م، وروى عن الزهري وعبد الله بن أبي بكر بن حزم وغيرهما، وروى عنه الواقدي وسعيد بن أبي مريم وغيرهما، وكان في عصره عالما بالسيرة مشهورا بها»[(٢)].

وتوفي سنة ١٦٢هـ/٧٧٨م.

آثاره: يعد كتابه (السيرة) أحد المصادر الأساسية لكتاب الواقدي وهناك مقتبسات منه في تاريخ الطبري[(٣)]»[(٤)].

١٦ ــ أبو مَعشَر السَّندِي[(٥)]

عدّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام[(٦)].

وذكر له السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره كتاب الحرة وهو من تصنيفه[(٧)].

---

(١) رجال الطوسي: ص٢٢٩.

(٢) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج ١، ج ٢، ص ٩٣ ـ ٩٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) فهرس تاريخ الطبري: ص ٣٤٩.

(٥) أنظر ترجمته: المعارف لابن قتيبة: ص ٢٥٣. التاريخ لليعقوبي: ج ٢، ص ٥٢٣. الفهرست لابن النديم: ص ٩٣. تاريخ بغداد للخطيب: ج ١٣، ص ٤٥٧ ـ ٤٦٢. الأنساب للسمعاني: ص ٣١٣. معجم البلدان لياقوت: ج ٣، ص ١٦٦. المشترك لفظا لياقوت: ص ٢٥٦. التهذيب لابن حجر: ج١٠، ص ٤١٩ ــ ٤٢٢. الأعلام للزركلي: ج ٨، ص ٣٢٨. بروكلمان ملحق: ج ١، ص ٢٠٧.

(٦) رجال الطوسي: ص٣١٦.

(٧) معجم رجال الحديث، السيد الخوئي قدس سره: ج٢٠، ص١٤١.

وترجم له سزكين: (كتب فستنفلد عنه في كتابه عن المؤرخين العرب: (Wustenfeld, Geschichts. ٣٣).

كتب هوروفتس عنه في مجلة الحضارة الإسلامية:

(Horovitz, Isl. Cult. ٢/١٩٢٨/٤٩٥-٤٩٨).

كتب روزنتال عنه في دائرة المعارف الإسلامية ــ الطبعة الإنجليزية الثانية: (Rosenthal, El, ١/١٤٠)[١].

آثاره[٢]:

ألف ـ (كتاب المغازي)

حصل الخطيب البغدادي في دمشق على إجازة روايته[٣].

وقد وصل إلينا قسم من هذا الكتاب الواقدي المعنون بنفس الاسم وكذلك في كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد، وإلى حدّ ما عند الطبري.

باء ـ (تاريخ الخلفاء)

حصل الخطيب البغدادي على إجازة روايته[٤].

ويبدو أن الطبري أفاد منه إفادات كثيرة في كتابه في التاريخ، وذلك بالرواية التالية: (حدّثني أحمد بن ثابت عمن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر[٥].

---

(١) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج ١، ج ٢، ص ٩٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر مسيخة، الظاهرية مجموع: ١٨ و١٢٦ ب).

(٤) مسيخة، الظاهرية مجموع: (١٨ و١٢٧ أ).

(٥) فهرس تاريخ الطبري: ص ١٣.

١٧ ــ الفَزَارِي[١] (المتوفى سنة ١٨٨هـ/٨٠٤م)

هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الحارث، الفزاري.

عده الشيخ الطوسي من أصحاب الصادق عليه السلام[٢].

قال ابن حجر:

(ولد في الكوفة، وقدم دمشق ثم بغداد، واستقر آخر الأمر مرابطا في ثغر المَصِّيصَة، وتوفي سنة ١٨٨هـ/٨٠٤م أو ١٨٥هـ أو ١٨٦هـ.

كان مؤرخا ومحدثا مرموق المكانة، ويختلط عند البعض بالفزاري الفلكي)[٣].

آثاره:

قال سزكين: له كتاب السِّير في الأخبار[٤].

رواه أبو عمرو معاوية بن عمرو الرومي (المتوفى سنة ٢١٥هـ/٨٣٠م)[٥].

---

(١) أنظر ترجمته: التاريخ الكبير للبخاري: ٣٢١/١/١. الفهرست لابن النديم: ص ٩٢. تاريخ ابن عساكر: ج ٢، ص ٢٥٢. إرشاد الأريب لياقوت (ليدن): ج ١، ص ٢٨٣ ــ ٢٨٦، ط القاهرة، مصر، ج ١، ص ٢٠٩ ــ ٢١٥. البداية والنهاية لابن كثير: ج ١٠، ص ٢٠٠. الأعلام للزركلي: ج ١، ص ٥٥. روزنتال: (Rosenthal. History, ٣٢٣. ٣٢٣). المعارف، ابن قتيبة: ص٥٢٤. تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج ١، ج ٢، ص ٩٦.

(٢) رجال الطوسي: ص١٤٤. الفائق، الشبستري: ج١، ص٦٠.

(٣) التهذيب لابن حجر: ج ١، ص ١٥٣. معجم المؤلفين لكحالة: ج ١، ص ٩٠.

(٤) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج ١، ج ٢، ص ٩٦.

(٥) المصدر السابق، وجاء فيه: ابن النديم: ص ٩٢. يوجد في مخطوط القرويين بفاس: ج٢، ص١٣٩. (١٧ ورقة، سنة ٢٧٠هـ). ومنه قطعة في الإصابة: ج ١، ص ٦٨٠ – ج٣، ص٤٠٨.

١٨ ــ أبو إسماعيل الأزدي البصر[1] (المتوفى في الربع الأخير من القرن الثاني للهجرة)

ذكره ابن حبان في الثقات فقال: «محمد بن عبدالله الأزدي من أهل البصرة يروي عن عاصم بن هلال وعبدالوهاب بن عطاء، حدث عنه الحسن بن سفيان وأبو يعلى الموصلي، ربما خالف، وكان من الحفاظ»[2]. وذكر المزي: «ان له كتاب فتوح الشام»[3]. ترجم له فؤاد سزكين بقوله: «هو أبو إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي البصري، ذكره السخاوي في كتابه الإعلان بالتوبيخ»[4].

١٩ ــ يحيى بن سعيد الأموي[5] (المتوفى سنة ١٩٤هـ/٨٠٩م)

هو أبو أيوب يحي بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص الأموي الكوفي، ولد في نحو سنة ١١٤هـ/٧٣٢م، روى عن يحيى بن سعيد الأنصاري والأعمش

(١) معجم المؤلفين، كحالة: ج١٠، ص١٩٩. معجم المطبوعات العربية، إلياس سركيس: ج١، ص٤٢٨. مستدركات علم الرجال، علي النمازي: ص١٦٧. تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج ١، ج ٢، ص ٩٦.

(٢) الثقات، ابن حبان: ج٩، ص٨٤.

(٣) تهذيب الكمال، المزي: ج٢، ص٢٧٦.

(٤) الإعلان بالتوبيخ للسخاوي: ص ١٢٦. انظر محمد كُرْد علي في مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق: ج ٢٠، ص ٥٤٤ ـ ٥٤٨. معجم المؤلفين لكحالة: ج ١٠، ص ١٩٩.

(٥) أنظر ترجمته: الطبقات لابن سعد: ج ٦، ص ٣٩٨، ط بيروت ـ لبنان. المعارف لابن قتيبة: ص ٢٥٧. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج ١٣، ص ١٣٢ ـــ ١٣٤. معجم البلدان لياقوت: ج ١، ص ٧٧٦. تذكرة الحفاظ للذهبي: ص ٣٢٥ ـــ ٣٢٦. التهذيب لابن حجر: ج١١، ص ٢١٣ ـ ٢١٤. معجم رجال الحديث، السيد الخوئي: ج٢١، ص٥٧. تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج ١، ج ٢، ص ٩٧.

وهشام بن عُروة، ومحمد بن إسحاق وغيرهم، واستقر بعد ذلك في بغداد، وتوفي بها. وقد بلغ من السن ثمانين سنة[١].

عدّه الشيخ الطوسي رحمه الله من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام[٢].

تتبع آثاره فؤاد سزكين فكانت[٣]:

(كتاب المغازي)

وصلت إلينا قطع كثيرة منه عند البخاري، في الباب الخاص بالمغازي[٤]، وقد أفاد منه الطبري، والمرجح أن ذلك كان برواية ابن مصنفه[٥].

وهناك قطع وصلت إلينا منه كذلك في الإصابة[٦]، وكان كتاب المغازي - فيما روى - أحد مصادر كتاب الاكتفاء للكلاعي (المتوفى سنة ٦٣٤هـ/١٢٣٧م)[٧].

---

(١) المعارف، ابن قتيبة: ص٥١٤.

(٢) معجم رجال الحديث، السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره: ج٢١، ص٥٧. الفائق، الشبستري: ص٤٢٧.

(٣) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج ١، ج ٢، ص ٩٨.

(٤) الجامع الصحيح: ج ٥، ص ٧١ ـ ١٧٩.

(٥) تاريخ الطبري: ج١، ص٢٦٩ و١٢٢٢ و١٥٩٨ و١٦٥٢ و١٧٦٧ و١٨٠٨ - ج٣، ص٢٥٣٣.

(٦) الإصابة لابن حجر: ج ١، ص ١٥٩ و٤٨٨ و٦٦٥ و٧٧٠ و٨١٨ - ج ٢، ص ١٩٩ و٢٠٦ و٥٤٨ و٥٥٨ و٦٥٧ و١٠٥٧ و١١١٤ و١٢٤٦ و١٢٧٥ - ج ٣، ص ٣٧٤ و٣٨١ و٥٩٠ و٥٩١ و٧١٩ و٧٣٧ و٧٩٣ و٩٠٤ و٩٤٢ و٩٦١ و١١٦٦ و١٣٠٢ و١٣٠٧ و١٣٣٧ و١٤١٣ - ج ٤، ص ٥٦ و٥٩٧.

(٧) بروكلمان ملحق: ج ١، ص ٦٣٤.

أنظر ما كتبه فارق في مجلة الحضارة الإسلامية (Fariq, in Isl. Cult ٣٣،١٩٥٩/١٦١-١٦٨).

وكان الخطيب البغدادي ممن حصلوا على إجازة رواية كتاب المغازي[١].

وقد ذكره حاجي خليفة في من صنف في مغازي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٢].

٢٠ ــ أبو العباس الأموي[٣] (المتوفى سنة ١٩٥هـ/٨١٠م)

ترجم له الزركلي: «هو أبو العباس الوليد بن مسلم الأموي (بالولاء) الدمشقي، ولد سنة ١١٩هـ/٧٣٧م في دمشق عالم الشام في عصره من حفاظ الحديث، له ٧٠ تصنيفاً في الحديث والتاريخ منها: (كتاب المغازي) و(كتاب السنن)، وتوفي سنة ١٩٥هـ/٨١٠م، قافلا من الحج»[٤].

وتتبع آثاره سزكين فقال[٥]:

يبدو أن (كتاب المغازي) قد وصل إلينا منه قطع في: صحيح البخاري (في باب المغازي المجلد الخامس»[٦].

(١) مشيخة الظاهرية مجموع: ١٨ (١٢٦ب).

(٢) كشف الظنون، حاجي خليفة: ج٢، ص١٧٤٧. معجم المؤلفين، كحالة: ج١٣، ص١٩٩.

(٣) أنظر ترجمته: التاريخ الكبير للبخاري: ١٥٢/٢/٤ ـ ١٥٣. الفهرست لابن النديم: ص ١٠٩ و٢٢٨. ميزان الاعتدال للذهبي: ج ٣، ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦. التهذيب لابن حجر: ج ١١، ص١٥١ ـ ١٥٥. شذرات الذهب لابن العماد: ج ١، ص ٣٤٤. الأعلام للزركلي: ج ٩، ص ١٤٣. معجم المؤلفين لكحالة: ج ١٣، ص ١٧٢. تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج١، ج ٢، ٩٨.

(٤) الأعلام، الزركلي: ج٨، ص١٢٢.

(٥) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج ١، ج ٢، ص ٩٨.

(٦) سزكين مصادر البخاري: (Buk. Kayan ٢١٣, ٢١٥, ٢٢٥, ٢٢٣). فهرس تاريخ الطبري: ص٦٢٩.

يمكن لنا من خلال البحث الذي تقدم أن نخلص إلى نتيجة مفادها: إن حركة التأليف في المغازي والسير قد تطورت بشكل ملحوظ خلال ستين سنة ابتداء من عام ٩٠ للهجرة النبوية وحتى نهاية عام مائة وخمسين للهجرة وهي السنة التي توفي فيها محمد بن إسحاق شيخ كتاب السيرة النبوية.

وإن هذه الحركة أخذت طاقتها وتوجهاتها من خلال اعلام مدرسة أهل البيت، أي الإمام زين العابدين والإمام محمد الباقر عليهما السلام فضلاً عن الزخم الذي قدمته مدرسة العترة لروادها في تزويد حركة علم السيرة منذ حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ فمن بين تلك الأسماء التي مر ذكرها خلال القرن الأول للهجرة كان نصفها لأصحاب أئمة العترة النبوية عليهم السلام وهم:

١ . عبيد الله بن أبي رافع.

٢ . سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري.

٣ . سعيد بن المسيب.

وإذا أضفنا لها أعلام مدرسة النبوة وهم الإمام أمير المؤمنين والإمام الحسن المجتبى والإمام الحسين سيد الشهداء والإمام زين العابدين يكون مجموع الذين رووا في علم السير والمغازي وصنفوا فيه سبعة، يقابلهم أربعة أسماء في مدرسة الصحابة.

وعليه: تكون مدرسة التشيع هي صاحبة الأسبقية والفضل في نشوء علم المغازي والسير وحركته خلال القرن الأول للهجرة.

أما في القرن الثاني للهجرة، فقد شهد اسماءً أسهمت بشكل كبير في حركة علم السيرة وتطوره، والتي شكلت بمجموعها واحداً وعشرين نفراً ومنهم محمد بن إسحاق شيخ كتاب السيرة النبوية.

وإذا رجعنا إلى عدد الذين كانوا من أصحاب أئمة العترة عليهم السلام أو من الذين رووا عنهم بين هذه الأسماء يتضح لنا ان عددهم أربعة عشر نفراً، وهم:

١ . شرحبيل بن سعيد بن سعد بن عبادة، وقد أشار إلى معرفته لأمير المؤمنين علي عليه السلام ابن حجر ـ كما مرّ في ترجمته آنفاً ـ.

٢ . سليمان بن طرخان، وهو نار على علم في تشيعه وموالاته لأهل البيت عليهم السلام وجلالة قدرة ووثاقته عند أصحاب الصحاح والرجال.

٣ . السبيعي (عمرو بن عبدالله بن علي الهمداني) له كتاب في المغازي والفتوح وقد أفاد منه الواقدي إفادة كبيرة واستخدم مروياته استخداماً مباشراً. وقد نص على صحبته للإمام الحسن المجتبى عليه السلام[1] الشيخ الطوسي؛ وهو أحد رواة حديث الثقلين.

٤ . أبو الأسود (محمد بن عبدالرحمن) صنف كتاباً في المغازي وقد عدّه ابن حجر من رواة الإمام زين العابدين (علي بن الحسين عليهما السلام)[2].

٥ . عبدالله بن أبي بكر بن محمد المدني، من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام؛ نص على صحبته الشيخ الطوسي[3] وعدّه ابن حجر من رواة الإمام الباقر عليه السلام[4].

---

(١) رجال الطوسي: ص٩٦.

(٢) تهذيب التهذيب، ابن حجر: ج٩، ص٢٧٣.

(٣) رجال الطوسي: ص٢٣٠.

(٤) التهذيب، ابن حجر: ج٥، ص١٤٤.

٦ . القاسم بن محمد بن أبي بكر؛ نص على صحبته للإمامين علي بن الحسين ومحمد بن علي عليهم السلام الشيخ الطوسي[١].

٧ . ابن شهاب الزهري، وقد لزم في آخر أيامه الإمام علي بن الحسين عليه السلام كما مر بيانه سابقاً.

٨ . موسى بن عقبة، وقد صنف كتاباً في المغازي نال شهرة كبيرة. نص على صحبته للإمام الصادق عليه السلام الشيخ الطوسي[٢].

٩ . محمد بن إسحاق (شيخ كتاب السيرة) من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام كما سيمر لاحقاً.

١٠ . معمر بن راشد، وقد نص على صحبته للإمام الصادق عليه السلام الشيخ الطوسي[٣]. وهو أحد رواة حديث الغدير في القرن الثاني للهجرة[٤].

١١ . الحُنيفي الإمامي، وهو من خواص أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، ومن فضلاء الإمامية ومحدثيهم[٥].

١٢ . أبو معشر السندي، عدّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام[٦].

---

(١) رجال الطوسي: ص١١٩.

(٢) المصدر السابق: ص٣٠٠.

(٣) رجال الطوسي: ص٣٠٧.

(٤) الغدير الأميني: ج١، ص٧٥.

(٥) الفائق في رواة وأصحاب الإمام الصادق عليه السلام، الشبستري: ج٢، ص٢١٦.

(٦) رجال الطوسي: ص٣١٦.

١٣ . الفزاري (إبراهيم بن محمد بن الحارث) عدّه الشيخ الطوسي من أصحاب الصادق عليه السلام[1].

١٤ . يحيى بن سعيد الأموي. عدّه الشيخ الطوسي من أصحاب الصادق عليه السلام[2].

وإذا أضيف إليهم أعلام مدرسة النبوة وهم الإمام زين العابدين، والإمام الباقر، والإمام الصادق عليهم السلام فيكون المجموع سبعة عشر اسماً في مقابل سبعة أسماء من مدرسة الصحابة وهم:

١ . داود بن الحسين.

٢ . يزيد بن رومان.

٣ . يعقوب بن عتبة.

٤ . عاصم.

٥. الشعبي.

٦ . أبو إسماعيل الأزدي البصري.

٧ . أبو العباس الأموي.

وعليه:

يتضح من خلال البحث:

---

(١) رجال الطوسي: ص١٤٤. الفائق في رواة وأصحاب الإمام الصادق عليه السلام، الشبستري: ج١، ص٦٠.

(٢) معجم رجال الحديث، السيد الخوئي: ج٢١، ص٥٧.

أولاً: أن الأسبقية والفضل في نشوء علم السيرة، وحركته، وتطوره، خلال القرن الثاني للهجرة تعود لمدرسة أهل البيت عليهم السلام ولرجال الشيعة الذين لزموا هذه المدرسة.

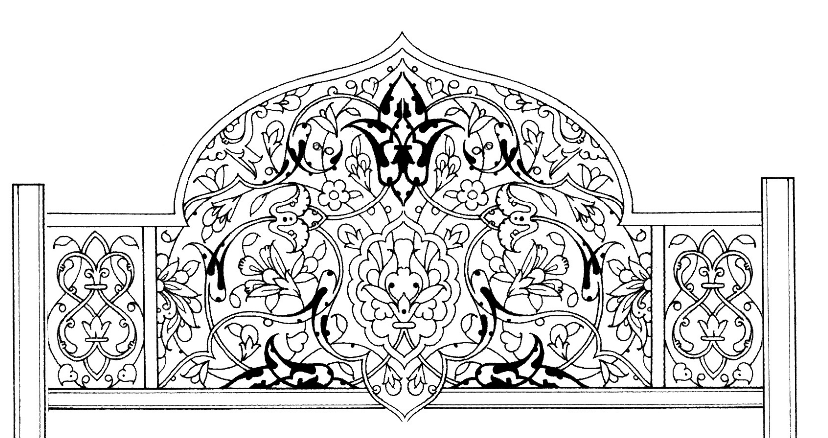
ثانياً: إنّ زمام هذه الحركة قد انتقل على يد الإمام الباقر عليه السلام وتوجيهاته المستمرة إلى محمد بن إسحاق «شيخ كتاب السيرة» الذي حورب وهجر واضطهد على موالاته واعتقاده وتشيعه لأهل البيت كما سيمر بيانه لاحقاً.

ومن ثم اعتمدت هذه الحركة في علم المغازي والسير رواية وتصنيفاً على مدرسة الإمام جعفر الصادق عليه السلام فبلغ عدد أصحابه في رواية هذا العلم والتصنيف فيه سبعة نفر كلهم برزوا في النصف الثاني من القرن الثاني.

إذن: يبقى الفضل يدور مدار مدرسة أهل البيت عليهم السلام في نشأة علم المغازي والسير، فضلاً عن بقية العلوم الإسلامية الأخرى؛ وليس كما يدعيه بعض المستشرقين ومتزلفة السلاطين في تخلف الشيعة عن هذه العلوم أو أن الفضل في ظهورها عند المسلمين يعود للتوراة والانجيل وحكام بني أمية.

وعليه:

تطلب هذا التطور الجديد في حركة علم السيرة النبوية أن نفرد فصلاً خاصا لشخصية ابن إسحاق ومنهجه في التأليف وأهمية كتابه المغازي والسير.



الفصل الرابع:
دور محمد بن إسحاق في تطور علم السيرة النبوية

يمكن أن نستظهر من خلال الدراسات التاريخية التي كتبت ـ ولاسيما ـ عن ابن إسحاق: إنه رحمه الله ثمرة الجهود التي بذلتها مدرسة أهل البيت عليهم السلام في علم السيرة النبوية، وأنه عصارة المدرسة التاريخية التي نشأت في القرنين الأول والثاني للهجرة.

ولذلك حظي الرجل دون غيره باهتمام كبير من قبل الباحثين الشرقيين والغربيين، بل إننا لنجد أن الكتابات الغربية من قبل المستشرقين هي أكثر مما كتبه المسلمون عن هذه الشخصية، إن لم نبالغ بأنها لم تنل منهم اهتماما ملحوظا وهو الذي يعود له الفضل في حفظ السيرة النبوية في أول كتاب مستقل وممنهج.

يقول الدوري: (حين نأتي إلى ابن إسحاق نحس بخطوط جديدة في التطور، ومن مظاهرها الواضحة وجود عنصر القصص الشعبي والاتجاه نحو المبالغة، ونحس بأننا انتقلنا إلى علماء هم مؤرخون أولا، ثم محدّثون من الدرجة الثانية)[1].

ويعلق المستشرق هاملتون جب، على مغازي ابن إسحاق بـ(أنها كانت ثمرة تفكير أبعد أفقيا وأوسع نطقا من تفكير سابقيه ومعاصريه لأنه نزع فيها لا إلى تدوين تاريخ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فحسب، بل تاريخ النبوة بذاتها، فوحدة الفكر التاريخي ظاهرة فيها)[2].

---

(١) نشأة علم التاريخ لعبد العزيز الدوري: ص ٢٤.

(٢) التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ج ١، ص ١٦١ و١٦٢.

ويقول زكّار: (مهما تكن أهمية أعمال أمثال الزهري وموسى بن عقبة، فإن عمل ابن إسحاق يبقى الأساسي فيما يتصل بالسيرة وإلى حدّ ما بالتاريخ ــ وتكمُنْ أهميته كمؤرخ في استيعابه لتجارب شيوخه، وفي تطويرها وإعادة تنظيمها من خلال فهمه الجديد للتاريخ، ومن خلال نظرته الشاملة النابعة من ثقافته الواسعة وإدراكه للمغزى السياسي (للصورة التاريخية)، ومن هنا صار ابن إسحاق شيخ كُتّاب السيرة)[١].

وأصبح كل: (من أراد أن يتبحر بالمغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق)[٢].

ويضاف إلى ذلك: أن كتاب ابن إسحاق يعتبر أول كتاب تناول موضوعات على نحو يشبه تاريخ العالم إلى جانب اهتمامه بحياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغزواته، فقد أدخل أيضا ذكر أخبار عن خلق العالم، وعن الأنبياء السابقين[٣].

وفي الحقيقة أن هذا النهج الذي انتهجه محمد بن إسحاق هو مما تعلمه في مدرسة العترة النبوية، فقد قدمت بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خطبتها الاحتجاجية بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عرضا للسنن التاريخية ثم بيانا لحركة النبوة فبدأت حينها من نقطة الخلق الأول؛ بل ذهبت إلى أبعد من هذه اللحظة الكونية، وهي علة بعثه صلى الله عليه وآله وسلم فقالت عليها السلام:

---

(١) سيرة ابن إسحاق، تحقيق سهيل زكار: ص ٩ من المقدمة.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج ١، ص ٢٣٥. تاريخ دمشق لابن عساكر: ج ٦٠، ص١١٧. تهذيب الكمال للمزي: ج ٢٤، ص ٤١٣.

(٣) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج ١، ج ٢، ص ٧٨.

«اجتباه قبل أن اجتبله إذ الخلائق بالغيب مكنونة وبستر الأهاويل مصونة»[1].

وعليه: فلابد لنا أن نقف بإجلال لهذا الرجل الذي حفظ لنا سيرة أعظم شخصية في الوجود صلى الله عليه وآله وسلم ناهيك عن ما تحمله هذه الشخصية من مقام شرعي وقدسي وإنساني ارتبط به ثلث سكان العالم إذ يقول: (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذا يحتم علينا أن نسير مع محمد بن إسحاق لنتعرف عليه، ونطلع على مكانته العلمية، ومنهجه في علم السيرة النبوية التي عرفت سابقا بـ(المغازي والسير).

ونتعرف أيضا على إنتاجه العلمي، وعلى الدراسات التاريخية التي اهتمت بشخصيته وكتاباته، كما سنتعرف على عصره والشخصيات التي عاصرته، وعلاقته بهذه الشخصيات.

وسنتوقف كثيرا في الأسباب التي أدت إلى تهجير ابن إسحاق من المدينة، المنورة ومحاربته فكريا وإعلاميا وعقائديا، ومنع نتاجه الفكري.

وسنتوقف أيضا مع رموز هذه الحرب التي شنت على ابن إسحاق، والدوافع التي دفعت بالبعض إلى مواصلة إعلان الحرب على هذا الرجل ومتابعة اضطهاده حتى بعد موته وإلى وقتنا الحاضر، والتي يبدو أنها ستستمر ما دام هناك أناس يحملون ثقافة الاضطهاد.

فهذه النقاط وغيرها سنتناولها في هذا الفصل إن شاء الله تعالى.

---

(١) الاحتجاج للطبرسي: ج١، ص ١٤٠.

المبحث الأول: من هو محمد بن إسحاق رحمه الله

حاول البعض إثارة كثير من التساؤلات حول ابن إسحاق لأغراض متعددة، ـ سيمر بيانها ـ مما دعا أحد كتاب السيرة النبوية وهو ابن سيد الناس أن يضع مقدمة في أول كتابه[١] تضمنت جميع الآراء والتساؤلات التي دارت حول هذه الشخصية لأجل دفع هذه الآراء وبيان صحة ما يرويه ابن إسحاق في السّيَر والمغازي لكونها الأصل الذي يعتمد عليه في السيرة النبوية.

وقبل الحديث عما تعرضت له السيرة النبوية من هجمات أثناء حياة مصنفها ابن إسحاق؛ لابد من التعريف بهذه الشخصية، فمن هو ابن إسحاق.

المسألة الأولى: التعريف بشخصيته

يختزن علم التاريخ الإسلامي وعلم الرجال صورتين لشخصية محمد بن إسحاق المدني، وهما:

الصورة الأولى

هذه الصورة رسمت ملامحها كلمات بعض الحفاظ في المدارس الإسلامية، وهي كالآتي:

هو: محمد بن إسحاق[٢] بن يسار بن خيار، وقيل: بن يسار بن كوتان

(١) عيون الأثر لابن سيد الناس: ص ١٩ ـ ٢١، ط مؤسسة عز الدين.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ٦٧/٢/٧، ط بيروت ـ لبنان، (ليدن): ج ٧، ص ٣٢١ ـ ٣٢٢. المعارف لابن قتيبة: ص ٢٤٧. الفهرست لابن النديم: ص ٩٢. الإرشاد لياقوت: ج٦، ص٣٩٩ ـ ٤٠١، ط لندن، (القاهرة): ج ١٨، ص ٥ ـ ٨. تاريخ بغداد للخطيب: ج١، ص٢١٤ ـ ٢٣٤. ←

المدني[1] المطلبي القرشي مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، وكان جده يسار من سبي عين التمر[2].

يكنى: أبو عبد الله[3]، وقيل: أبو بكر[4].

(ولد بالمدينة المنورة، ثم رحل إلى الاسكندرية سنة ١١٥هـ/٧٣٣م، حيث حضر دروس يزيد بن أبي حبيب (المتوفى ١٢٨هـ/٧٤٥م) في علم الحديث، وعاد بعد سنوات إلى مسقط رأسه حيث التقى سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م، بالمحدث سفيان بن عينية، واضطر بعد ذلك إلى أن يهاجر إلى بغداد[5].

وأقام فترة قصيرة في الجزيرة وفي الكوفة وفي الري، ثم عاد سنة ١٤٦هـ/٧٦٣م إلى بغداد، ويبدو أنه لم يكن على صلة بالأمويين، في حين كان أستاذه الزهري يطمئن إليهم، ولذا فلم يكن تحول الحكم إلى العباسيين السبب الأساسي في انتقاله إلى بغداد.

← وفيات الأعيان لابن خلكان (بولاق): ج ١، ص ٦١١ ـ ٦١٢. الوافي بالوفيات للصفدي: ج ٢، ص ١٨٨ ـ ١٨٩. ميزان الاعتدال للذهبي: ج ٣، ص ٢١ ـ ٢٤. التهذيب لابن حجر: ج ٩، ص٣٨ ـ ٤٦. علم التاريخ للدوري: ص ٢٧ ـ ٣٠. الأعلام للزركلي: ج ٦، ص ٢٥٢. معجم المؤلفين لكحالة: ج ٩، ص ٤٤. بروكلمان: ج١، ص١٣٤. رجال الطوسي: ص ٩٧٧، برقم ٣٩٩٨، معجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ج١٦، ص ٨١ ـ ٨٢.

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج١، ص٢٣١.

(٢) تهذيب الكمال للمزي: ج ٢٤، ص ٤٠٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تذكرة الحفاظ للذهبي: ج ١، ص ١٧٣.

(٥) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج ١، ج ٢، ص ٨٨، نقلا عن هورفتس (Horovitz, Isl. Cult. ٢/١٩٢٨/١٧١-١٧٣).

وتوفي في بغداد سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م، أو ١٥١هـ)[١]، ودفن بمقبرة الخيزران في الجانب الشرقي منها[٢].

الصورة الثانية

وردت الصورة الثانية لملامح شخصية محمد بن إسحاق رحمه الله في كتب مدرسة العترة الطاهرة ــ عليهم السلام ــ وقد رسمت ملامحها كلمات بعض أعلامها ـ وإن كانت هذه الكلمات قليلة ـ إلا أنها كافية في بيان هذه الشخصية.

فقد عدّه الشيخ الطوسي قدس سره[٣] من أصحاب الإمامين أبي جعفر الباقر[٤] وأبي عبد الله الصادق عليهما السلام[٥].

وذكر أيضا: أن والده (إسحاق بن يسار) كان من أصحاب الإمام أبي الحسن علي زين العابدين عليه السلام[٦].

---

(١) تاريخ التراث العربي: مج ١، ج ٢، ص ٨٨.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج ١، ص ٢٣١.

(٣) محمد بن الحسن بن علي الطوسي، أبو جعفر، شيخ الإمامية قدس سره، رئيس الطائفة، جليل القدر، عظيم المنزلة، ثقة عين، صدوق، عارف بالأخبار والرجال والفقه والأصول والكلام والأدب، وجميع الفضائل منتسب إليه. مصنّف في كل فنون الإسلام، وهو المهذب للعقائد في الأصول والفروع، والجامع لكلمات النفس في العلم والعمل، وكان تلميذ الشيخ المفيد محمد بن النعمان رضي الله عنه. ولد رضي الله عنه في شهر رمضان سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وقدم العراق في شهور سنة ثمان وأربعمائة، وتوفي رضي الله عنه ليلة الاثنين الثاني والعشرين من المحرم سنة ستين وأربعمائة بالمشهد المقدس الغروي على ساكنه السلام ودفن بداره. (خلاصة الأقوال للعلامة الحلي: ص٢٤٩، ط مؤسسة نشر الفقاهة).

(٤) تاريخ بغداد للخطيب: ج ١، ص ٢٣٠.

(٥) رجال الطوسي: ص ٢٧٧، برقم ٣٩٩٨، ط مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران.

(٦) رجال الطوسي: ص ١٠٩، برقم ١٠٦٥، ط مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران.

وأورد السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره في معجمه نقلا عن الكشي: (إنّ محمد بن إسحاق له محبة وميل شديد)[(١)] ـ إلى العترة الطاهرة عليهم السلام.

وأشار قدس سره: (إلى أن الكليني رحمه الله روى عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن محمد بن إسحاق المدني، عن أبي جعفر عليه السلام)[(٢)]، حديثا في الروضة من الكافي؛ ولم يورده السيد قدس سره لطوله.

فضلا عن ذلك فقد روى عنه مجموعة من محدثي الإمامية وهم:

ألف . الشيخ الصدوق رحمه الله[(٣)] (توفي سنة ٣٨١هـ)[(٤)].

باء . الشيخ المفيد رحمه الله[(٥)] (توفي سنة ٤١٣هـ)[(٦)].

---

(١) معجم الرجال الحديث للسيد الخوئي قدس سره: ج ١٦، ص ٨١ ـ ٨٢.

(٢) روضة الكافي: ج ٨، ص ٩٥.

(٣) محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي رحمه الله المشتهر لغاية ورعه وصدقه بـ(الصدوق).

وعن الفهرست: (أنه جليل القدر، بصير بالفقه والأخبار والرجال).

وعن الخلاصة: (كان جليلا حافظا للأحاديث بصيرا بالرجال ناقدا للأخبار لم ير في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه له نحو من ثلاثمائة مصنف).

راجع توضيح المقال للملا علي كني: ص ٣٠١. الفهرست للطوسي: ص ١١٤ برقم ٥٠٤. معجم رجال الحديث للسيد الخوئي قدس سره: ج ١٧، ص ٣٤٤، برقم ١١٣١٩.

(٤) الأمالي: الباب الثاني عشر في خبر عبد المطلب. علل الشرائع: الباب ١٥٩، ج ٢، ص ٤٢١.

(٥) أبو عبد الله محمد بن محمد النعمان الحارثي البغدادي العكبري ولد سنة (٣٣٨هـ)، توفي لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة (٤١٣هـ) وقرأ على أبي جعفر بن قولويه وعلى أبي القاسم الرقاء وعلى أبي الجيش البلخي ولقبّه بالشيخ المفيد صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف. له قريب من مائتي مصنف، منها رسالة المقنعة، الأركان في الفقه، الإيضاح في الإمامة، أحكام أهل الجمل، المسائل الصاغانية، المسائل السروية، الإرشاد، أوائل المقالات، وغيرها. راجع معالم العلماء لابن شهر: ص ١٤٨.

(٦) الأمالي: المجلس التاسع والعشرون، ص ٢٤٦.

جيم . الشيخ الطوسي رحمه الله (توفي سنة ٤٦٠هـ)[1] وغيرهم.

ويبدو لي أن ما ذكرته من بيان لهذه الشخصية التي وردت ملامح صورها في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، لتفي بالغرض في معرفة شخصية ابن إسحاق والبيت الذي نشأ فيه، فقد نشأ على الموالاة للعترة النبوية الطاهرة عليهم السلام.

ويبدو أن هذا الأمر هو السبب المباشر في معاداة البعض لابن إسحاق واضطهاده والتشهير به ومن ثم محاولة إسقاط الثقة عنه حيا وميتا؛ مما يؤدي إلى نفس الغرض الذي سعى إليه سليمان بن عبد الملك وأبوه بحرق سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما سيمر بيانه.

المسألة الثانية: مكانته العلمية، أساتذته، أقوال العلماء فيه، تلامذته، المحدثون عنه، رواته

يمكن للباحث أن يتعرف على مكانة محمد بن إسحاق العلمية من خلال خمسة أمور.

الأمر الأول: أساتذته

لمحمد بن إسحاق أساتذة عديدون منهم في العلوم الشرعية، ومنهم في علم المغازي والسير، أما الذين في العلوم الشرعية فهم أئمة العترة الطاهرة عليهم السلام، فقد صحب كلاً من الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام، والإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

---

(١) راجع الأمالي للطوسي: ص ١٩.

وأما أساتذته في علم المغازي والسير ففضلا عن الإمامين الصادقين عليهما السلام فقد عدّ ابن الشهاب الزهري من أبرز مشايخه، ويمكن لنا أن نعد الرجال الذين روى عنهم ابن إسحاق من ضمن أساتذته،هم:

(القاسم بن محمد بن أبي بكر، وأبان بن عثمان بن عفان، أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، ونافعا مولى عبد الله بن عمر)[١]، وغيرهم[٢].

وقد أشار الحافظ المزي إلى بعض شيوخه أيضا وهم: (يحيى بن سعيد الأنصاري، يزيد بن أبي حبيب المصري)[٣].

الأمر الثاني: المحدثون عنه

ألف . العلماء الذين حدّثوا عنه

قال الخطيب البغدادي: حدث عنه أئمة العلماء، منهم:

(يحيى بن سعيد الأنصاري، وسفيان بن سعيد الثوري، وابن جريح، وشعبة بن الحجاج، وجرير بن حازم، والحمادان، ابن سلمة، وابن زيد، وإبراهيم بن سعد الزهري، وشريك بن عبد الله النخعي، وسفيان بن عينيه، ومن بعدهم)[٤].

وذكر الحافظ المزي في التهذيب: الرواة عنه، وهم:

---

(١) تهذيب الكمال للمزي: ج ٢٤، ص ٤١٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) تهذيب الكمال: ج ٢٤، ص ٤١١.

(٤) تاريخ بغداد للخطيب: ج١، ص٢٣١.

(إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، أحمد بن خالد الوهبي، حفص بن غياث، جرير بن عبد الحميد، زهير بن معاوية الجعفي، زياد بن عبد الله البكائي، سعدان بن يحيى اللخمي، سعيد بن بزيع، وسفيان الثوري، وسفيان بن عينية، وسلمة بن الفضل الرازي، وأبو خالد سليمان بن حيان الأحمر، شريك بن عبد الله، شعبة بن الحجاج، عبد الله بن إدريس، عبد الله بن سعيد بن ابي هند وعبد الله بن عون، عبد الله بن نمير، عبد الله بن يزيد بن الصلت الشابي، عبد الأعلى بن عبد الأعلى، وأبو شهاب عبد ربه بن نافع الخياط، وأبو زهير عبد الرحمن بن مغراء، عبد العزيز بن محمد الدراوردي، وعبدة بن سليمان الكلابي، ومحمد بن سلمة الحراني، ومحمد بن عبيد الطنافسي، ومحمد بن أبي عدي، ومحمد بن فضيل، ومحمد بن يزيد الواسطي ومندل بن علي، وموسى بن أعين)[(١)].

باء ـ العلماء الذين كاتبوه

وهم:

(هارون بن أبي عيسى، وهارون بن موسى النحوي، وهيثم بن بشير، وأبو عوانة الوضاح بن عبد الله، ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ويحيى بن سعيد الأموي، ويحيى بن محمد بن عباد بن هاني الشجري، وأبو تميلة يحيى بن واضح، وأبو المحياه يحيى بن يعلى التيمي، ويزيد بن أبي حبيب المصري، ويزيد بن زريع، ويزيد بن هارون، ويعلى بن عبيد الطنافسي، ويونس بن بكير الشيباني)[(٢)].

---

(١) تهذيب الكمال للمزي: ج ٢٤، ص ٤١٠.

(٢) تهذيب الكمال للمزي: ج ٢٤، ص ٤١٠ ـ ٤١١.

الأمر الثالث: أقوال العلماء فيه

١ ـ قال ابن شهاب الزهري: (لا يزال في المدينة علم جم ما كان فيهم محمد بن إسحاق)[١].

٢ ـ وسُئِلَ ابن شهاب الزهري، عن مغازيه، فقال: (من أراد المغازي فعليه بابن إسحاق)[٢].

٣ ـ قال الخطيب البغدادي، قال الشيخ أبو بكر: «لم أر في جملة المحمديين الذين كانوا في مدينة السلام من أهلها والواردين إليها أكبر سنا وأعلى إسنادا وأقدم موتا منه، ولهذه الاسباب المجتمعة فيه افتتحت كتابي بتسميته)[٣].

٤ ـ قال يحيى بن معين (كان ثقة، وكان حسن الحديث)[٤].

٥ ـ قال المدايني: (علم السنة عند اثني عشر أحدهم ابن إسحاق)[٥].

٦ ـ قال الشافعي ـ إمام المذهب ـ : (من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق)[٦].

٧ ـ قال عاصم بن عمر بن قتادة: (لا يزال في الناس علم ما عاش محمد بن إسحاق)[٧].

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج ١، ص ٢٣١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج ١، ص ٢٣٤.

(٥) المصدر السابق.

(٦) تهذيب الكمال للمزي: ج٢٤، ص٤١٣. وفيات الأعيان لابن خلكان: ج٥، ص٤٠٩.

(٧) تاريخ أسماء الثقات لابن شاهين: ص١٩٩. تاريخ ابن معين: ج١، ص١٥٧.

٨ ـ عن هارون بن معروف قال: سمعت أبا معاوية يقول: (كان ابن إسحاق من أحفظ الناس، وكان إذا كان عند الرجل خمسة أحاديث أو أكثر جاء فاستودعها محمد بن إسحاق، وقال: أحفظها علي فإن نسيتها كنت قد حفظتها علي)[١].

٩ ـ عن عبد الله بن فايد قال: (كنا إذا جلسنا إلى محمد بن إسحاق فأخذ في فن من العلم، قضى مجلسه في ذلك الفن)[٢].

١٠ ـ قال أبو زرعة: (ومحمد بن إسحاق رجل قد أجمع الكبراء من أهل العلم على الأخذ عنه، منهم سفيان، وشعبة وابن عيينة ـ وغيرهم ـ وقد أختبره أهل الحديث فرأوا صدقاً وخيرا، مع مدح ابن شهاب له)[٣].

١١ ـ قال إسحاق بن أحمد بن خلف البخاري الحافظ، قال: (سمعت محمد بن إسماعيل يقول: محمد بن إسحاق ينبغي أن يكون له ألف حديث ينفرد بها، لا يشاركه فيها أحد)[٤].

١٢ ـ قال سفيان بن عينية: (ما رأيت أحداً يتهم محمد بن إسحاق)[٥].

١٣ ـ أبو سعيد الجعفي قال: كان محمد بن إدريس ــ الشافعي ــ: (كان معجبا بابن إسحاق، كثير الذكر له، ينسبه إلى العلم والمعرفة والحفظ)[٦].

---

(١) عيون الأثر لابن سيد الناس: ج١، ص١٧. تاريخ الإسلام للذهبي: ج٩ن ص٥٩٠.

(٢) تاريخ بغداد للبغدادي: ج١، ص٢٣٦. تهذيب الكمال للمزي: ج٢٤، ص٤١٣.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج٧، ص٤٢.

(٤) تاريخ بغداد للبغدادي: ج١، ص٢٤٢.

(٥) نصب الراية للزيلعي: ج٦، ص٥٥١.

(٦) عيون الأثر لابن سيد الناس: ج١، ص١٧.

١٤ ـ يزيد بن هارون عن شعبة، قال: (لو سود أحد في الحديث، لسود محمد بن إسحاق ـ أي كان سيد رواة الحديث ـ)[١].

١٥ ـ عن أبي كثير العنبري يقول: سمعت شعبة يقول: (محمد بن إسحاق أمير المؤمنين في الحديث)[٢].

وفي لفظ آخر يرويه يونس بن بكير عن شعبة، أنه قال: (محمد بن إسحاق أمير المحدثين، فقيل له: لم؟ فقال: لحفظه)[٣].

١٦ ـ سئل علي المدايني عن محمد بن إسحاق، فقيل له: كيف حديث محمد بن إسحاق عندك، صحيح؟.

فقال: نعم حديثه عندي صحيح)[٤].

١٧ ـ قال عبد الله بن صالح العجلي قال: (حدثني أبي: محمد بن إسحاق مدني ثقة)[٥].

١٨ ـ قال يحيى بن معين: (ابن إسحاق ثبت في الحديث)[٦]، وقد سئل عن صدق ابن إسحاق، فقيل له: (هل في نفسك من صدقه شيء؟ قال: لا، هو صدوق)[٧].

---

(١) تهذيب الكمال للمزي: ج٢٤، ص٤٢٥.

(٢) المحلى لابن حزم: ج٣، ص٢٤١. نصب الراية للزيلعي: ج١، ص١٧.

(٣) التاريخ الكبير للبخاري: ج١، ص٤٠. تهذيب الكمال للمزي: ج٢٤، ص٤١٧.

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج٧، ص٤٤.

(٥) معرفة الثقات للعجلي: ص٢٣٣.

(٦) تاريخ بغداد للبغدادي: ج١، ص٢٤٦.

(٧) المصدر السابق.

١٩ ـ ترجم له الحافظ الذهبي[1] بقوله له: (وكان ــ إبن إسحاق ــ أحد أوعية العلم، حبرا في معرفة المغازي والسير، وليس بذاك المتقن فانحط حديثه عن رتبة الصحة، وهو صدوق في نفسه مرضي)[2].

وقال أيضا: (هو أول من دوّن العلم في المدينة، وذلك قبل مالك وذويه، وكان في العلم بحرا عجابا ولكنه ليس بالمجود كما ينبغي)[3].

٢٠ ـ وقال الحافظ اليافعي[4] فيه: (كان بحرا من بحور العلم، ذكيا حافظا طلاّبةً للعلم إخباريا نسّابة، ثبتا في الحديث عند أكثر العلماء، وأما في المغازي والسّير فلا تجهل إمامته؛ وحكي عن يحيى بن معين وأحمد بن حنبل ويحيى بن سعيد القطان أنهم وثقوا محمد بن إسحاق واحتجوا بحديثه)[5].

---

(١) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني الأصل، الفارقي، ثم الدمشقي، الذهبي، الشافعي (أبو عبد الله شمس الدين) محدث، مؤرخ، ولد بدمشق في ربيع الأول، وسمع بها وبحلب وبنابلس وبمكة وسمع منه خلق كثير، وتوفي بدمشق في ٣ ذي القعدة، ودفن بمقبرة الباب الصغير، من تصانيفه الكثيرة: تاريخ الإسلام، ميزان الاعتدال، طبقات الحفاظ، تجريد الأصول. معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: ج ٨، ص ٢٨٩، ط مكتبة المثنى، بيروت ـ لبنان.

(٢) تذكرة الحفاظ: ج ١، ص ١٧٣، ط دار إحياء التراث العربي.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٧، ص ٣٣.

(٤) عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي، عفيف الدين، مؤرخ، باحث، متصوف، من شافعية اليمن، نسبته من يافع على حمير ومولده ومنشأه في عدن، توفي في مكة سنة (٧٦٨هـ)، من كتبه مرآة الجنان، نشر المحاسن الغالية، الدر النظيم في خواص القرآن العظيم، روض الرياحين. الأعلام للزركلي: ج ٤، ص ٧٢، ط دار العلم للملايين.

(٥) خلاصة عبقات الأنوار: ج ١، ص ٥٠، ط مؤسسة البعثة.

٢١ ـ ابن سيد الناس[(١)] ترجم له بقوله: (وعمدتنا فيما نورد من ذلك على محمد بن إسحاق؛ إذ هو العمدة في هذا الباب لنا ولغيرنا، حدث عنه أئمة العلماء[(٢)]).

وهذه الأقوال تكشف عن مكانة ابن إسحاق العلمية في المجتمع المدني الذي نشأ فيه؛ وتكشف أيضا عن إمامته في رواية السّيرة النبوية المطهرة؛ وإنّ كلّ من جاء بعده بالحديث عن السّيرة فهو لا يستطيع أن يتعداه.

مما يدل على أن الذين تصدوا لابن إسحاق في حياته وبعد مماته، إنما يتصدون في الواقع إلى سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

راجين في ذلك تحقيق ما لم يستطع سليمان بن عبد الملك تحقيقه حينما حرق السيرة النبوية.

الأمر الرابع: آثاره العلمية ونتاجه المعرفي

تتبع سزكين[(٣)] مؤلفات ابن إسحاق وجمعها في تاريخه فكانت:

١ ـ (كتاب المغازي)

وينقسم إلى ثلاثة أقسام هي: المبتدأ، والمبعث، والمغازي.

---

(١) فتح الدين، أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس الشافعي، الحافظ اليعمري الأندلسي الأشبيلي المصري المعروف ابن سيد الناس. ولد سنة (٦٧١هـ) سمع الكثير من الجم الغفير، وتفقه على مذهب الشافعي، وأخذ علم الحديث عن والده وابن دقيق العبد، وولى دار الحديث بجام الصالح، وخطب بجامع الخندق، وصنف كتباً كثيرة. شذرات الذهب لابن العماد: ج ٦، ص ١٠٨.

(٢) عيون الأثر لابن سيد الناس: ج١، ص ١٥.

(٣) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: ج١، ص١٥.

وهناك قسم كبير من هذا الكتاب وصل إلينا برواية يونس بن بُكَير بن واصل الشَّيباني (المتوفى سنة ١٩٩هـ/٨١٥م)[1].

ويوجد مخطوطا في: القرويين بفاس ٢٠٢ (الأقسام ٢ و٣ و٤ و٥ ونحو ١٥٠ ورقة في القرن الخامس للهجرة).

وتوجد منه نسخة حديثة في الرباط ١٧١٢، كما توجد قطعة أخرى منه في الظاهرية، مجموع ١١٠ (الأوراق من ١٥٨ ـ ١٧٤، انظر: العش ص ٤٢، حيث ذكر الراوي عبد الله بن محمد الحرّاني مؤلفا له).

وهناك قطعة قديمة منه حول الله وخلق العالم توجد في فينا ضمن مجموعة: (Erzherzog-Rainer: Sammlung) رقم ٧٣٤.

وقد تكون هذه القطعة من كتاب المبتدأ الذي حققته نبيهة عبود في دراساتها عن البرديات العربية:

(Nabia Abott, Studies in Ar.Lit. Pap) (انظر: ما كتبه ديتريش: (A. Dietrich, Islam ٣٤/٢٠٢)).

وأملنا أن يتاح إعادة تكوين هذا الكتاب، اعتمادا على القطع الباقية منه في المصادر المختلفة ولاسيما في تفسير الطبري، وتاريخ الطبري، والأغاني، وكتاب بكر وتغلب لمؤلف مجهول: المتحف البريطاني مخطوطات شرقية ٦٤٩٩ (١٧٨ ورقة، في القرن الثامن للهجرة).

وقد هذّب ابن هشام هذا الكتاب بعد أن أخذ إجازة روايته من زياد بن عبد الله البكائي (المتوفى سنة ١٨٣هـ/٧٩٩م).

---

(١) التهذيب لابن حجر: ج ١١، ص ٤٣٤. مرآة الجنان لليافعي: ج ١، ص ٤٦٠.

وقد حذف ابن هشام في تهذيبه لهذا الكتاب نصوصا كانت في (المبتدأ) بصفة خاصة تتناول سير الأنبياء الآخرين، كما حذف النصوص الخاصة بالحوادث التي لا تتصل بسيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو التي لم يأت لها ذكر في القرآن الكريم، أما المواضع التي اختصرها؛ وغالبا ما كانت مرتبطة بالشعر، فقد أضاف إليها عدداً من الملاحظات[١].

٢ ـ (تاريخ الخلفاء)

ذكر ابن النديم في الفهرست: ص ٩٢، وياقوت في إرشاد الأريب: ج ٦، ص ٤٠١، مقتبسات منه وهناك قطعة قديمة منه من القرن الثاني للهجرة نشرها نبيهة عبود في دراساتها في البرديات العربية:

(Nabia Abott, Studies in Ar.Lit. Papyri, Chicago, ١٩٥٧, S. ٨٠ - ٨١).

ثم أعاد نشرها عبد العزيز الدوري[٢]، وتتناول هذه القطعة مقتل عمر بن الخطاب واجتماع لجنة الانتخاب، ويضم النص أشياء جديدة، ولو عددنا هذه الورقة نموذجا للكتاب كله، فإن هذا النص يدعم الفرض القائل بأن هذا التاريخ ألّف ليكون نصا موجزا مختصرا دقيقا موضوعيا[٣].

٣ ـ (كتاب الفتوح)

ومن المرجّح أن ابن إسحاق ألف كذلك كتابا بعنوان (كتاب الفتوح) كان

---

(١) انظر حول تلك المقتبسات عنه في الكتب التالية المقال السابق بقلم هوروفتس.

(٢) انظر علم التاريخ: ص١٨٢ ـ ١٨٣.

(٣)انظر ما كتبه ديترش: (Dietrich, Islam ٣٤/١٩٥٩/٢٠٣)، وهناك قطع أخرى من الكتاب وصلت إلينا عند الطبري. جواد علي في مجلة المجمع العلمي العربي: ج ١، ص ١٩٥٠ . ٢٠٦.

المصدر الأساسي للكتب التالية للواقدي: (فتوح مصر) و(أرض ربيعة) و(الفهرس)[١].

٤ ـ (أخبار كليب وجساس)

توجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة آل سيّد عيسى العطار ببغداد[٢].

٥ ـ (كتاب حُرّاب (حرب؟) البسوس بين بكر وتغلب ابْنَيْ وائل بن قاسط)[٣].

ملاحظات عن كتب منسوبة لمحمد بن إسحاق

ألف ـ ينسب لابن إسحاق مخطوط في باريس ٤٨٦٨ و٥٨٣٣ (من ١٠٧ ـ ١٩٢، انظر فائدا Vajada)، عنوانه: كتاب سير العرب الأربع، ولا تزال هذه النسبة في حاجة إلى إثبات.

باء ـ كما ينسب إليه أيضا (حديث الإسراء والمعراج) في مكتبة طلعت بالقاهرة ٢٩٣، (الأوراق من ٣٨ ـ ٦٥، سنة ١٣٠٩هـ)، وترجع مادته إلى عبد الله بن عباس.

جيم ـ وهناك مخطوط مجهول المؤلف بعنوان: (أخبار صفين في اصح الرواية وأتمها رواية محمد بن إسحاق وعمر بن سعيد وغيرهما من العلماء المحققين)، يوجد في برلين ٢٠٤٠ Qu (توبنجن حاليا)[٤].

---

(١) فتوح مصر في: ايا صوفيه سنة ١٣٨٩، (من ١٢ ب ـ ١٣ أ).

(٢) الذريعة: ج ١، ص ٣٢٩.

(٣) الذريعة: ج ١، ص ٣٢٩ ـ ج ٦، ص ٣٩٢. مسكوه بطهران: ج ٩، ص ٧٧٦، برقم ٢١٣٤ (من ١٢٢ ب ـ ٢٠٢ ب سنة ١٢٧٩هـ).

(٤) تاريخ التراث العربي: مج ١، ج ٢، ص ٨٩ ـ ٩١.

الأمر الخامس: تلامذته في علم السيرة النبوية

ذكرنا سابقا أسماء الرواة الذين حدثوا عن محمد بن إسحاق والذين توزعت فيما بينهم علوم ابن إسحاق وتعدُّد معارِفِهِ، واختص ثلاثة منهم في نقل كتابه السير والمغازي إلى العالم العربي والإسلامي والمهتمين بالتاريخ، وهم كالآتي:

١ ـ زياد بن عبد الله البكائي (المتوفى سنة ١٨٣هـ/٧٩٩م).

٢ ـ محمد بن سلمة الحرّاني (المتوفى سنة ١٩١هـ/٨٠٧م).

٣ ـ يونس بن بكير (المتوفى سنة ١٩٩هـ/٨١٤م).

وتعود سيرة ابن إسحاق التي بين أيدينا إلى رواية زياد بن عبد الله البكائي.

وقد ذهب البعض إلى أن هؤلاء الرواة يعودون إلى مجتمعات مختلفة؛ إذ يعود البكائي إلى المجتمع المدني، ويعود الحراني إلى المجتمع الكوفي، ويعود ابن بكير إلى المجتمع البغدادي، وقد أفضت هذه المجتمعات بأجوائها الفكرية والسياسية على النسخ الثلاث لسيرة ابن إسحاق برواتها أولئك[1].

وقد ترجم الحافظ الذهبي لعبد الله بن زياد البكائي بقوله: (الشيخ الحافظ أبو محمد زياد بن عبد الله بن الطفيل العامري البكائي الكوفي، راوي السيرة النبوية عن ابن إسحاق.

حدّث عن: حصين بن عبد الرحمن، وعبد الملك بن عمير، وعطاء بن السائب، ومنصور بن المعتمر، وعاصم الأحول، وسليمان الأعمش، وعدة.

(١) سهيل زكار في تحقيقه لسيرة ابن إسحاق: ص ١٣ من المقدمة.

وحدّث عنه: هشام بن عبد الملك النحوي، وأحمد بن حنبل، وعمرو بن علي الفلاس، وزياد بن أيوب، والحسن بن عرفة، وزكريا بن حمويه.

قال أحمد وغيره ليس به بأس.

وقال عبد الله بن إدريس: (ما أحد في ابن إسحاق أثبت من زياد البكائي لأنه أملى عليه مرتين)[(١)].

وقد أخرج له البخاري في كتاب الجهاد عن عمرو بن زرارة[(٢)].

وروي أن السبب في ثبوت ما يرويه البكائي عن ابن إسحاق هو: (أنه باع داره وخرج يدور مع ابن إسحاق حتى سمع منه الكتاب)[(٣)].

أما **محمد بن سلمة الحراني:**

فقد ترجم له الرازي بقوله: (أبو عبد الله مولى بني باهلة روى عن هشام بن حسان وخصيف ومحمد بن إسحاق وخاله أبي عبد الرحيم خالد بن أبي يزيد روى عنه ابن نفيل وأحمد بن أبي شعيب وهارون بن معروف وغيرهم.

وقال فيه أحمد بن حنبل: (شيخ صدوق)[(٤)]، وهو ثقة عنده[(٥)].

وقد وثقه ابن حبان[(٦)].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٩، ص ٥. تاريخ الإسلام للذهبي: ج ١٢، ص ١٦٣.

(٢) التعديل والتجريح: لسليمان بن خلف الباجي: ج ٢، ص ٦١٨.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج ٨، ص ٤٧٨.

(٤) الجرح والتعديل للرازي: ج ٧، ص ٢٧٦.

(٥) بحر الدم لابن المبرد: ص ١٣٧.

(٦) الثقات لابن حبان: ج ٩، ص ٤٠.

وقال عنه ابن سعد:

(ثقة عالم له فضل ورواية، وفتوى)[١].

وعده الذهبي من الرجال الذين أخرج لهم أصحاب الصحاح الستة[٢].

وأما **يونس بن بكير الشيباني الكوفي:**

فقد ترجم له الذهبي، وابن حجر، والمزي، وغيرهم، فقالوا: (يونس بن بكير بن واصل الحافظ العالم المؤرخ أبو بكر الشيباني الكوفي الجمال صاحب المغازي.

حدّث عن الأعمش وهشام بن عروة، وعمر بن ذر وابن إسحاق، وكهمس بن الخلق.

روى عنه ابنه عبد الله وابو كريب ويحيى بن معين، وابن نمير، وأبو سعيد الأشبح، ومحمد بن عثمان بن كرامة وغيرهم.

وقال يحيى بن معين: كان صدوقا؛ وقال أبو حاتم: محله الصدق.

وسئل عنه أبو زرعة: أي شيء ينكر عليه؟، فقال: أما في الحديث فلا أعلمه.

روى له مسلم في صحيحه وقد استشهد به البخاري)[٣].

---

(١) الكاشف للذهبي: ج ٢، ص ١٧٥.

(٢) الوافي بالوفيات للصفدي: ج ٣، ص ١٠٢.

(٣) تذكرة الحفاظ: ج ١، ص ٣٢٦. الجرح والتعديل للرازي: ج ٩، ص ٢٣٦. تهذيب الكمال للمزي: ج ٣٢، ص ٤٧٩. ميزان الاعتدال للذهبي: ج ٤، ص ٤٧٧. تهذيب التهذيب لابن حجر: ج ١١، ص ٣٨٣.

المسألة الثالثة: الدراسات والبحوث التي كتبت في ابن إسحاق

لعل البعض من الباحثين أو القراء يستغرب من أن عدد الدراسات والبحوث التي كتبت من المتخصصين في علم التاريخ في محمد بن إسحاق، ولاسيما كتابه المغازي والسير، هي أكثر بكثير من الدراسات التي أعدها العرب بشكل خاص والمسلمون بشكل عام.

ولعل كتابنا هذا ـ والله العالم ـ هو الدراسة الأولى من بين الدراسات التاريخية العربية الإسلامية عن شخصية محمد بن إسحاق رحمه الله.

أولا: الدراسات التي كتبت في شخصية ابن إسحاق رحمه الله[1]

ألف ـ كتب عنه هوروفتس في دراسته عن المغازي الأولى ومؤلفيها:

(J. Horovitz, The Earliest Biographies of the Prophet and their Authors. In: Isl. Cult. ٢/١٩٢٨/١٦٩ - ١٨٢).

باء ـ كتب عنه جيوم في دراسته عن سيرة الرسول في البحوث الحديثة:

(A. Guillaume, The Biogtaphy of the Prophet in Research. In: The Islamic Quarterly ١/١٩٥٤/٥ - ١١).

جيم ـ كتب روبسون عن إفادة ابن إسحاق من الإسناد:

(J. Robson, Ibn Oshaq's Use of The Isnad. In: Bull. Of the J. Ryland's Libraru, Manchester ٣٨/١٩٥٦/٤٤٩ - ٤٦٥).

---

(١) تاريخ التراث العربي: مج ١، ج ٢، ص ٨٨ و٨٩. المغازي والسير لابن إسحاق تحقيق سهيل زكار: ص ١٠ (هامش المقدمة).

دال ـ كتب جونز عن ابن إسحاق والواقدي في موضوع حلم عاتكة ويوم نخلة وقضية السرقة الأدبية:

J. M. B. Jones, Ibn Ishaq and al-Waqidi: The Dream of Atika (and the Raid to Nakala in Relation to the Charge of Plagiarism. In: BSOAS ٢٢/١٩٥٩/٤١ - ٥١).

هاء ـ كتب وات عن المواد التي أفاد منها ابن إسحاق:

W. M. Watt, The Materials used by Ibn Ishaq. In: Historians of (the Middle East, London ١٩٦٢).

ثانيا: الدراسات التي كتبت عن كتاب المغازي لابن إسحاق[1]

ألف ـ حول روايات الكتاب، أنظر ما كتبه يوهان فك في دراسته لمحمد بن إسحاق (J. Fuck, M. Ibn Ishaq, Frankfurt/M. ١٩٢٥,s.٣٤).

باء ـ وكتب جيوم عن نسخة الأناجيل المتداولة في المدينة

A. Guillaume, The Version Of The Gospels usea in Medina (circa ٧٠٠ A.D. In: Andalus ١٥/١٩٥٠/٢٨٩ - ٢٩٠).

وقد درس جيوم في البحث المذكور نصا مقتبسا من إنجيل يوحنا (١٥/٢٣ ـ ١/١٦) يوجد في السيرة لابن إسحاق مأخوذا عن الصياغة السريانية الفلسطينية، وهذه الفكرة سبق أن ذكرها شفالي (F. Schwally) في القسم الذي كتبه من الطبعة الثانية لتاريخ القرآن لنؤكد له:

(T. Noldeke: Geschichte des Koran, ٢. Ausg).

(١) المصدر السابق.

وأشار شاخت على ذلك في بحث عن نص من إنجيل يوحنا مقتبس في السيرة لابن إسحاق؛

J. Schacht, Une Citation de I"Evangile de St. Jean dans la Sira)
.(de Ibn Ishaq. In: Andalus: ١٦/١٩٥١/٤٨٩ - ٤٩٠

وكتب جيوم ملاحظة أخرى عن السيرة لابن إسحاق:

.(A. Guillaume, A Note on the Sira of Ibn Ishaq, in: BSOAS ١٨/١٩٥٦/١ – ٤)

ذكر جيوم هنا قطعة من دلائل النبوة لأبي نعيم: ج ١، ص ٦١٢ ـ ٦١٧.

جيم ـ وكتب جيوم ايضا كتابا في سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، عنوانه:

A. GUillaune, The Life of – Mohammed, a Translation of Ishaq's)
.(Sirat Rasul Allah, with Introduction and Notes, London ١٩٥٥

وهذا الكتاب ترجمة لسيرة رسول الله لابن إسحاق مع مقدمة وملاحظات، وانظر في ذلك أيضا ما كتبه عنه بلاشي:

.(R. Blachere, in: Arabica ٥/١٩٥٨/٢٩٥ – ٢٩٦)

دال ـ وكتب وليد عرفات عن بعض جوانب من فن صناعة الشعر في السيرة:

W. Arafat, Some Aspects of the Art of the forger in the Poetry)
.(of the Sira, ٢٤. Inter. Congr. Or. ١٩٥٧, ٣١٠ - ٣١١

هاء ـ ولوليد عرفات أيضا بحث عن النقاد المبكرين لأصالة الشعر الموجود في السيرة:

W. Arafat, Earty Critics of the Authenticity of the Poetry of the)
.(Sira, in: BSOAS ٢١/١٩٥٨/٤٥٣ - ٤٦٣

المسألة الرابعة: منهجه في علم المغازي والسير

اعتمد محمد بن إسحاق في تطور علم المغازي على منهج خاص تميز به عمن سبقه بميزات عدة.

أولا: طريقة إعداد البحث

يمكن أن نستدل من خلال بعض النصوص على اتخاذ محمد بن إسحاق طريقة علمية في كتابة المغازي، وهي أقرب ما تكون اليوم إلى الطرق الحديثة في إعداد البحوث وكتابتها.

فقد اعتمد ابن إسحاق على منهج إعداد البطاقات المدون عليها النصوص، فقد ذكر ولده هذه الطريقة قائلا: (كان أبي يتّبع حديثه ويكتبه كثيرا بالعلو والنزول، ويخرجه في المسند، وما رأيته أنفى حديثه قط)[١].

وهذا يدل على إرجاع كل حديث إلى مصدره مع تدوين سنده صعودا ونزولا، مع حفظ هذه الأحاديث وترتيبها، وهي نفس الطريقة التي يتبعها الباحث في تدوين معلوماته على البطاقة الواحدة، ثم يقوم بوضع خطة البحث وترتيب المادة.

ثانيا: تتبعه للكتب التي عند الناس

وقد اعتمد ابن إسحاق أيضا على الكتب المدونة أيضا وكان يبحث عنها وهذا يكشف عن وعيه وتميزه في توثيق علومه.

قال الخطيب البغدادي: (كان ـ ابن إسحاق ـ رجلا يشتهي الحديث فيأخذ كتب الناس فيضعها في كتبه)[٢].

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج١، ص٢٤٥. عيون الأثر لابن سيد الناس: ج١، ص١٩.

(٢) المصدر السابق.

ثالثا: جمعه بين أساليب المحدثين والإخباريين

(ذهب ابن إسحاق أبعد من حدود مدرسة المدينة، سواء أكان ذلك في نظرته التاريخية أم في أسلوبه، فقد جمع بين أساليب المحدثين والقصاص في كتاباته، واستفاد من نواحي الاهتمام المختلفة بالمغازي وتواريخ الأنبياء، فجمع بين الأحاديث والروايات التاريخية والإسرائيليات والقصص الشعبي مع كثير من الشعر الصحيح والموضوع.

ولذا: فإن مصادر معلوماته تكون خليطا يجلب الانتباه)[١].

رابعا: توسيع دائرة مصادره من الكتب السريانية

لم يكتف محمد بن إسحاق بالمصادر المكتوبة باللغة العربية، وإنما وسع دائرة هذه المصادر، ونوّع في معلوماته لتشمل الفكر الغربي، وفي الواقع أن هذا النهج يكشف عن وعيه المميز، كما يدل على أسلوبه العلمي في كتابة السير والمغازي.

ويبدو أن اختياره مصر حينما حورب في المدينة، ونفي، وهجر عنها كان القصد منه هو الاطلاع على التراث العلمي الذي جمعته أرض الكنانة من الكتابات السريانية والمعارف اليونانية والرومية.

«وقد ساعده على ذلك معرفته باللغة السريانية، التي إما توارثها من أسرته التي استوطنت غرب العراق في عين التمر، وإما تعلمها أثناء وجوده في مصر، وأرى أن هذا هو الأرجح لما يتمتع به ابن إسحاق من قوة حافظة ووعي مميز ومنهج علمي موسع، ناهيك عن أن غرب العراق لم يشهد ظهورا ملموسا للغة السريانية»[٢].

---

(١) نشأة علم التاريخ لعبد العزيز الدوري: ص ٢٥.

(٢) سيرة ابن إسحاق تحقيق سهيل زركار: ص ١١ (المقدمة).

خامسا: اعتماده منهج وحدة الفكر التاريخي

هذا النهج الذي اعتمده ابن إسحاق في كتابة السير والمغازي (يعد ثمرة تفكير أبعد أفقيا وأوسع نطاقا من تفكير سابقيه ومعاصريه لأنه نزع فيها لا إلى تدوين تاريخ النبي فحسب، بل تاريخ النبوة بذاتها فوحدة الفكر التاريخي ظاهرة فيها)(١).

سادسا: المنهج الموسوعي

من السمات البارزة في عمل ابن إسحاق هو قيامه بأول عمل موسوعي ضم فضلاً عن المادة التاريخية المنحصرة في سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومغازيه،، يضم أيضا ـ المادة الأدبية سواء في القصة أو الشعر، كما ضم أيضا مادة عقائدية تتعلق بمبدأ الخلق.

(ومن أجل ذلك كله نقل من الكتب وممن يسميهم أهل العلم الأول، من أهل الكتاب، كما أنه كان يصطنع الشعر وتعمل له قصائد ليدخلها في السيرة مع المناسبات، حتى لقد ذكر قصائد من عاد وثمود، وإن يكن شعرا فنائياً يتعلق بشرح الأحداث لا برواياتها)(٢).

«وقد أخذ ابن إسحاق عن العجم، وروى قصصا عربية قديمة، وأقاصيص من أصل يماني، وهذا ما خصصه في كتابه (المبتدأ)»(٣).

---

(١) وهذا المنهج خلص إليه هاملتون في دراسته لسير ابن إسحاق، انظر: تاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ج ١، ص ١٦١ و١٦٢.

(٢) التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ج ١، ص ١٦١.

(٣) نشأة علم التاريخ للدوري: ص ٢٧.

وأما رواياته عن فترة الرسالة فترجع في جوهرها إلى أساتذته في المدينة، مع إضافات حصل عليها ببحوثه، وفي بعض الحالات لا تتعدى رواياته أن تكون شرحا لآيات قرآنية، نقله عن غيره أو عمله هو.

وأما أسلوبه في الكتابة عن الفترة المكية فقد وردت رواياته في الغالب دون إسناد (قصة) عنوانا لإخباره.

وأما رواياته عن العصر المدني ففيها طابع جدي أقوى وعناية أوضح بالإسناد.

أما كتابته عن التيارات السياسية المعاصرة كالمنافسة بين الأنصار والمهاجرين فقد تناولها ابن إسحاق من خلال إيراده الشعر(١).

ولذلك:

فقد امتاز عمله رحمه الله بالموسوعي، إذ ضم حقولاً عدّة من المعرفة كالتاريخ، والأدب والعقائد والتفسير، والسياسة.

ومن هنا:

نجد أن بعض الروايات التي أوردها ابن إسحاق عن حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحتاج إلى عرضها على القرآن والعترة النبوية عليهم السلام وبحثها بحثا موضوعيا، بسبب اعتماد ابن إسحاق رحمه الله على تنوع المعارف والعلوم والثقافات وتعددها في كتابه السير والمغازي.

وهذا أحد إشكالات العمل الموسوعي الذي يكون فيه هم الباحث بالدرجة الأولى التنوع، والتعدد كماً وكيفاً.

---

(١) المصدر السابق.

المبحث الثاني: اضطهاده ومحاربته

إن من المآسي التي حلّت بالإسلام هو تعرض سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وسنته لتدخل الخلفاء وأشياعهم، فدونت بعض أجزائها حسبما يخدم المصالح الشخصية لهذا الخليفة أو ذاك، ناهيك عن تأثرها بالأجواء التي أضفتها أحداث السقيفة، وما أعقبها من تكتلات داخل المجتمع المدني، لتتوسع إلى الشام والعراق.

كما أن التاريخ الإسلامي هو أيضا لم يكن بمنأى عن تلك التدخلات سواء على مستوى السلطة الحاكمة، أو على مستوى المصنّف، أو الرواة الذين أخِذَ عنهم سير الحدث. والشواهد على هذه الحقيقة المفجعة كثيرة جدا.

فأما سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فقد تصدى لتدوينها مجموعة من المؤرخين اهتموا بادئ الأمر، بذكر المغازي، وهو ما يكشف عن تأثر المجتمع العربي بهذه الأجواء التي تدخلت في تعميقها أمور كثيرة.

منها:

١ ـ ما كان موروثا اجتماعيا غلب عليه الطابع القبلي الذي امتازت به مجتمعات الجزيرة العربية قبل الإسلام.

٢ ـ ومنها ما كان تبعا طبيعياً لما شهدته الخلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أحداث عصيبة، وهذا أخطر من الأول، لاجتماع عدة عوامل في ظهوره، كالعامل العشائري، والديني، والسياسي، والشخصي.

وتبعا لتلك العوامل فإنّ تدوين السيرة النبوية تأثر بها أشد التأثير، والشواهد على ذلك كثيرة نعرض لها في المسائل الآتية:

المسألة الأولى: محاربة ابن إسحاق أم محاربة السيرة النبوية؟

إن التتبع الدقيق لنشأة علم السيرة في المدارس الإسلامية وحركتها يظهر وجود حالة من العداء للسيرة النبوية عند بعض الرموز التي ظهرت على الساحة الإسلامية.

بل: يدل هذا التتبع على ديمومة العداء للسيرة النبوية، والسعي من أجل تشويه هذه السيرة والانتقاص من رمزها الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم.

إذ أنّ حالة النفاق والمصالح السلطوية والأمراض النفسية كانت ولا تزال إحدى أهم الأسباب وراء تلك الأعمال المخزية، والتي يمكن أن نسلط الضوء عليها من خلال النقاط التالية:

الحلقة الأولى: محاربة البلاط الأموي للسيرة النبوية

إن أول محاولة لجمع السيرة وتدوينها ومن ثم نسخها كانت في زمن الحاكم الأموي عبد الملك بن مروان ـ حسبما ذكره الزبير بن بكار في الموفقيات ـ، فقال: (قدم سليمان بن عبد الملك إلى مكة حاجا سنة ٨٢هـ،فأمر أبان بن عثمان بن عفان[1] أن يكتب له سير النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومغازيه.

---

(١) أبو سعيد أبان بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، كان واليا على المدينة لعبد الملك بن مروان سبع سنين ثم عزله عنها؛ عده الرازي في المدنيين، وقد روى عنه أبو الزناد وبنيه بن وهب وعبد الله بن أبي بكر والزهري، مات بالفالج في خلافة يزيد بن عبد الملك عام ١٠٥هـ. الطبقات لابن سعد: ج ٥، ص ١٥١ ـــ ١٥٢. الجرح والتعديل للرازي: ج ٢، ص٢٩٥. مشاهير علماء الأمصار لابن حبان: ص ١١١. تقريب التهذيب لابن حجر: ج ١، ص ٥١. تهذيب التهذيب لابن حجر: ج ١، ص ٨٤.

فقال له أبان: هي عندي، قد أخذها مصححة ممن أثق به، فأمر سليمان عشرة من الكُتّاب بنسخها، فكتبوها في رق، فلما صارت إليه نظر فإذا فيها ذكر الأنصار في العقبتين وفي بدر.

فقال: ما كنت أرى لهؤلاء القوم هذا الفضل، فإما أن يكون أهل بيتي غمطوا عليهم، وإما أن يكونوا ليس هكذا!!.

فقال أبان: أيها الأمير، لا يمنعنا ما صنعوا أن نقول بالحق، هم ما وصفنا لك في كتابنا هذا.

فقال سليمان: ما حاجتي إلى أن أنسخ ذاك حتى أذكره لأمير المؤمنين لعله يخالفه، ثم أمر بالكتاب فخرق، ورجع فأخبر أباه عبد الملك بن مروان بذلك الكتاب.

فقال عبد الملك: (وما حاجتك أن تقدم بكتاب ليس لنا فيه فضل، تُعرّف أهل الشام أمورا لا نريد أن يعرفوها!؟.

قال سليمان: فلذلك أمرت بتخريق ما نسخته)[١].

والحادثة التي مرّ ذكرها لا تحتاج إلى تعليق، فهي واضحة الدلالة في تدخل حكام بني أمية في تدوين السيرة النبوية؛ ويا ليت شعري أن الأمر اقتصر على التدخل في كتابتها، بل حرق هذه السيرة وإتلافها لكونها لم تتضمن بين ثناياها أي ذكر لبني أمية في مواضع الخير التي حفت بها سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وما أدري ما هو ذنب السيرة إذا كان بنو أمية قد تعاقدوا مع الشر، فكانوا حضورا معه أينما حضر؛ هذا من جانب.

---

(١) الموفقيات للزبير بن بكار: ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣.

والجانب الآخر: إذا كانت السيرة النبوية في زمن عبد الملك بن مروان ينتهي بها الحال إلى الحرق لخلوها من ذكر طيب لآل عبد الملك بن مروان، فكيف يكون حالها وهي تضم مناقب بني هاشم وعلى رأسهم علي بن أبي طالب عليه السلام؟!.

ولذلك: كانوا إذا مرّ بهم حديث فيه ذكر لعلي بن أبي طالب عليه السلام يتعاملون معه معاملة خاصة يدل عليها الشاهد الآتي:

روى أبو الفرج الأصفهاني: (إنّ خالدا القسري[1] ـ وهو أحد ولاة بني أمية ـ طلب من الزهري أن يكتب له السيرة فقال الزهري: فإنه يمر بي الشيء من سيرة علي بن أبي طالب، أفأذكره؟.

---

(١) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرزة، أبو الهيثم البجلي القسري، أمير مكة للوليد بن عبد الملك، وأمير العراقين لهشام بن عبد الملك، وهو من أهل دمشق.

«تاريخ دمشق لابن عساكر: ج ١٦، ص ١٣٥».

قال الذهبي عنه في الكاشف: (ناصبيا عَذّبَ وَقَتَلَ)،

«الكاشف في معرفة من له رواية في كتب السنة: ج ١، ص ٣٦٦».

وقال في السير نقلا عن ابن خلكان: (كان يتهم في دينه، بنى لأمه كنيسة تتعبد فيها، وفيه يقول الفرزدق:

إلا قبح الرحمن ظهر مطية ... أتتنا تهادى من دمشق بخالد

وكيف يؤم الناس من كان أمه ... تدين بأن الله ليس بواحد

بنى بيعة فيها الصليب لأمه ... ويهدم من بغض منار المساجد

«سير أعلام النبلاء: ج ٥، ص ٤٢٧».

وقال الذهبي في ميزانه، وفي تاريخ الإسلام: (ناصبي بغيض ظلوم، قال ابن معين: رجل سوء يقع في علي).

«ميزان الاعتدال: ج ١، ص ٦٣٣. تاريخ الإسلام: ج ٨، ص ٨٣. الوافي بالوفيات للصدفي: ج ١٣، ص ١٥٦».

فقال خالد: لا إلا أن تراه في قعر جهنم، فقال الزهري: فلعن الله خالدا ومن ولاه وصلوات الله على أمير المؤمنين)[١].

وكان خالد القسري يسمي بئر زمزم بأم الخنافس[٢]، وحينما ولاه عبد الملك بن مروان على الكوفة تتبع شيعة أهل البيت عليهم السلام فأخذ سعيد بن جبير، وطلق بن حبيب، فأنكر الناس عليه ذلك فقام خطيبا فقال: (كأنكم أنكرتم ما صنعت، والله أن لو كتب إليّ أمير المؤمنين لنقضتها حجرا حجرا، يعني الكعبة)[٣].

بل أنّ بني أمية لم يتحملوا حتى ذكر اسم المدينة المنورة.

فقد اسماها يحيى بن الحكم[٤] بالخبيثة!.

فقد روى القيرواني عن بذيح أنه قال: (وفد عبد الله بن جعفر الطيار ابن أبي طالب ـ عليهما السلام ـ على عبد الملك بن مروان، فلما دخل عليه استقبله عبد الملك بالترحيب، ثم أخذه فأجلسه معه على سريره، ثم سأله فألطف المسألة، حتى سأله عن مطعمه ومشربه، فلما انقضت مسائله قال يحيى بن الحكم: (أمن خبيثة كان وجهك أبا جعفر)؟.

---

(١) الأغاني للأصفهاني: ج ٢٢، ص ٢١. الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ج ١، ص ٥٣، وقد مر ذكر الحديث سابقاً.

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج١٦، ص١٦١. سير أعلام ـ الذهبي ـ: ج٥، ص٤٢٩.

(٣) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج ١٦، ص ١٦١.

(٤) يحيى بن الحكم بن أبي العاص ابن أمية أخو مروان بن الحكم سكن دمشق وولاه ابن أخيه عبد الملك بن مروان المدينة ثم ولاه حمص.

«تاريخ دمشق لابن عساكر: ج٦٤، ص١١٩».

قال: (وما خبيثة)!؟.

قال: أرضك التي جئت منها!.

قال عبد الله بن جعفر: سبحان الله!! رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يسميها طيبة وتسميها خبيثة، قد اختلفتما في الدنيا وأظنكم في الآخرة مختلفين)[١].

إذن:

هذا حال تدوين السيرة النبوية في عصر ملوك بني أمية، وهذه حال المواضع المقدسة، وهي ـ أي، هذه السيرة ـ ترتبط بمن يقولون إنهم من أتباع دينه صلى الله عليه وآله وسلم، فكيف تكون عندهم سيرة من لا يعتقدون به؟ وكيف تكون سيرة من يبغضونه كل هذا البغض الذي دلت عليه الرواية!!؟.

الحلقة الثانية: إعلان الحرب على ابن إسحاق وتهجيره من المدينة المنورة

ولد ابن إسحاق في المدينة عام ٨٥هـ ونشأ فيها حتى بلغ الثلاثين من عمره ثم خرج منها عام ١١٥هـ[٢]، وكان ـ رحمه الله ـ قد صحب كثيرا من رجالاتها منهم القاسم بن محمد بن أبي بكر، ونافع مولى ابن عمر، وابن شهاب الزهري، وأبان بن عثمان بن عفان، وعبد الله بن هرمز، وفيها عرف بموالاته للعترة النبوية عليهم السلام، وتشيع لهم، وسمع من الإمام محمد بن علي الباقر عليهما السلام ـ كما أسلفنا ـ.

والسؤال الذي يستوقف الباحث، هو: لماذا يخرج ابن إسحاق من المدينة، وهي مسقط رأسه، ومحل نشأته، وموضع علمه وهو في سن الشباب؟.

(١) الدرجات الرفيعة لعلي خان المدني: ص ١٧٧.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٧، ص ٤٧.

إن النظرة الأولى لهذا السؤال تفيد بأن الإنسان لا يترك وطنه إلا لوجود أسباب قهرية وفي الأعم الأغلب سلطوية قمعية فتدفعه للهجرة والابتعاد عن وطنه.

والواقع أنّ حقيقة خروج محمد بن إسحاق كانت لهذه الأسباب التي كشفتها الرواية الآتية:

(عن ابن إدريس قال: كنت عند مالك، فقال رجل: كنت بالري عند أبي عبيد الله وزير المهدي، فقال ابن إسحاق: هاتوا أعرضوا علي علوم مالك، فإني أنا بيطارها، فقال مالك: (دجال الدجاجلة يقول هذا!!)[(١)]، (نحن نفيناه من المدينة)[(٢)].

إذن:

أولا

لم يخرج محمد بن إسحاق من مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باختياره، وإنما نفي منها.

ثانيا

إن النفي لا يكون إلا بفعل قوة مؤثرة تمتلك القدرة والسلطة، بمعنى لا يستطيع أن يقوم شخص واحد بنفي شخصٍ آخر ما لم يكن له جماعة وأتباع، وهو ما يشير إليه قول مالك: (نحن).

---

(١) سير أعلام النبلاء: ج٧، ص٥٠.

(٢) الجرح والتعديل للرازي: ج ١، ص ٢٠، ط دار إحياء التراث العربي. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج ١، ص ٢٣٩، ط دار الكتب العلمية. سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٧، ص ٥٠، ط مؤسسة الرسالة.

ثالثا

لم يكتفِ مالك بن أنس بالكشف عن نفي ابن إسحاق وإنما شهّر به محاولاً إسقاط ثقة الناس عنه بوصفه إياه بالدجل، مما يؤدي إلى انصراف ذهن السامع أو القارئ إلى أنّ ما يرويه ابن إسحاق لسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنما هو ضمن هذه الصفة، أي: الدجل والكذب.

إلاّ أن مالك بن أنس لم يبين السبب الذي دفعه لنفي محمد بن إسحاق من المدينة، وكيف تسنى له ذلك، وقد ذكر بعض المحققين أنّ السبب الذي دفع مالك بن أنس إلى إخراج ابن إسحاق من المدينة هو (نزاع بين أبناء الحرفة الواحدة، وقد كان العلماء قديما يقولون: المعاصرة حجاب ــ إلا أن ما يزعمه ــ مالك أنه وأمثاله أخرجوا ابن إسحاق من المدينة لا يمكن اعتباره علميا محضا بل له جانبه السياسي)[1].

وذكر البعض الآخر: أن الدافع في إخراج ابن إسحاق من المدينة سببان:

أحدهما: أن ابن إسحاق كان يجرح مالكا في نسبه ويزعم أنه مولى من الموالي لتيم بن مروة.

والثاني: أنه كان بعد ذلك يطعن في علم مالك ــ فيقول: (أعرضوا علي علوم مالك فأنا بيطارها)[2]ــ.

وأرى: أنّ هذين السببين لم يكونا الدافع الحقيقي في إخراج ابن إسحاق من المدينة للأمور التالية:

---

(١) السّير والمغازي لابن إسحاق تحقيق سهيل زكار: ص ١٢ من المقدمة.

(٢) السير النبوية لابن هشام تحقيق محمد محي الدين: ج ١، ص ٢٠، ترجمة المؤلف.

ألف ـ لم يكن محمد بن إسحاق يطعن في علم مالك، وهو في المدينة؛ إنما فعل ذلك حينما كان بالري، كما دلت عليه الرواية بوضوح.

باء ـ كما أن جعل قول ابن إسحاق في مالك بأنه كان مولى من موالي تيم بن مروة، هو الذي تسبب بإخراجه غير صحيح، لأن والد ابن إسحاق كان من سبي عين التمر، فلا يتصور أنه كان يتعالى على الآخرين أو ينظر إليهم نظرة فوقية، وهو من طبقة الموالي اجتماعيا.

جيم ـ سئل علي المدايني عن قول مالك في ابن إسحاق.

فقال: مالك لم يجالسه ولم يعرفه.

ثم قال المدايني: ابن إسحاق أي شيء حدّث بالمدينة؟[١].

وهذه التفاته مهمة من المدايني لأن ابن إسحاق كتب المغازي في بغداد، وحدث بها هناك، إلا أن حفظه للمغازي كان في المدينة[٢].

وقد سئل أيضا عن قول هشام بن عروة فيه؟.

فقال: الذي قال هشام ليس بحجة لعله دخل على امرأته وهو غلام فسمع منها.

وعليه:

فإن هناك كثيرا من القرائن تشير إلى أن السبب الرئيس في إعلان هشام بن عروة بن الزبير ومالك بن أنس الحرب على ابن إسحاق هو لتشيعه وموالاته للعترة النبوية عليهم السلام ومنها:

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج ١، ص ٢٤٤.

(٢) المصدر السابق.

المسألة الثانية: تشيعه لأهل البيت عليهم السلام كان السبب في اضطهاده

ألف ـ إن من السمات الثابتة في شخصية ابن إسحاق هي تشيعه لعترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ ففضلا عن ما أسلفنا ـ من كونه رحمه الله من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، فإن أباه إسحاق بن يسار كان أيضا من الموالين للعترة النبوية عليهم السلام، ومن أصحاب الإمام زين العابدين والإمام الباقر[1] عليهما السلام. وهي حقيقة نص عليها عدد من الحفاظ، وهم:

١ ـ ابن حجر العسقلاني[2].

٢ ـ الذهبي[3].

٣ ـ المزي[4].

٤ ـ ابن سيد الناس[5].

٥ ـ الخطيب البغدادي)[6].

وقد ظهر من خلال النصوص التاريخية أن تشيع محمد بن إسحاق كان هو السبب المباشر في الحرب التي شنت ضده والتي تمثلت بـ:

---

(١) رجال الطوسي: ص ١٠٩. معجم رجال الحديث للسيد الخوئي قدس سره: ج ١، ص ٥٩٠. قاموس الرجال للتستري: ج ٩، ص ١٠٢.

(٢) تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ج٢، ص٥٤. أعيان الشيعة للأمين: ج١، ص١٥٣.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٧، ص ٣٩.

(٤) تهذيب الكمال للمزي: ج ٢٤، ص ٤١٦.

(٥) عيون الأثر لابن سيد الناس: ج ١، ص ٢١.

(٦) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج ١، ص ٢٣٩.

الحلقة الأولى: محاربة عروة بن الزبير له مذهبيا

لقد حاول هشام بن عروة التغطية على هذا السبب، أي: على سبب عدائه لابن إسحاق وهو تشيعه للعترة عليهم السلام، وصرف الأنظار عنه من خلال إظهار الغيرة على زوجته فاطمة بنت المنذر حينما روى عنها ابن إسحاق.

في حين أنها تهمة لا أساس لها من الصحة؛ فقد غاب عن ذهن هشام بن عروة أن زوجته كانت تكبر ابن إسحاق بـ(سبع وثلاثين) سنة، وحينما سمع منها كان صبيا[1].

ومما يدل عليه:

ألف ـ استغراب إمام الحنابلة ـ أحمد بن حنبل ـ من طعن هشام بن عروة بابن إسحاق لكونه سمع من زوجته فاطمة، قائلا: (ولم ينكر هشام!؟ لعله جاء ـ ابن إسحاق ـ فاستأذن عليها فأذنت له)[2].

باء ـ إنّ رواية الرجال عن النساء هو أمر كان يحصل في زمانهما بشكل واسع، فكم من حديث وحديث سمعه الرواة من أمهات المؤمنين، فمنهم من سمع منهنّ بلا واسطة؛ ومنهم من سمع بواسطة.

ولذلك: نحن أمام حالتين: إما أنّ هشام بن عروة حنق على ابن إسحاق لتشيعه للعترة النبوية عليهم السلام، لاسيما وإنه نشأ في بيت عرف بالتحيز لخصماء الإمام علي عليه السلام، فقد خرج جده الزبير بن العوام لحرب علي عليه السلام في

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق محمد محي الدين، ترجمة المؤلف: ص ٢٠.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج ١، ص ٢٣٨. تهذيب الكمال للمزي: ج ٢٤، ص ٤١٤. تهذيب التهذيب لابن حجر: ج ٩، ص ٣٦. عيون الأثر لابن سيد الناس: ج١، ص٢٠.

معركة الجمل، كما أنّ أباه عروة كان قد خرج إلى الجمل وأرجعه الزبير في منتصف الطريق، وكان له ثلاث عشرة سنة[١]، ناهيك عن اشتراكه في فتنة أخيه عبد الله بن الزبير؛ بل الأدهى من هذا كله اشتراكه مع مجموعة من الرواة في وضع أحاديث قبيحة في الإمام علي عليه السلام، وهي حقيقة نص عليها بعض علماء المسلمين، ومنهم:

أولا: يقول ابن أبي الحديد المعتزلي، نقلا عن شيخه أبي جعفر الاسكافي: (أن معاوية ـ بن أبي سفيان ـ وضع قوما من الصحابة وقوما من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلا يرغب في مثله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة؛ ومن التابعين عروة بن الزبير)[٢].

ثانيا: وقد روى ابن أبي الحديد نموذجا من تلك الأحاديث، فقال: (روى عبد الرزاق عن معمر، قال: كان عند الزهري حديثان عن عروة عن عائشة في علي عليه السلام، فسألته عنهما يوما، فقال ــ الزهري ــ: ما تصنع بهما وبحديثهما! الله أعلم بهما إني لأتهمهما في بني هاشم.

قال الزهري فأما **الحديث الأول**: أن عروة بن الزبير ــ حدثني ــ، قال: حدثتني عائشة قالت: كنت عند رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ إذ أقبل العباس وعلي ـ عليه السلام ـ فقال:

يا عائشة، إن هذين يموتان على غير ملتي، أو قال: ديني!.

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر، رواه عن ابن أبي خثيمة: ج ٧، ص ١٦٦.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج ٤، ص ٦٤.

والحديث الثاني:

فهو أنّ عروة زعم أنّ عائشة حدثته، قالت: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ أقبل العباس وعلي، فقال: يا عائشة، إن سرك أن تنظري إلى رجلين من أهل النار فانظري إلى هذين قد طلعا، فنظرت، فإذا العباس وعلي بن أبي طالب)[1].

فمع هذه الأجواء المشحونة بالبغض لعلي وأهل بيته عليهم السلام لا يمكن أن يكون تدوين السيرة النبوية بمعزل عن التأثر بها، كما أن الرواة لم يكونوا بمنأى عن آثارها.

وبخاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن هشام بن عروة نشأ في بيت كانت تردد فيه بعض الروايات التي يتقرب بها إلى دراهم معاوية.

وإما أن تكون الحالة الثانية في سبب اتهام هشام بن عروة لابن إسحاق بالكذب هي: الافتراء عليه، والظاهر أنها حالة نفسية أعتاد عليها هشام بن عروة، فقد روي:

(أنه أقيم عليه الحد مرتين بسبب فرية افتراها على رجلين؛ فكان الحد الأول الذي أقيم عليه في زمن عبد الملك بن مروان، وقد حده أبو بكر بن عمرو بن حزم الأنصاري والي المدينة آنذاك. وكان هشام حينها قد افترى على رجل من بني أسد بن عبد العزى.

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج ٤، ص ٦٤. شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي قدس سره: ج٦ ص ٢١٩. النص والاجتهاد للسيد عبد الحسين شرف الدين قدس سره: ص ٥١٣. بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٣٠، ص ٤٠٢.

والحد الآخر كان في حكم الوليد بن عبد الملك، وقد أقامه عبد الرحمن بن الضحاك، وهو يومئذ عامل الوليد على المدينة، وكان هشام قد افترى على رجل من بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم)[١].

ناهيك عن اتهام مالك بن أنس له بالكذب[٢].

وعليه: فإن تكذيب هشام بن عروة لابن إسحاق هو محاولة لمحاربة السيرة النبوية بشكل عام، ومحاربة بني هاشم بشكل خاص، ولاسيما آل أبي طالب عليهم السلام، ومن شايعهم ووالاهم.

الحلقة الثانية: محاربة مالك بن أنس لمحمد بن إسحاق مذهبيا

أما مواجهة مالك بن أنس لابن إسحاق فهي الأخرى لا تتعدى كونها حرباً تشن على أشياع علي عليه السلام ويكفي في بيان موقفه من العترة النبوية صلى الله عليه وآله وسلم إهماله لحديث الثقلين الذي ينص على التمسك بكتاب الله والعترة، وتفرده برواية الحديث الموضوع: (كتاب الله وسنة نبيه)[٣]، وهو يعلم أنه مكذوب فيه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أنه مع هذا فقد أورده

(١) كتاب المنمق لمحمد بن حبيب البغدادي، (نسخة مخطوطة) تحقيق خورشيد أحمد فاروق: ص٣٩٩.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج ١، ص ٢٣٩. سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٧، ص ٣٨. تهذيب الكمال للمزي: ج ٢٤، ص ٤١٥.

(٣) الموطأ، كتاب القدر، الباب ١: النهي عن القدر، الحديث ٣، وهو حديث سنده منقطع، وعدا عن انقطاع سنده، ركة لفظه الذي يصرخ بالوضع الذي تمجه عقول طلبة المدارس الابتدائية فكيف بأهل الفكر، إذ الحديث منقول بالمعنى فلو كان عنه صلى الله عليه وآله وسلم لقال كتاب الله وسنتي كما قال كتاب الله وعترتي أما لفظ: (وسنة نبيه) فهذا قول مالك.

مع كثير من هذه الأحاديث التي اعترف بأنها أحاديث ضلالة، وكم تمنى لو أنه لم يروها قائلا: (لقد حدثت بأحاديث وددت أني ضُربت بكل حديث منها سوطين ولم أحدث بها)[١].

وفي لفظ آخر أورده الحافظ الخطيب البغدادي عنه وهو يصف هذه الأحاديث، أنه قال: (كثير من هذه الأحاديث ضلالة)[٢].

فكان من هذه الأحاديث: (أنه لا يرى لعلي عليه السلام إمامة، فقال في ذلك: كان إمام الناس عندنا بعد عمر بن الخطاب زيد بن ثابت، وكان إمام الناس عندنا بعده عبد الله بن عمر)[٣]!؟.

ومن هذه الأحاديث أنه توقف في علي عليه السلام، قال ابن عبد البر: (وقف جماعة من أهل السنة والسلف في علي وعثمان فلم يفضلوا أحدا منهما على صاحبه منهم مالك بن أنس)[٤]. وقد صرح مالك بذلك فعن ابن أبي حازم قال: (سألت مالكاً فيما بيني وبينه، مَنْ تقدّم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: أقدِّم أبا بكر وعمر، قال: ولم يزد على هذا)[٥].

بل الأدهى من هذا كله ما رواه القاضي النعمان المغربي من: (أنه كان يرى رأي الخوارج، وأنه سئل عنهم فقال: ما عسى أن نقول في قوم ولونا فعدلوا فينا)[٦].

(١) معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري: ص٦١. تاريخ الإسلام للذهبي: ج١١، ص٣٢٥.

(٢) نصيحة أهل الحديث للخطيب البغدادي: ص ٣٤.

(٣) الاستيعاب: ج ٢، ص ٥٣٩.

(٤) الاستذكار لابن عبد البر: ج ٥، ص ١٠٩. الوافي بالوفيات للصفدي: ج٢١، ص ١٨١.

(٥) الاستذكار لابن عبد الرب: ج ٥، ص ١١٠.

(٦) دعائم الإسلام للقاضي النعمان المغربي: ج ١، ص ٨٨، ط دار المعارف. الصراط المستقيم ←

أفبعد هذا كيف لا يحنق مالك بن أنس على محمد بن إسحاق، ويتهمه بالدجل، وهو يتشيع للعترة النبوية عليهم السلام، وكيف لا يطلق لسانه فيه، وهو الذي قد تناول كثيرا من أهل الصلاح بالتجريح والتعريض، وهو ما نص عليه الحافظ الخطيب البغدادي قائلا: (أن مالكاً عابه جماعة من أهل العلم في زمانه بإطلاق لسانه في قوم معروفين بالصلاح والديانة والثقة والأمانة)[1].

وقد حاول الحافظ الذهبي الدفاع عن مالك بن أنس ونفي هذه التهمة عنه من خلال تحويل الأنظار عن طعنه بكثيرٍ من الشخصيات الإسلامية إلى القول بالاجتهاد، وان هؤلاء الجماعة الذين وصفهم الخطيب البغدادي بـ(أهل العلم): «ما عابهم - مالك - إلاّ وهم عنده بخلاف ذلك، - وهو مثاب على ذلك أي: لم يكونوا من أهل العلم -، وان أخطأ اجتهاده»!![2]. ويبدو ان اتهام (أهل الصلاح والديانة والثقة والأمانة) بالكذب والتشهير بهم وتسقيطهم في المجتمع هو عملية اجتهاد عند الذهبي؟! وإن كان ذلك مخالفاً للقرآن الكريم والسنة المشرفة!؟. ولذلك: لو قدر أن يكون مالك قد جاء بعد الذهبي وأطلق لسانه فيه لما حق للذهبي الإعتراض لأنه قد اجتهد. كما اجتهد في الزهري أيضاً حيث صادر جهده العلمي وهو بحسب قول الذهبي (مثاب على ذلك) فضلاً عن كونه (ليس من أهل العلم) ولذا قال فيه مالك: «لم يكن مع ابن شهاب إلا كتاب فيه نسب قومه، يعني قريشاً»[3].

لعلي بن يونس العاملي: ج ٣، ص ٢٢٠. كتاب الأربعين لمحمد طاهر القمي: ص ٦٥١. أجوبة مسائل جار الله للسيد شرف الدين قدس سره: ص ٥٨.

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٧، ص ٣٨.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٧، ص ٣٨.

(٣) الانباه على قبائل الرواة، ابن عبدالبر: ص١٣.

(واجتهد) – مالك بن أنس – كذلك في طعنه بحفظه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورواتها في زمانه فوصفهم بعدم الأمانة، قائلاً: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، لقد أدركت سبعين عند هذه الأساطين، وأشار إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقولون: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فما أخذت عنهم شيئاً»[1].

والسؤال الذي يفرضه البحث: إذا كان هؤلاء الرواة البالغ عددهم السبعين غير أمينين في رواية أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكم نفراً من المسلمين كان يعتقد بصحة حديثهم؟. وكم هي المساحة التي سيتم فيها نشر هذه الأحاديث التي هي في نظر مالك تروى من أناس (ليسوا من أهل هذا الشأن)[2]؟.

ومن أين حصل مالك على أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ والرواة المزيفون هذا عددهم؟.

وعليه: فقد بدا واضحا لمن أراد أن يعرف الأسباب التي دفعت محمد بن إسحاق للخروج من المدينة؛ كما بدا واضحاً ان هذا الخروج الذي قال عنه مالك بن أنس: (نحن نفيناه من المدينة)! ما هي أجواؤه وأسبابه ودوافعه.

ولذلك: لم يكن أمام ابن إسحاق إلاّ أن يفر بدينه مقهورا مغلوبا على أمره، وهو يعلم أنه لو بقي في المدينة مع هشام بن عروة ومالك بن أنس، وهما يشنان الحرب ضده دون جناية عملها غير حبه للعترة المحمدية؛ فإن مصير سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سينتهي بنهاية هي أعظم من تخريق الوليد بن عبد الملك لها، فما تم تخريقه يتم إعادة جمعه ونسخه.

---

(١) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي: ص١٩١.

(٢) المصدر السابق.

أما تكذيبه وتكذيب ما يرويه من سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإشاعة ذلك بين الناس سيؤدي إلى طمس هذه السيرة النبوية في المجتمع؛ فكيف سيحدثون بأحاديث تصدر عن (دجال من الدجاجلة) كما يقول مالك؟!!.

لقد أمعن مالك بن أنس ومن كان معه ـ الذين عبّر عنهم بقوله (نحن) ـ في حربهم ضد السيرة النبوية إلا أنهم غفلوا أن:

﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾(١).

فكان إخراجهم لمحمد بن إسحاق هو عملية نقل هذا العلم إلى خارج المدينة فأتى إلى الإسكندرية سنة خمس وعشرة ومائة(٢) فجمع ما استطاع جمعه حفظا وتدوينا، فقد منّ الله عليه بنعمة تكشف عن حكمة الباري في حفظ سيرة حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، إذ عُرف محمد بن إسحاق بين الناس بجودة حفظه حتى كان حملة الحديث يأتون إليه فيحملونه حفظ أحاديثهم؛ وهي حقيقة نص عليها حفاظ المسلمين.

قال الحافظ البغدادي وغيره: (كان ابن إسحاق من أحفظ الناس، وكان إذا كان عند الرجل خمسة أحاديث أو أكثر جاء فاستودعها محمد بن إسحاق، وقال: (أحفظها علي فإن نسيتها كنت قد حفظتها علي)(٣)، أي كان بمنزلة المعجم الذي يرجع إليه حملة الأحاديث لاستذكار أحاديثهم، وهذا لا يكشف عن جودة حفظه

(١) سورة الروم، الآية: ٤.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٧، ص ٤٨.

(٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج ١، ص ٢٣٥. تهذيب الكمال للمزي: ج ٢٤، ص ٤١٣. سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٧، ص ٣٧. تهذيب التهذيب لابن حجر: ج ٩، ص ٣٦. عيون الأثر لابن سيد الناس: ج ١، ص ١٦.

للأحاديث فقط، وإنما برواتها وعدد ما يروونه، فضلاً عن صدقه ومدى أمانته في نقل الخبر حتى دفع الرواة أن يستودعوا ما يحفظونه عنده.

ولذلك: وجد ابن إسحاق أنّ أفضل طريقة لحفظ السيرة النبوية هو إيداعها في خزانة السلطة، فبهذه الطريقة يستطيع أنْ يحفظها من تلك الهجمات التي تشن ضدها. ولاسيما الجانب الذي يتعلق ببني هاشم وشيخهم أبي طالب عليه السلام، (فأتى أبا جعفر المنصور بالحيرة فكتب له المغازي، فسمع منه أهل الكوفة بذلك السبب)(١).

وسيوقفنا هذا الأمر إلى ان سيرة ابن اسحاق اقتصرت على بعض فضائل علي عليه السلام وذلك لكون السلطة العباسية لا يروق لها ذكر هذه الفضائل، فكيف يجمع ابن اسحاق بين هاذين المتناقضين، حفظه للسيرة في خزانة السلطة وحراستها لها، وبين ذكره لفضائل علي وآله عليهم السلام؟.

وفي ذلك يقول ابن عدي: (لو لم يكن لابن إسحاق من الفضل إلا أنه صرف الملوك عن الاشتغال بكتب لا يحصل منها شيء إلا الاشتغال بمغازي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومبعثه ومبتدأ الخلق لكانت هذه فضيلة سبق بها، ثم من بعده صنفها قوم آخرون فلم يبلغوا مبلغ ابن إسحاق منها، وقد فتشت أحاديثه كثيرا، فلم أجد من أحاديثه ما يتهيأ أن يقطع عليه بالضعف، وربما أخطأ أويهم في الشيء بعد الشيء كما يخطئ غيره ولم يتخلف في الرواية عنه الثقات والأئمة وهو لا بأس به)(٢).

---

(١) المعارف لابن قتيبة: ص ٤٩٢، ط دار المعارف. سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٧، ص ٤٨. تهذيب الكمال للمزي: ج ٢٤، ص ٤٢٦. وفيات الأعيان لابن خلكان: ج ٤، ص ٢٧٧. الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي رحمه الله: ج ١، ص ٢١٢ الصدر.

(٢) تهذيب الكمال للمزي: ج ٢٤، ص ٤٢٦. سير أعلام النبلاء: ج ٧، ص ٤٨. تهذيب التهذيب لابن حجر: ج ٩، ص ٣٩.

المسألة الثالثة: التعاهد على محاربة ابن إسحاق حتى بعد مماته

الحلقة الأولى: دور ابن هشام في تغيير السيرة النبوية

لم تنتهِ الحملة التي شنت على سيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاة مصنّفها محمد بن إسحاق، بل تعاقب على التلاعب بها كل من ابن هشام، وبعض الحفاظ، وبعض المحققين في وقتنا الحاضر.

فبعدما انتقل محمد بن إسحاق إلى جوار ربّه، روى عنه ثلاثة من الرواة وهم كل مِن:

١ . يونس بن بكير.

٢ . زياد بن عبد الله البكائي.

٣ . محمد بن سلمة الحراني.

وتعود السيرة التي بين أيدينا إلى زياد بن عبد الله البكائي، وقد روى عنه ابن هشام حتى باتت السيرة النبوية اليوم تعرف باسمه.

وابن هشام هو: أبو محمد بن عبد الله بن هشام بن أيوب، الحميري، المعافري، الذهلي، البصري المولد، والمصري النشأة والوفاة[1].

وكانت وفاته سنة ٢١٣ للهجرة[2] وبهذا يكون قد عاصر الخليفة العباسي هارون وابنه المأمون.

---

(١) أنظر ترجمة ابن هشام: (وفيات الأعيان لابن خلكان: ج ٣، ص ١٧٧. الوافي بالوفيات للصفدي: ج ١٩، ص ١٤٢. تاريخ الإسلام للذهبي: ج ١٥، ص ٢٨١.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير: ج١٠، ص٣٠٨.

وما شهدته هذه الفترة من تنكيل وقتل لأهل البيت عليهم السلام ابتداءاً من حبس الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في سجن هارون سنين عديدة وقتل حسين صاحب فخ مع ثلاثمائة وثلاثة عشر من الطالبيين وقتل ابنا زيد بن علي زين العابدين عليه السلام وصلبهما[1].

فضلاً عن محنة خلق القرآن في عصر المأمون وغيرها من الحوادث التي ألقت بضلالها على منهج ابن هشام في حذف ما شاء من السيرة النبوية، ولعل ما يسوء الناس ذكره لا يتعدى عن كونه فضائل أهل البيت عليهم السلام ولاسيما فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام الذي لا يناسب ذكرها السلطة العباسية.

له مصنفات منها (كتابٌ في أنساب حمير وملوكها، وكتابٌ في شرح ما وقع في أشعار السّير من الغريب، وكتابٌ في قصص الأنبياء، وكتاب التيجان، فضلا عن جمعه السيرة النبوية التي تدخل في تدوينها بشكل كبير دل عليه قوله واعترافه بذلك حينما ذكر نسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال: (وأنا إن شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم ــ عليهما السلام ــ ومن ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ــ إلى أن يقول: وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب.

١ . مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه ذكر.

٢ . ولا نزل فيه من القرآن شيء.

٣ . وليس سببا لشيء من هذا الكتاب.

---

(١) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني: ص ١٨٦ ــ ١٨٨.

٤ . ولا تفسيراً له.

٥ . ولا شاهداً عليه.

٦ . لما ذكرت من الاختصار

٧ . وأشعارا ذكرها لم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها.

٨ . وأشياء بعضها يشنع الحديث به!.

٩. وبعضها يسوء بعض الناس ذكره!.

١٠ . وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته)[١].

ولقد أقرّ كثير من الحفاظ بتدخل ابن هشام في تدوين السيرة النبوية فحذف منها ما شاء. فقد قال الصفدي: (نقحها وحذف جملة من أشعارها)[٢].

وقال ابن خلكان: (جمع سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذبها ولخصها)[٣].

وقال الذهبي: (سمعها من زياد بن عبد الله صاحب ابن إسحاق، ونقحها، وحذف جملة من أشعارها)[٤].

وقال ابن كثير: (وإنما نسبت إليه، فيقال سيرة ابن هشام، لأنه هذبها، وزاد فيها، ونقص منها، ومرر أماكن، واستدرك أشياء)[٥].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ج ١، ص ٢، ط مكتبة محمد علي صبيح، مصر. السير والمغازي لابن إسحاق، بتحقيق سهيل زكار: ص ١٥ من المقدمة.

(٢) الوافي بالوفيات للصفدي: ج ١٩، ص ١٤٢.

(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان: ج ٣، ص ١٧٧.

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي: ج ١٥، ص ٢٨١.

(٥) البداية والنهاية لابن كثير: ج ١٠، ص ٣٠٨.

والسؤال المطروح هو: أفبعد هذا التدخل الواضح في سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتعرضها لهذه الهجمة من الحذف والطمس، وتضييع الحقائق؛ كيف سيطمئن المسلم إلى أن كثيرا مما (يسوء بعض الناس ذكره) كان فيه بيان لحقيقة إيمان، أو نفاق كثير من الشخصيات الإسلامية التي لعبت يد السلطة في إبرازها في المجتمع؟!.

أو لعل (مما يسوء بعض الناس ذكره) هو امجاد بني هاشم، وشيخهم أبي طالب عليه السلام، مما دفع ابن هشام إلى تركه وحذفه من سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟!.

وعليه: كيف ينقاد دعاة السلطة دار باب المصالح إلى حقيقة إسلام أبي طالب – رضي الله عنه – وذكره سيسوء شانئو علي بن أبي طالب عليه السلام.

الحلقة الثانية: قيام بعض الحفاظ باتهام ابن إسحاق رحمه الله بعد وفاته بتهم عدّة

لقد أدرج بعض الحفاظ ابن إسحاق في مصنفاهم ضمن دائرة الاتهامات، فوجّهوا له عددا من التهم، فمرة اتهموه بالقدريّة، وأخرى بالتدليس، وأخرى بالتشيع الذي ينظرون إليه ـ أي التشيع ـ من أعظم ما اقترفه ابن إسحاق، بل أنه هو السبب الوحيد الذي كان وراء محاربته حيا وميتا.

ومن هؤلاء الخطيب البغدادي، وسائر من سار على رأيه، منهم الحافظ الذهبي، والمزي، وابن سيد الناس[1].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٧، ص ٣٩. تهذيب الكمال: ج ٢٤، ص ٤١٦. عيون الأثر لابن سيد الناس: ج ١، ص ٢١.

فقد قال الخطيب البغدادي (المتوفى سنة ٤٦٣هـ): «وقد أمسك عن الاحتجاج بروايات ابن إسحاق غير واحد من العلماء لأشياء منها: (تشيعه، ونسب إلى القدر، ويدلس في حديثه، فأما الصدق فليس بمدفوع عنه)»[١].

وفي الواقع أن تشيعه هو السبب الوحيد الذي جعل البعض يتهجم على ابن إسحاق، إذ يكفي في ذلك أن البغدادي ابتدأ بذكر التشيع أولا، وأما اتهامه بالقدر فمدفوع عنه بأمرين:

١ . إنّ من عُرف بالتشيع لآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان قد صحب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام فإنه لا يجد غير سبيلهما معتقدا يتقرب به إلى الله عز وجل.

٢ . قال ابن عقدة حدثنا موسى بن هارون بن إسحاق: سمعت عبد الله بن نمير يقول: (كان ابن اسحاق يُرمى بالقدر، وكان أبعد الناس منه[٢].

أما كون (الصدق غير مدفوع عنه) كما قال الخطيب البغدادي والذهبي: فتلك سمة أشياع آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذين وصفهم الله تعالى في محكم كتابه بقوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[٣].

ثم كيف يستقيم الصدق مع التدليس، فمن كان الصدق غير مدفوع عنه يكون التدليس قطعا مدفوعاً عنه، إلا أن يكون للصدق مفهوم آخر عند الخطيب البغدادي والذهبي وغيرهما؟!.

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج ١، ص ٢٣٩.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٧، ص ٤٣. ميزان الاعتدال للذهبي: ج ٣، ص ٤٦٨.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

الحلقة الثالثة: دور بعض الكتاب المعاصرين في محاربة ابن إسحاق

ألف: عرض بعض المحققين[١] شخصية ابن إسحاق بأسوأ مما قام به ابن هشام بن عروة، ومالك بن أنس حينما اتهمه الأول بـ(الكذاب)[٢] والثاني بـ(دجال من الدجاجلة)[٣]. فبينما كان يقدم المحقق للسير والمغازي تحليلا لشخصية مصنفها، وما صاحبه من أحداث قدمه على أنه (زنديق)، محاولا تثبيت ذلك في ذهن القارئ، فقال: (والمصادر تؤيد دعوى مالك، فقد اشتهر عن ابن إسحاق بعد عودته من مصر القول بالقدر وجلد على ذلك بالمدينة، ويبدو أن ابن إسحاق لم ينكر التهمة، فقد دافع عن نفسه عندما اتهمه هشام بن عروة بالكذب على امرأته، لكنه لم يقل شيئا عندما بلغه اتهام مالك له بالزندقة، ولا يعني ذلك أنه كان زنديقا ولكن تلك كانت التهمة التي يوجهها محافظو الرواة إلى القائلين بالقدر من علماء البصرة وغيرها)[٤].

ولا أدري أكان مالك بن أنس من سكان البصرة أم أنه من سكان المدينة؟ حتى اعتاد ما اعتاده الرواة فيها ليتهم ابن إسحاق بالزندقة؛ ثم ما علاقة مالك بما يقوله أهل البصرة؟ أليس هذا تقوّل واضح على مالك بن أنس.

باء ـ لقد حاول المحقق صياغة الحدث حسبما يريد، فجعل سكوت ابن إسحاق على اتهام مالك له سببه مذهب القدرية؛ في حين أن اتهام مالك لابن إسحاق بالدجل كان سببه قول ابن إسحاق: (اعرضوا عليّ حديث مالك) فاستاء مالك من هذا القول فقال: (دجال من الدجاجلة)، فهذا سبب اتهام مالك

(١) السّير والمغازي لابن إسحاق بتحقيق سهيل زكار.

(٢) ميزان الاعتدال للذهبي: ج ٣، ص ٤٧١.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج ٧، ص ٤٩.

(٤) السير والمغازي، تحقيق سهيل زكار: ص ١٢ من المقدمة.

بن أنس لابن إسحاق وهو لا علاقة له بالقدرية كما صوّر المحقق الحالة للقارئ)!.

جيم ـ لم يكن ابن إسحاق حينما قال: (أعرضوا علي حديث مالك) وهو في المدينة، وإنما قاله حينما كان بالري، وفي محضر وزير المنصور، أي بعد خروجه من المدينة وتوجهه إلى الإسكندرية والكوفة وبغداد والري.

وهذا يدل على أن الخلاف بين مالك وابن إسحاق كان عقائديا، ولكن ليس لاعتقاده بالقدرية، كما فهم المحقق، وحاول تثبيت ذلك في ذهن القارئ، مستدلا بسكوت ابن إسحاق وعدم دفاعه عن نفسه حينما اتهمه مالك بالدجل، وإنما كان السبب في الخلاف هو لتشيع ابن إسحاق للعترة النبوية الطاهرة عليهم السلام ولاعتقاد مالك برأي الخوارج ـ كما مرّ بيانه ـ مما دفعه لإخراج ابن إسحاق من المدينة سنة (١١٥) للهجرة وهو في الثلاثين من عمره؛ ليتجه إلى الإسكندرية والكوفة والري وهناك قال: (إعرضوا علي حديث مالك فأنا بيطارها) فأساء ذلك مالكاً فوجد أن أفضل طريقة لإسقاط هذا القول هو الإشاعة بين الناس: أن محمد بن إسحاق يؤمن بالقدرية، وهذا لا يؤهله لتقييم أحاديث مالك، وستسقطه هذه التهمة بين الناس فلا يأخذون بقوله، ومن ثم يستطيع مالك أن يحفظ سمعته وأحاديثه بين الناس.

وقد تغافل المحقق عن هذه الحقيقة التي حاول عدم إظهارها بشكل واضح حينما قال: (لقد كان للنزاع إذن وجه آخر له يمكن اعتباره علمياً محضا بل له جانبه السياسي)[1].

وفي موضع آخر يظهر هذه الحقيقة بشكل أوضح فيقول: (بالإضافة إلى ذلك، ذلك سرى اتهامه بالتشيع وكانت تلك تهمة تنال أكثر الذين يعملون في مجال

---

(١) السيرة والمغازي لابن إسحاق بتحقيق سهيل زكار: ص ١١ من المقدمة.

سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ وقديما ود عبد الملك بن مروان لو لم يشغل أحد بالسيرة لما فيها من تقديم لبني هاشم وللأنصار، فدفع هذا كله ابن إسحاق إلى مغادرة المدينة، وكان قد ضاق واشتد حاله)[1].

دال ــ ثم لم يكتف المحقق بتثبيت تهمة الزندقة وإلصاقها بمصنف السيرة النبوية؛ وإنما تثبيت كونه ممن يؤمن بالقدرية فقال: (وتوجهه إلى أبي جعفر المنصور لم يتم مصادفة، فقد كان يعرفه في الغالب قبل وصول العباسيين للسلطة كما أنه كانت للعباسيين صلات طيبة بالقدرية في أول الأمر)[2].

هاء ـ كما ولم يكتفِ المحقق أيضا من اتهام ابن إسحاق بهذا كله، وإنما سرى اتهامه لرواته الثلاثة، فعزى الطابع الشيعي الشديد إلى روايات يونس بن بكير، لكونه روى عن سلمان الفارسي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أن عليا خير الوصيين)[3]؛ كما أنّ (سبطيه خير الأسباط)[4].

في حين غفل المحقق عن قوله الذي دافع فيه عن سيرة ابن إسحاق بأنه: (سرى اتهامه بالتشيع، وكانت تلك تهمة تنال أكثر الذين يعملون في مجال سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم)[5].

---

(١) السيرة والمغازي بتحقيق سهيل زكار: ص ١٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص ٢٥٣. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج١٣، ص٢٣٣. تفسير الصافي للفيض الكاشاني: ج١، ص١٣٢. وقد أشار إليه المحقق في ص١٣ ــ ١٤ من المقدمة.

(٤) معاني الأخبار للصدوق: ص ٥٩. المحتضر للحلي: ص ٨٤. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج ٣٣، ص ٢٨٣. وقد أشار إليه المحقق في ص ١٣ ــ ١٤ من المقدمة.

(٥) السيرة والمغازي بتحقيق سهيل زكار: ص ١٢ من المقدمة.

فإذا كانت هذه التهمة تلاحق كتاب السيرة النبوية سابقا؛ فإنها تلاحقهم حاضرا، كما فعل نفسه المحقق حينما وصف روايات يونس بن بكير بـ(طابع التشيع الشديد) لروايته قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في علي وولديه عليهم السلام.

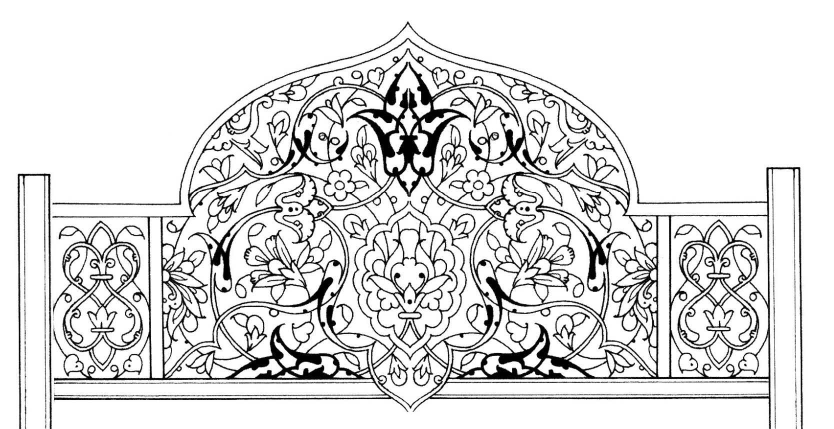
وهذا يكشف في الواقع عن الأسباب التي أدت إلى التلاعب بسيرة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم؛ فبين الماضي والحاضر كانت فضائل العترة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم وبني هاشم والأنصار تلقي بضلالها على أذهان الكتاب، ولم يمنعهم تغير الأزمنة وتعدد الثقافات من التحرر من تلك النزعات العقائدية والميولات النفسية. وعليه: كيف ينصف أصحاب الأقلام قديما وحديثا سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهي التي قد زخرت بفضائل بني هاشم!؟، وهم هذا حالهم.

وخلاصة القول:

١ . إننا لا يمكن أن نعتقد بصحة كل ما ورد في المصادر التي تناولت سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم سواء كانت في مصادر علم التاريخ أو الحديث أو الرجال أو المغازي والسير أو الآثار ما لم يعرض ذلك على مائدة البحث العلمي والموضوعي، فما كان منه موافقاً للثقلين: الكتاب الكريم والعترة الطاهرة عليهم السلام أخذنا به، وما لم يوافقهما فهو هواء في شبك.

٢ . لولا مدرسة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم لما عرف المسلمون وغيرهم شيئاً عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضلاً عن العلوم الإسلامية على الرغم من تعرضهم للاضطهاد على مرّ التاريخ.

﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾.



فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

قالت فاطمة الزهراء عليها السلام

أعلام ـ أ ـ

أعلام ـ ب ـ

المصادر والمراجع

١. ابن حجر / الوفاة: ٨٥٢ / دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الطبعة: الثانية / سنة الطبع: ١٤١٥ ـ ١٩٩٥ م / الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

٢. ابن ماكولا / اكمال الكمال / الوفاة: ٤٧٥ / الناشر: دار إحياء التراث العربي.

٣. أحاديث أم المؤمنين عائشة / السيد مرتضى العسكري / الطبعة: الخامسة / سنة الطبع: ١٤١٤ ـ ١٩٩٤ م / المطبعة: صدر / الناشر: التوحيد للنشر.

٤. الاختصاص / الشيخ المفيد / الوفاة: ٤١٣ / تحقيق: علي أكبر الغفاري، السيد محمود الزرندي / الطبعة: الثانية سنة الطبع: ١٤١٤ ـ ١٩٩٣ م الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان.

٥. اختيار معرفة الرجال / الشيخ الطوسي / الوفاة: ٤٦٠ / المطبعة: بعثت ـ قم / سنة الطبع: ١٤٠٤ / تصحيح وتعليق: مير داماد الأسترابادي / تحقيق: السيد مهدي الرجائي / الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

٦. الإرشاد / الشيخ المفيد / الوفاة: ٤١٣/ تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث / الطبعة: الثانية سنة الطبع: ١٤١٤ ـ ١٩٩٣ م / الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان.

٧. الاستبصار / الشيخ الطوسي / الوفاة: ٤٦٠ / تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوي الخرسان / الطبعة: الرابعة / سنة الطبع: ١٣٦٣ ش / الناشر: دار الكتب الإسلامية ـ طهران.

٨. الاستذكار / ابن عبد البر / الوفاة: ٤٦٣ / تحقيق: سالم محمد عطا محمد علي معوض / الطبعة: الأولى سنة الطبع: ٢٠٠٠م / المطبعة: بيروت ـ دار الكتب العلمية.

٩. الاستيعاب / ابن عبد البر / الوفاة: ٤٦٣/ تحقيق: علي محمد البجاوي / الطبعة: الأولى / المطبعة: بيروت ـ دار الجيل / سنة الطبع: ١٤١٢.

١٠. الإصابة / ابن حجر / الوفاة: ٨٥٢ / تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤١٥الناشر: دار الكتب العلمية. بيروت.

١١. الاعتقادات في دين الأمامية / الشيخ الصدوق / الوفاة: ٣١٨ / الطبعة: الثانية / تحقيق: عصام عبد السيد / الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان / سنة الطبع: ١٤١٤ ـ ١٩٩٣ م.

١٢. أعيان الشيعة / السيد محسن الأمين / الوفاة: ١٣٧١ / تحقيق وتخريج: حسن الأمين / الناشر: دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان.

١٣. الاغاني / لأبي فرج الاصبهاني/ دار الكتب العلمية / بيروت ـ لبنان.

١٤. الأمالي / الشيخ الطوسي / الوفاة: ٤٦٠/ تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية ـ مؤسسة البعثة / الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤١٤ / الناشر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ـ قم.

١٥. الأمالي / الشيخ المفيد/ لوفاة: /تحقيق: حسين الأستاد ولي، علي أكبر الغفاري الطبعة: الثانية / سنة الطبع: ١٤١٤ ــ ١٩٩٣ م /الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان.

١٦. إمتاع الأسماع / المقريزي / الوفاة: ٨٤٥ / الطبعة: الأولى/ تحقيق وتعليق: محمد عبد الحميد النميسي سنة الطبع: ١٤٢٠ ــ ١٩٩٩ م / الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

١٧. انساب الأشراف / البلاذري / الوفاة: ٢٧٩ / تحقيق وتعليق: الشيخ محمد باقر المحمودي / الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٣٩٤ ــ ١٩٧٤ م / الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان الكتاب: إكمال الكمال.

١٨. الإيضاح / الفضل بن شاذان الأزدي / الوفاة ٢٦٠ / تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث الناشر: مؤسسة انتشارات دانشكاه تهران / سنة الطبع: ١٣٦٣ ش.

١٩. إيضاح المكنون / إسماعيل باشا البغدادي / الوفاة: ١٣٣٩/ تصحيح: محمد شرف الدين يالتقايا، رفعت بيلكه الكليسي / الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

٢٠. بحار الأنوار /العلامة المجلسي/ الوفاة: ١١١١/ الطبعة: الثانية المصححة / سنة الطبع: ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣ م الناشر: مؤسسة الوفاء ـ بيروت ـ لبنان.

٢١. بحر الدم (في من مدحه أحمد أو ذمه) يوسف بن المبرد / الوفاة: ٩٠٩ / تحقيق وتعليق: الدكتورة روحية عبد الرحمن السويفي / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤١٣ ـ ١٩٩٢ م / الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

٢٢. البداية والنهاية / ابن كثير / الوفاة: ٧٧٤ / تحقيق وتدقيق وتعليق: علي شيري / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤٠٨ ــ ١٩٨٨ م / الناشر: دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ـ لبنان.

٢٣. بصائر الدرجات / محمد بن الحسن الصفار / الوفاة: ٢٩٠ / تصحيح وتعليق وتقديم: الحاج ميرزا حسن كوجه باغي /سنة الطبع: ١٤٠٤ ــ ١٣٦٢ ش /الناشر: منشورات الأعلمي ـ طهران.

٢٤. بلاغات النساء / ابن طيفور / الوفاة: ٣٨٠ / الناشر: مكتبة بصيرتي. قم المقدسة.

٢٥. بلاغة الإمام علي بن الحسين عليه السلام / جعفر عباس الحائري / جمع وتحقيق: جعفر عباس الحائري / الطبعة الأولى /سنة الطبع: ١٤٢٥ ــ ١٣٨٣ش / المطبعة: دار الحديث.

٢٦. تاريخ ابن خلدون / ابن خلدون / الوفاة: ٨٠٨ / الطبعة: الرابعة / الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

٢٧. تاريخ التراث العربي / فؤاد سزكين / الطبعة الثانية ١٢١٢ هـ ق /الناشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة ـ قم ـ إيران.

٢٨. تاريخ الخلفاء / للسيوطي / تحقيق محمد فخر الدين.

٢٩. التاريخ الصغير / البخاري / الوفاة: ٢٥٦ / تحقيق: محمود إبراهيم زايد / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤٠٦ الناشر: دار المعرفة ـ بيروت.

٣٠. تاريخ الطبري / الطبري / الوفاة: ٣١٠ / مراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلاء / الطبعة: الرابعة / سنة الطبع: ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣ م / الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان.

٣١. التاريخ العربي والمؤرخون / شاكر مصطفى /الطبعة الثانية / دار العلم للمليين.

٣٢. التاريخ الكبير / البخاري / الوفاة: ٢٥٦ / الناشر: المكتبة الإسلامية ـ ديار بكر ـ تركيا.

٣٣. تاريخ اليعقوبي / اليعقوبي / الوفاة: ٢٨٤ / الناشر: دار صادر ــ بيروت ــ لبنان لكتاب: التعديل والتجريح.

٣٤. تاريخ بغداد / الخطيب البغدادي / الوفاة: ٤٦٣ / دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا / الطبعة: الأولى /سنة الطبع: ١٤١٧ ــ ١٩٩٧ م / الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

٣٥. تاريخ مدينة دمشق / ابن عساكر / الوفاة: ٥٧١ / تحقيق: علي شيري / سنة الطبع: ١٤١٥ / الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان.

٣٦. تحف العقول / ابن شعبة الحراني / الوفاة: ق ٤ / تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري / الطبعة: الثانية سنة الطبع: ١٤٠٤ ــ ١٣٦٣ ش / الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٣٧. تحفة الأحوذي / المباركفوري /الوفاة: ١٢٨٢ / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤١٠ ـ ١٩٩٠ م / الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

٣٨. تحقيق بشير المازندراني / تحقيق: بشير المازندراني /الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤٠٩ الناشر: المركز العالمي للدراسات الإسلامية.

٣٩. تدريب الراوي / جلال الدين السيوطي / حققه عرفان العشا حسونة / دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ـ لبنان.

٤٠. تذكرة الحفاظ / الذهبي / الوفاة: ٧٤٨ / الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان لكتاب: تاريخ الإسلام.

٤١. تفسير الآلوسي /الآلوسي /الوفاة: ١٢٧٠.

٤٢. تفسير الإمام العسكري عليه السلام / المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / الوفاة: ٢٦٠ / تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف الطبعة: الأولى محققة / سنة الطبع: ربيع الأول ١٤٠٩ / الناشر: مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ـ قم المقدسة.

٤٣. تفسير الثعلبي / الثعلبي / الوفاة: ٤٢٧ / تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي / الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤٢٢ ـ ٢٠٠٢م / الناشر: دار إحياء التراث العربي.

٤٤. التفسير الصافي / الفيض الكاشاني / الوفاة: ١٠٩١ / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: رمضان ١٤١٦ ـ ١٣٧٤ ش الناشر: مكتبة الصدر ـ طهران.

٤٥. تفسير الميزان /السيد الطباطبائي / الوفاة: ١٤١٢/ الناشر: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ـ قم المقدسة.

٤٦. تهذيب التهذيب / ابن حجر / الوفاة: ٨٥٢ / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤٠٤ ـ ١٩٨٤ م / الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان.

٤٧. التوحيد / الشيخ الصدوق / الوفاة: ٣٨١ / تصحيح وتعليق: السيد هاشم الحسيني الطهراني / الناشر: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.

٤٨. الثاقب في المناقب / ابن حمزة الطوسي / الوفاة: ٥٦٠ / تحقيق: نبيل رضا علوان / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: ١٤١٢ /الناشر: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر ـ قم المقدسة.

٤٩. الثقات / ابن حبان / الوفاة: ٣٥٤ / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٣٩٣الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية الكتاب: ثواب الأعمال.

٥٠. جامع الرواة / محمد علي الأردبيلي / الوفاة: ١١٠١ / الناشر: مكتبة المحمدي.

٥١. جامع بيان العلم وفضله / ابن عبد البر / الوفاة: ٤٦٣/ سنة الطبع: ١٣٩٨/ الناشر: دار الكتب العلمية.

٥٢. الجرح والتعديل الرازي / الوفاة: ٣٢٧ / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٣٧١ ــ ١٩٥٢ م / الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٥٣. جمهرة اللغة / لابن دريد / الطبعة الأولى / دار الكتب العلمية بيروت ــ لبنان / منشورات محمد علي بيضون.

٥٤. حلية الأولياء/ لأبي نعيم / تحقيق مصطفى عبد القادر عطا / الطبعة الثانية / دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.

٥٥. الخصال / الشيخ الصدوق / الوفاة: ٣٨١ / تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري / سنة الطبع: ١٨ ذي القعدة الحرام ١٤٠٣ ـ ١٣٦٢ ش الناشر: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.

٥٦. خلاصة عبقات الأنوار / لسيد حامد النقوي / الوفاة: ١٣٠٦ / سنة الطبع: ١٤٠٥ / الناشر: مؤسسة البعثة ـ قسم الدراسات الإسلامية ـ طهران ـ ايران.

٥٧. الدر المنثور / جلال الدين السيوطي / الوفاة: ٩١١/ الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان.

٥٨. دراسات في منهاج السنة لمعرفة ابن تيمية، مدخل لشرح منهاج الكرامة / السيد علي الميلاني / الطبعة: الأولى/ سنة الطبع: ١٤١٩ الناشر: المؤلف.

٥٩. دراسة مصادر السيرة النبوية / سامي البدري / دار الفقه للطباعة والنشر / الطبعة الاولى.

٦٠. دلائل الامامة / المؤلف: محمد بن جرير الطبري (الشيعي) / الوفاة: ق ٤ تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية ـ مؤسسة البعثة ـ قم / الطبعة: الأولى سنة الطبع: ١٤١٣ / الناشر: مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة.

٦١. الذريعة / آقا بزرك الطهراني الوفاة: ١٣٨٩ / الطبعة: الثالثة سنة الطبع: ١٤٠٣ ــ ١٩٨٣ م / الناشر: دار الأضواء ـ بيروت ـ لبنان.

٦٢. ذكر أخبار إصبهان / الحافظ الأصبهاني / الوفاة: ٤٣٠ / سنة الطبع: ١٩٣٤ م / المطبعة: بريل ـ ليدن المحروسة.

٦٣. الذهبي / الوفاة: ٧٤٨ / تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمرى / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤٠٧ ـ ١٩٨٧م الناشر: دار الكتاب العربي.

٦٤. رجال ابن داود / ابن داوود الحلي/ الوفاة: ٧٤٠ / تحقيق وتقديم: السيد محمد صادق آل بحر العلوم / سنة الطبع: ١٣٩٢ ـ ١٩٧٢ م / الناشر: منشورات مطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف.

٦٥. رجال النجاشي / النجاشي / الوفاة: ٤٥٠ / الطبعة: الخامسة / سنة الطبع: ١٤١٦ / الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٦٦. رحمة الأمة في اختلاف الأئمة / الدمشقي / دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.

٦٧. الرسائل العشر / الشيخ الطوسي / الوفاة: ٤٦٠ / الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ـ إيران.

٦٨. رسالة أبي داود في وصف سننه / سليمان بن الأشعث / الوفاة: ٢٧٥ / تحقيق: محمد الصباغ / الناشر: دار العربية ـ بيروت السنن الكبرى / البيهقي / الوفاة: ٤٥٨ / الناشر: دار الفكر.

٦٩. سعد السعود / السيد ابن طاووس / الوفاة: ٦٦٤ / سنة الطبع: ١٣٦٣ / الناشر: منشورات الرضى ـ قم.

٧٠. سليمان بن خلف الباجي / الوفاة: ٤٧٤ / تحقيق: الأستاذ أحمد البزار / الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ مراكش.

٧١. سمط الالي / للبكري / نسخه وصححه ونقحه وحققه عبد العزيز الميمني.

٧٢. سنن ابن ماجة / محمد بن يزيد القزويني / تحقيق وترقيم وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي / الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٧٣. سنن الدارمي /عبد الله بن بهرام الدارمي / الوفاة: ٢٥٥ /سنة الطبع: ١٣٤٩ مطبعة الاعتدال ـ دمشق.

٧٤. سنن النسائي / النسائي / الوفاة: ٣٠٣ / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٣٤٨ ـ ١٩٣٠ م / الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت لبنان.

٧٥. السيد على خان المدنى / الوفاة: ١١٢٠ / تقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم / سنة الطبع: ١٣٩٧ / الناشر: منشورات مكتبة بصيرتي ـ قم.

٧٦. سير أعلام النبلاء / الذهبي / الوفاة: ٧٤٨ / إشراف وتخريج: شعيب الأرنئوط / تحقيق: حسين الأسد / الطبعة: التاسعة / سنة الطبع: ١٤١٣ ـ ١٩٩٣ م / الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان.

٧٧. سيرة ابن إسحاق / محمد بن إسحاق بن يسار / الوفاة: ١٥١/ تحقيق: محمد حميد الله / الناشر: معهد الدراسات والأبحاث للتعريف.

٧٨. السيرة والمغازي /محمد بن إسحاق بن يسار / الوفاة: ١٥١هـ / تحقيق الدكتور سهيل ازكار / المطبعة دار الفكر.

٧٩. شذرات الذهب / لابن العماد / تحقيق مصطفى عبد القادر عطا / الطبعى الاولى / دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.

٨٠. شرح إحقاق الحق / السيد المرعشي / الوفاة: ١٤١١ / تعليق: السيد شهاب الدين المرعشي النجفي / تصحيح: السيد إبراهيم الميانجي / الناشر: منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ـ قم ـ إيران.

٨١. شرح الأخبار / القاضي النعمان المغربي / الوفاة: ٣٦٣ / تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلالي / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: ١٤١٤ / الناشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٨٢. شرح المواهب / للزرقاني / دار الكتبة العلمية بيروت ـ لبنان.

٨٣. شواهد التنزيل / الحاكم الحسكاني / الوفاة: ق ٥ / تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤١١ ـ ١٩٩٠ م /الناشر: مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ـ مجمع إحياء الثقافة.

٨٤. الشيخ الصدوق / الوفاة: ٣٨١ / تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: ١٣٦٨ ش / الناشر: منشورات الشريف الرضي ـ قم.

٨٥. صحيح البخاري / البخاري / الوفاة: ٢٥٦ / سنة الطبع: ١٤٠١ ـ ١٩٨١ م الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٨٦. صحيح مسلم / مسلم النيسابوري / الوفاة: ٢٦١ / الناشر: دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان.

٨٧. الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم / السيد جعفر مرتضى / الطبعة: الرابعة / سنة الطبع: ١٤١٥ ـ ١٩٩٥ م / الناشر: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان / دار السيرة ـ بيروت ـ لبنان.

٨٨. الصحيفة السجادية الكاملة / الإمام زين العابدين عليه السلام / خط: حاج عبد الرحيم أفشاري زنجاني / سنة الطبع: ١٤٠٤ ــ ١٣٦٣ ش الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٨٩. الصراط المستقيم / علي بن يونس العاملي / الوفاة: ٨٧٧ / تصحيح وتعليق: محمد الباقر البهبودي / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٣٨٤ الناشر: المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية.

٩٠. الطبقات الكبرى / محمد بن سعد / الوفاة: ٢٣٠ / الناشر: دار صادر ـ بيروت.

٩١. طرائف المقال / السيد علي البروجردي الوفاة: ١٣١٣ تحقيق: السيد مهدي الرجائي / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤١٠ الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة ـ قم المقدسة.

٩٢. الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف / السيد ابن طاووس / الوفاة: ٦٦٤ / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٣٩٩ / المطبعة: الخيام ـ قم.

٩٣. العقد النضيد والدر الفريد / محمد بن الحسن القمي / الوفاة: ق ٧ / تحقيق: علي أوسط الناطقي / المساعد: سيد هاشم شهرستاني، لطيف فرادي / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤٢٣ ـ ١٣٨١ش / الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر.

٩٤. العلل / أحمد بن حنبل / الوفاة: ٢٤١ / تحقيق: الدكتور وصي الله بن محمود عباس / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤٠٨ / الناشر: دار الخاني ـ الرياض.

٩٥. العمدة / ابن البطريق / الوفاة: ٦٠٠ / سنة الطبع: جمادي الأولى ١٤٠٧ الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٩٦. العهود المحمدية / الشعراني / الوفاة: ٩٧٣ / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: ١٣٩٣ ــ ١٩٧٣ م / الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٩٧. عيون الأثر / ابن سيد الناس / الوفاة: ٧٣٤ / الطبعة: جديدة مصححة / سنة الطبع: ١٤٠٦ ـ ١٩٨٦ م / الناشر: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان.
٩٨. الغارات / إبراهيم بن محمد الثقفي / الوفاة: ٢٨٣ / تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث.
٩٩. غاية المرام / السيد هاشم البحراني / الوفاة: ١١٠٧ / تحقيق: السيد علي عاشور.
١٠٠. الغدير / الشيخ الأميني / الوفاة: ١٣٩٢ / الطبعة: الرابعة / سنة الطبع: ١٣٩٧ ــ ١٩٧٧ م / الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان.
١٠١. الفايق في غريب الحديث / جار الله الزمخشري / الوفاة: ٥٣٨ / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤١٧ ـ ١٩٩٦ م / الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت.
١٠٢. فتح الباري / ابن حجر / الوفاة: ٨٥٢ / الطبعة: الثانية / الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ـ لبنان.
١٠٣. فتح القدير / الشوكاني / الوفاة: ١٢٥٥ / الناشر: عالم الكتب.
١٠٤. فتح الملك العلى / أحمد بن الصديق المغربي / الوفاة: ١٣٨٠ / تحقيق وتعليق وتصحيح الأسانيد: محمد هادي الأميني / الطبعة: الثالثة / سنة الطبع: ١٤٠٣ ــ ١٣٦٢ ش / الناشر: مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامة ـ أصفهان.
١٠٥. الفصول المهمة في معرفة الأئمة / ابن الصباغ / الوفاة: ٨٥٥ / تحقيق: سامي الغريري / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤٢٢ / الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر.
١٠٦. الفصول في الأصول / الجصاص / الوفاة: ٣٧٠ / تحقيق: دكتور عجيل جاسم النمشي / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤٠٥.
١٠٧. الفضائل / شاذان بن جبرئيل القمي / الوفاة: ن ٦٦٠ / سنة الطبع: ١٣٨١ ــ ١٩٦٢ م / الناشر: منشورات المطبعة الحيدرية ومكتبتها ـ النجف الأشرف.
١٠٨. فلك النجاة في الإمامة والصلاة / علي محمد فتح الدين الحنفي / الوفاة: ١٣٧١ تحقيق وتقديم: الشيخ ملا أصغر علي محمد جعفر / سنة الطبع: ١٤١٨ ــ ١٩٩٧ م / الناشر: مؤسسة دار الإسلام.

١٠٩. الفهرست / الشيخ الطوسي / الوفاة: ٤٦٠ / تحقيق: الشيخ جواد القيومي الطبعة: الأولى / سنة الطبع: شعبان المعظم ١٤١٧ / الناشر: مؤسسة نشر الفقاهة.

١١٠. فهرست ابن النديم / ابن النديم البغدادي / الوفاة: ٤٣٨ / تحقيق: رضا ـ تجدد.

١١١. الكافي / الشيخ الكليني / الوفاة: ٣٢٩ / تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري / الطبعة: الخامسة / سنة الطبع: ١٣٦٣ ش / المطبعة: حيدري.

١١٢. الكامل في التاريخ / ابن الأثير / الوفاة: ٦٣٠ / سنة الطبع: ١٣٨٦ ـ ١٩٦٦م الناشر: دار صادر للطباعة والنشر ـ دار بيروت للطباعة والنشر.

١١٣. كتاب الأربعين / محمد طاهر القمي الشيرازي / الوفاة: ١٠٩٨ / تحقيق: السيد مهدي الرجائي / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤١٨ / الناشر: المحقق.

١١٤. كتاب الأم / الإمام الشافعي / الوفاة: ٢٠٤ / الطبعة: الثاني / سنة الطبع: ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣ م / الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١١٥. كتاب العين / الخليل الفراهيدي / الوفاة: ١٧٠ / تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، الدكتور إبراهيم السامرائي / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: ١٤٠٩ / الناشر: مؤسسة دار الهجرة.

١١٦. كتاب الغيبة / محمد بن إبراهيم النعماني / الوفاة: ٣٨٠ / تحقيق: فارس حسون كريم / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤٢٢ / الناشر: أنوار الهدى.

١١٧. كتاب الفتوح / أحمد بن أعثم الكوفي / الوفاة: ٣١٤ / تحقيق: علي شيري (ماجستر في التاريخ الإسلامي) / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤١١ / الناشر: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع.

١١٨. كتاب المنمق / محمد بن حبيب البغدادي / الوفاة: ٢٤٥ / صححه وعلق عليه خورشيد أحمد فاروق.

١١٩. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل / الزمخشري / الوفاة: ٥٣٨ سنة الطبع: ١٣٨٥ ـ ١٩٦٦ م /الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم ـ خلفاء.

١٢٠. كشف الظنون / حاجي خليفة / الوفاة: ١٠٦٧ / الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

١٢١. كشف المحجة لثمرة المهجة / السيد ابن طاووس / الوفاة: ٦٦٤ / سنة الطبع: ١٣٧٠ ـ ١٩٥٠ م / الناشر: المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف.

١٢٢. كفاية الأثر/ الخزاز القمي / الوفاة: ٤٠٠ / تحقيق: السيد عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي / سنة الطبع: ١٤٠١ / الناشر: انتشارات بيدار.

١٢٣. كنز العمال / المتقي الهندي / الوفاة: ٩٧٥ / ضبط وتفسير: الشيخ بكري حياني / سنة الطبع: ١٤٠٩ ـ ١٩٨٩ م / الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ لبنان.

١٢٤. كنز الفوائد / أبو الفتح الكراجكي / الوفاة: ٤٤٩ / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: ١٣٦٩ ش / الناشر: مكتبة المصطفوي ـ قم.

١٢٥. لسان العرب / ابن منظور / الوفاة: ٧١١ / سنة الطبع: محرم ١٤٠٥ الناشر: نشر أدب الحوزة ـ قم ـ ايران.

١٢٦. اللهوف في قتلى الطفوف / السيد ابن طاووس / الوفاة: ٦٦٤ / سنة الطبع: ١٤١٧الناشر: أنوار الهدى ـ قم ـ إيران.

١٢٧. مثير الأحزان / ابن نما الحلي / الوفاة: ٦٤٥ / سنة الطبع: ١٣٦٩ ـ ١٩٥٠ م / الناشر: المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف.

١٢٨. مجمع البحرين /الشيخ الطريحي / الوفاة: ١٠٨٥ / تحقيق: السيد أحمد الحسيني / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: ١٤٠٨ ـ ١٣٦٧ ش / الناشر: مكتب النشر الثقافة الإسلامية.

١٢٩. مجمع الزوائد / الهيثمي /الوفاة: ٨٠٧ / سنة الطبع: ١٤٠٨ ـ ١٩٨٨ م الناشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

١٣٠. مختصر أخبار شعراء الشيعة / المرزباني الخراساني / الوفاة: ٣٨٤ تحقيق: الشيخ محمد هادي الأميني / الطبعة: الثانية /سنة الطبع: ١٤١٣ ـ ١٩٩٣ م / الناشر: شركة الكتبي للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان.

١٣١. مرآة الكتب / التبريزي / الوفاة: ١٣٣٠ / تحقيق: محمد علي الحائري / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤١٤ / الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي العامة ـ قم.

١٣٢. المستدرك /الحاكم النيسابوري /الوفاة: ٤٠٥ / إشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشلي.

١٣٣. مستدرك الوسائل / الميرزا النوري / الوفاة: ١٣٢٠ / تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / الطبعة: الأولى المحققة / سنة الطبع: ١٤٠٨ ــ ١٩٨٧ م / الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ بيروت ـ لبنان.

١٣٤. المسترشد / محمد بن جرير الطبري (الشيعي) / الوفاة: ق ٤ / تحقيق: الشيخ أحمد المحمودي / الطبعة: الأولى المحققة / سنة الطبع: ١٤١٥ / الناشر: مؤسسة الثقافة الإسلامية لكوشانبور.

١٣٥. مسند احمد /الإمام احمد بن حنبل / الوفاة: ٢٤١ / الناشر: دار صادر ــ بيروت ــ لبنان.

١٣٦. مسند الشهاب / ابن سلامة / الوفاة: ٤٥٤ / تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي سنة الطبع: ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥ م / الناشر: مؤسسة الرسالة ـ بيروت.

١٣٧. مسند محمد بن قيس البجلي حول قضايا أمير المؤمنين عليه السلام وغيرها.

١٣٨. مشاهير علماء الأمصار / ابن حبان / الوفاة: ٣٥٤ / تحقيق: مرزوق علي إبراهيم / الطبعة: الأولى/ سنة الطبع: ١٤١١ / الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ المنصورة.

١٣٩. المصنف / عبد الرزاق الصنعاني / الوفاة: ٢١١ / تحقيق: عني بتحقيق نصوصه وتخريج أحاديثه والتعليق عليه الشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظمي.

١٤٠. المعارف / ابن قتيبة / الوفاة: ٢٧٦ / تحقيق: دكتور ثروت عكاشة / المطبعة: القاهرة ـ دار المعارف / الناشر: دار المعارف.

١٤١. معجم البلدان / لياقوت الحموي / دار صادر بيروت ـ لبنان.

١٤٢. المعجم الكبير /الطبراني / الوفاة: ٣٦٠ / تحقيق وتخريج: حمدي عبد المجيد السلفي / الطبعة: الثانية، مزيدة ومنقحة / الناشر: دار إحياء التراث العربي.

١٤٣. معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة / دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان.
١٤٤. معجم المطبوعات العربية / إلياس سركيس / الوفاة: ١٣٥١ / سنة الطبع: ١٤١٠ / الناشر: مكتبة آية الله المرعشي النجفي ـ قم المقدسة.
١٤٥. معجم رجال الحديث / السيد الخوئي / الوفاة: ١٤١١ / الطبعة: الخامسة /سنة الطبع: ١٤١٣ ـ ١٩٩٢ م.
١٤٦. مفهوم التاريخ / عبد الله العروي / الطبعة الرابعة / الناشر المركز الثقافي العربي الدار البيضاء المغرب.
١٤٧. الملل والنحل /الشهرستاني / الوفاة: ٥٤٨ / تحقيق: محمد سيد كيلاني الناشر: دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان.
١٤٨. من حياة الخليفة عمر بن الخطاب / عبد الرحمن أحمد البكري / الطبعة: السابعة / سنة الطبع: ١٠ ـ ٥ ـ ٢٠٠٥م / الناشر: الإرشاد للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لندن.
١٤٩. مناقب آل أبي طالب / ابن شهر آشوب / الوفاة: ٥٨٨ / تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف /سنة الطبع: ١٣٧٦ ـ ١٩٥٦ م / الناشر: المكتبة الحيدرية ـ النجف الأشرف الكتاب: معاني الأخبار.
١٥٠. المنتخب من ذيل المذيل / الطبري / الوفاة: ٣١٠ / الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان مطالب السؤول في مناقب آل الرسول عليهم السلام /محمد بن طلحة الشافعي / الوفاة: ٦٥٢ / تحقيق: ماجد ابن أحمد العطية.
١٥١. منتهى الآمال / الشيخ عباس القمي / الناشر محبين / الطبعة الثالثة.
١٥٢. منية المريد / الشهيد الثاني / الوفاة: ٩٦٦ / تحقيق: رضا المختاري / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤٠٩ ـ ١٣٦٨ ش / الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي.
١٥٣. المهذب /القاضي ابن البراج / الوفاة: ٤٨١ / إعداد: مؤسسة سيد الشهداء العلمية / إشراف: جعفر السبحاني / سنة الطبع: ١٤٠٦ / الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
١٥٤. ميرزا حسين النوري الطبرسي / الوفاة: ١٣٢٠ / تحقيق: جواد القيومي الجزهاي الأصفهاني / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤١١ ـ ١٣٦٩ ش الناشر: مؤسسة الآفاق.

١٥٥. ميزان الحكمة / محمد الريشهري / تحقيق: دار الحديث /الطبعة: الأولى /الناشر: دار الحديث.

١٥٦. ناسخ الحديث ومنسوخه / عمر بن شاهين / الوفاة: ٣٨٥ / تحقيق: الدكتورة كريمة بنت علي.

١٥٧. النجوم الزاهرة / لابن تغري بردي / الطبعة الأولى / دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.

١٥٨. نشأة علم التاريخ عند العرب / عبد العزيز الدوري / الطبعة الأولى / الناشر مركز دراسات الوحدة العربية / الحمراء ـ بيروت ـ لبنان.

١٥٩. النص والاجتهاد / السيد شرف الدين / الوفاة: ١٣٧٧ / تحقيق وتعليق: أبو مجتبى / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤٠٤ / الناشر: أبو مجتبى

١٦٠. نصب الراية / الزيلعي / الوفاة: ٧٦٢ / اعتنى بهما: أيمن صالح شعبان / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤١٥ ـ ١٩٩٥ الناشر: دار الحديث ـ القاهرة.

١٦١. النظرية القرآنية لتفسير حركة التاريخ / الدكتور حسن سلمان / مؤسسة الوفاء بيروت ـ لبنان /منتدى الفكر الإسلامي.

١٦٢. نقد الرجال / التفرشي / الوفاة: ق ١١ / تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: شوال ١٤١٨ / الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم

١٦٣. نكت الهيمان / للصفدي / حققه مصطفى عبد القادر عطا / الناشر دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان / الطبعة الأولى.

١٦٤. النهاية في غريب الحديث / ابن الأثير / الوفاة: ٦٠٦ /تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي / الطبعة: الرابعة / سنة الطبع: ١٣٦٤ ش الناشر: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع ـ قم ـ إيران.

١٦٥. نهج البلاغة / خطب الإمام علي عليه السلام / الوفاة: ٤٠ / شرح: الشيخ محمد عبده / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤١٢ ـ ١٣٧٠ ش / المطبعة: النهضة ـ قم.

١٦٦. نهج الحق وكشف الصدق / العلامة الحلي / الوفاة: ٧٢٦ / تقديم: السيد رضا الصدر / تعليق: الشيخ عين الله الحسني الأرموي سنة الطبع: ذي الحجة ١٤٢١ / الناشر: مؤسسة الطباعة والنشر دار الهجرة ـ قم.

١٦٧. نهج السعادة / الشيخ المحمودي / الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان.

١٦٨. هدية العارفين/ إسماعيل باشا البغدادي/ الوفاة: ١٣٣٩ / الناشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

١٦٩. وسائل الشيعة (آل البيت) / الحر العاملي / الوفاة: ١١٠٤ / تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: ١٤١٤ الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث بقم المشرفة.

١٧٠. وضوء النبي صلى الله عليه وآله وسلم / السيد علي الشهرستاني / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: جمادي الآخرة ١٤١٥ / الناشر: المؤلف.

١٧١. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان / ابن خلكان / الوفاة: ٦٨١ / تحقيق: إحسان عباس / الناشر: دار الثقافة.

١٧٢. ينابيع المودة لذوي القربى / القندوزي / الوفاة: ١٢٩٤ / تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: ١٤١٦ / الناشر: دار الأسوة للطباعة والنشر.

المحتويات

الفصل الأول:

نشأة علم السيرة النبوية

الفصل الثاني:

السيرة النبوية بين الحركة والوعي والتدوين

الفصل الثالث:

مراحل تطور علم السيرة النبوية خلال القرنين الأول والثاني للهجرة

الفصل الرابع:

دور محمد بن إسحاق في تطور علم السيرة النبوية